مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم الإعلام – دار اللغة العربية

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.alh.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob: +9647827236864 — +96447721458001

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)

(صدق الله العلي العظيم)

(الروم:٢٢)

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

الأستاذ لطيف القصاب

الهيأة الاستشارية

أ . د . حسين نصار/مصر - القاهرة

أ . د . محمود محمد الحسن /سوريا

أ . د . عبد العلي الودغيري /المغرب

أ . د . صاحب جعفر أبو جناح / العراق

أ . د . صباح عباس السالم / العراق

أ . د . كريم حسين ناصح / العراق

أ . د . رحيم جبر الحسناوي /العراق

أ . د . فاروق الحبوبي /العراق

أ . د . أحمد جواد العتابي /العراق

أ . د . مهدي صالح الشمري / العراق

مدير التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

سكرتير التحرير

الأستاذ حيدر السلامي

هيأة التحرير

أ.د. مصطفى الضبع / مصر

أ.د. منيرة محمد فاعور / سوريا

أ.د. صادق حسين كنيج / العراق

أ.م.د. محمد عبد مشكور / العراق

أ.م.د. حيدر حبيب حمزة / العراق

أ.م.د. حسن عبد الغني الأسدي / العراق

أ.م.د. طلال خليفة سلمان / العراق

أ.م.د. حسن جعفر صادق / العراق

أ.م.د. نجم عبد الله غالي / العراق

التدقيق اللغوي

أ.م.د. حسام عدنان الياسري

م.د. حيدر عبد علي حميدي

الترجمة

م.د. مؤيد عمران جياد

الموقع الألكتروني

حيدر عباس العامري

التصميم والإخراج

سيف الدين الزاملي

المتابعة والتنسيق

الأستاذ حسين صادق

حسن العوادي

علي سعد لطيف

عامر هاشم حبيب

علاء الدين الحسني

قاسم الموسوي

مصعب هادي النعماني

ميثم الجليحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٦٠٨
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٢

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والانكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الانكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني . مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والانكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث مستلا من (رسالة أو أطروحة) جامعية ولم يسبق نشره وليس مقدما إلى أي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه ومكافأة مالية .

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد نبينا محمد وعلى آله أئمة الدين والهدى والبلاغة والبيان وسلم تسليما وبعد ...

فهذا عدد آخر من مجلة (دواة) , دواة المحكمة ,التي أصبحت مثابة للباحثين عراقيين وعرب ومسلمين من المهتمين باللغة العربية وآدابها ,وقد جمعهم بها, وقرَّبهم منها وحدةُ الهدف,حب العربية , لغة القرآن كتاب الدين والدنيا .

نقول :أصبحت (دواة) مثابة للباحثين على الرغم من حداثة تأسيسها ؛ ولاعجب من ذلك, فقد ترعرعت في كنف العتبة الحسينية المقدسة ـ واحتضنتها مدينة الحضارة ,كربلاء الماضي والحاضر والمستقبل ,فنعم الكنف ,ونعم الحضن, وحبذا المدينة .

ولقد أردنا ـ نحن مِلاك المجلة ـ رئاسة تحرير, وسكرتارية ,وهيأة استشارية ,وتحريرية ,ومن ورائنا سماحة المشرف العام الشيخ عبد المهدي الكربلائي,أن تختص بأبحاث اللغة العربية على مستوياتها المتعددة , صوتا ,وصرفا ,ونحوا ,ودلالة,وادبا ,وبلاغة, ونقدا, وطرائق تدريس ,وأن تستقبل وتتعاطى مع مناهج دراستها, قديمها وحديثها ,فضلا على التفاعل الموضوعي مع اي افكار ورؤى ما دامت تؤدي غرضا مخلصا وواعيا ,يصب في مجرى هذه اللغة الخالدة ,الحية ,المتجددة, المستوعبة ,التي تمثل هويتنا اذ بهايتعرف علينا الآخرون ,وبها نتواصل معهم ,كلاما, وتفاهما, وعلما, وابداعا ,وعواطف ,وافكارا .

يصدر هذا العدد الجديد من المجلة بُعيد الاحتفاء بالعربية لغة عالمية بمبادرة منصفة صدرت عن منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم (اليونسكو) ,وهو باكورة أعدادها في مستهل هاتين السنتين الجديدتين : الهجرية ١٤٣٦,والميلادية ٢٠١٥ .

يضم العددأبحاثا مختلفة لغوية وأدبية وتربوية, بعضها تطبيقي ,وبعضها الآخر اتخذ مسارا نظريا , على أن القرآن الكريم ظل الجامع الذي يجمعها تنظيرا وتطبيقا وتوثيقا,وقد كان كذلك قبلُ , وسيبقى بعدُ, ما دامت الحياة ,فهو النهر الخالد الذي تستقي اللغة منه روعتها, وديمومتها ,وتجددها , وهو الوعاء الذي يحتويها, تعهَّد الباري بذلك عز وجل , وعلى هذا العهد فليتنافس المتنافسون .

و الى لقاء علمي آخر ومتجدد مع عدد آخر من (دواة) المعطاء التي لن تنضب بإذن الله ومشيئته ,نحمده أولا وآخرا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هيأة التحرير

المحتويات

قواعد النشر..... ٦

كلمة العدد..... ٧

أ.د سعدون أحمد علي الربيعي

تعانق أحرف الجواب والقسم في العربية..... ٩

أ.م.د. حسن عبدالغني الأسدي

الإمام جعفر بن محمد الصادق(ت١٤٨هـ)

والتأسيس للمنهج الافتراضي والتعليلي في النحو العربي..... ٢٧

أ.م.د خليل خلف بشير / الباحث علي عبد الحسين حسن

أنماط الجملة الاسمية المثبتة ودلالاتها في الصحيفة الصادقية..... ٥٣

أ .م. د عادل عباس النصراوي

المنهج الرياضي في الدرس المعجمي عند الفراهيدي ـ تقويم وتجديد..... ٧٥

م . د . مرتضى عبد النبي علي /م . أحمد عبد الله نوح

مصطلح الجاهلية بين التأصيل اللغوي والاستعمال القرآني..... ١٠٣

د. سامي ناجي سوادي

التجريب اللفظي في الشعر العربي الحديث في العراق..... ١٢٧

أ.م.د. رحيم كريم علي الشريفي / د. حسين علي هادي

. السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجا)..... ١٤٧

م ماهر خضير هاشم

. وسائل الأمن اللغوي قراءة في كتاب (العربية والأمن اللغوي)

للدكتور زهير غازي زاهد..... ١٦٧

م.د خولة مهدي الجراح

تطور الدرس البلاغي في مدرسة النجف الاشرف الدرس الحوزوي أنموذجا..... ١٨٩

أ.م.د. سعاد بنت شعيب اليوسفي

البراديغم (النموذج) اللغوي في المغرب بين سلبيات التعددية وإثبات الهوية..... ٢٠٧

تعانق أحرف الجواب والقسم في العربية

Association between letters of Response and Oath in Arabic

أ٠د سعدون أحمد علي الرّبَعِيّ
كلية التربية – جامعة بابل
Assist.Prof.Dr.Saadoun Ahmad Al-Rubaie , College of Education , University of Babylon

ملخص البحث

هذا بحث يسلط الضوء على ظاهرة أسلوبية سياقية في لغة القرآن الكريم تتجلى في تعانق أحرف الجواب (لا، كلا ، بلى) والقسم في سياق واحد من التركيب . والتعانق في اللغة يعني التتابع والتقارب والتداني بين مقطعين أو أكثر في الكلام . فما سرّ هذا التعانق ؟ وبماذا فسَّر علماء العربية – قدماء ومحدثون – هذه الظاهرة الأسلوبية ؟ وهل هو أسلوب شائع في كلام العرب في عصر الفصاحة والبلاغة ؟ وما الأغراض المتوخاة من هذا التعانق والاقتران ؟ هذه الأسئلة وغيرها كانت الباعث على هذه الدراسة التي حاولت فيها الإجابة عن تلك الأسئلة بالوقوف عند أمثلة لهذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن الكريم عزَّزتُها بأمثلة أُخَرَ من الحديث الشريف ، ونصوص نهج البلاغة، والشعر العربي الفصيح ؛ لتبيين البعدين النحوي والدلالي لهذه الظاهرة بمناقشتها وتحليلها على وفق منهج علمي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة وآراء علماء العربية المتقدمين والمتأخرين . وقد تبيَّن لنا أن إدخال حرف الجواب على القسم بأنواعه ووسائله المتعددة هو أسلوب مستفيض في اللسان العربي ما زال مستعملا في لغتنا العربية بمستوييها الفصيح والعامي يستعمله المتكلمون بالعربية لتوكيد النفي وتعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه ، أو ردًّا وجوابا لكلام قد مضى وتقدّم ، أو نفيًا للحاجة إلى القسم على أمور يقينية ثابتة لا يتطرق إليها الشك أبدًا ، ويرمي إلى التأكيد والتقرير والتأثير .

Abstract

This research sheds light on the stylistic contextual phenomenon in the language of the Quran, reflected in the associationof response letters like (No, never, yes) and the oath letters in one context of structure. The association of language means sequence , closeness and convergence between two or more phrases in speech. What is the secret thatassociation، And how do ancient and modern scholars interpret this stylistic phenomenon، Was it a common style in the speech of Arabs in the age eloquence and purity of language، And what are the purposes of using association and relationship? These and other questions are the reasons behind the present study which attempts to answer these questions through examples taken from the Holy Quran, the prophetic sayings, excerpts from Nahj al-Balagha, and Arabic poetry . The research clarifies the two dimensions, syntactic and semantic,of this phenomenon by discussing and anlysing it using a scientific method following the modern theories of linguistics and ancient and modern Arab scholars' views . It is found out that using a response letter with oath letters is a common style of Arabic ,which is still in use inboth the standard Arabic and the dialectsin order to emphasize negation and exaltation of the person to whomthe oathis directed , or reply and answer previous talk , or negating the need for the oath in case of definite and fixed matters.

المقدمة

هذا بحث يسلط الضوء على ظاهرة أسلوبية سياقية في لغة القرآن الكريم تتجلى في تعانق أحرف الجواب (لا، كلا، بلى) والقسم في سياق واحد من التركيب. والتعانق في اللغة يعني التتابع والتقارب والتداني بين مقطعين أو أكثر في الكلام. فما سرّ هذا التعانق؟ وبماذا فسَّر علماء العربية – قدماء ومحدثون – هذه الظاهرة الأسلوبية؟ وهل هو أسلوب شائع في كلام العرب في عصر الفصاحة والبلاغة؟ وما الأغراض المتوخاة من هذا التعانق والاقتران؟ هذه الأسئلة وغيرها كانت الباعث على هذه الدراسة التي حاولت فيها الإجابة عن تلك الأسئلة بالوقوف عند أمثلة لهذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن الكريم عزَّزتُها بأمثلة أُخَرَ من الحديث الشريف، ونصوص نهج البلاغة، والشعر العربي الفصيح؛ لتبيين البعدين النحوي والدلالي لهذه الظاهرة بمناقشتها وتحليلها على وفق منهج علمي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة وآراء علماء العربية المتقدمين والمتأخرين. وقد تبيَّن لنا أن إدخال حرف الجواب على القسم بأنواعه ووسائله المتعددة هو أسلوب مستفيض في اللسان العربي ما زال مستعملا في لغتنا العربية بمستوييها الفصيح والعامي يستعمله المتكلمون بالعربية لتوكيد النفي وتعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه، أو ردًّا وجوابا لكلام قد مضى وتقدّم، أو نفيًا للحاجة إلى القسم على أمور يقينية ثابتة لا يتطرق إليها الشك أبدًا، ويرمي إلى التأكيد والتقرير والتأثير.

تعانق أحرف الجواب والقسم في العربية

من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في أسلوب القسم هو أن يأتي القسم مسبوقا بأحد أحرف الجواب الآتية (لا، كلا، بلى) في سياق واحد من التركيب،وهذا التتابع والتقارب والتداني بين مقطعي حرف الجواب وحرف القسم أو فعله ,هو ما سمَّيتُه بـ (التعانق)، فما سرّ هذا التعانق؟ وبماذا فسَّره العلماء القدماء والمحدثون؟وهل أن تعانق أحرف الجواب الثلاثة المذكورة آنفا والقسم شائع في كلام العرب؟ وهل يرتبط هذا التعانق بمرحلة من مراحل تاريخ اللغة أم أنَّ له علاقة بالإمكانيات التحويلية في اللغة العربية؟ وما الأغراض المتوخاة من هذا الأسلوب؟ هذه الأسئلة وغيرها كانت الباعث على هذه الدراسة التي حاولنا فيها الإجابة عنها بالوقوف عند أمثلة لهذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونصوص نهج البلاغة والشعر العربي الفصيح من أجل استنطاق تلك النصوص ومحاولة الوقوف على خفايا هذا الأسلوب العربي من حيث البعدين النحوي والدلالي.

أولا: تعانق (لا) و القسم:

يعانق حرف الجواب (لا) فعل القسم كثيرًا متقدما عليه, ولاسيما قبل الفعل المضارع (أقسم)، إذ جاء القسم به مسبوقا بـ(لا) النافية في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، أقسم الله تعالى بنفسه ومخلوقاته، قال تعالى: ((فلا أقسمُ بربِّ المشارق والمغارب إنَّا لقادرون)) (١)،و((فلا أقسم بما تبصرون* وما لا تبصرون)) (٢)، و((فلا أقسم بالخنَّس)) (٣)، و ((فلا أقسم بالشَّفق)) (٤)، و ((لا أقسم بيوم القيامة* ولا أقسم بالنّفس اللوامة)) (٥)، و((لا أقسم بهذا البلد)) (٦)، و ((فلا أقسم بمواقع النّجوم* وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم)) (٧).

مذهب الخليل (ت١٧٥هـ) و الكسائي (ت ١٨٩هـ) أن (لا) زائدة للتوكيد، قال الخليل: "وقد تجيء زائدة وإنما تزيدها العرب مع اليمين، كقولك: لآ أقسم بالله لأكرمنَّك، وإنما تريد أقسم بالله " (٨)، وهو ظاهر كلام أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) في مجاز القرآن، قال في قوله تعالى: ((لآ أقسم بيوم القيمة* و لآ أقسم بالنفس اللوامة)): "مجازها أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة " (٩).

ويرى الفرّاء (ت٢٠٧ هـ) في (لا أقسم) أنّ (لا) ردٌّ على منكري البعث والجنة والنار، وقد جاء الإقسام بالردّ عليهم في كثير من الآيات، والمعنى: ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف بعده، فقال : أقسم (١٠).

والقول بزيادة (لا) ردّه الزمخشري (ت٥٣٨هـ), فهو يرى أنها جاءت بابها وفائدتها توكيد القسم، والمعنى أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له، وعدَّ دخول (لا) النافية على فعل القسم مستفيضا في كلام العرب وأشعارهم (١١).واقتفى الزمخشري (ت٥٣٨هـ), أثر الفرّاء في تفسير تعانق (لا) وفعل القسم في جعل مجيئها قبل القسم ردًّا وجوابا لكلام قد مضى و تقدم،والقسم بعدها مستأنف من غير أن يعزو رأي الفرَّاء إليه، ففي قوله تعالى: ((لآ أقسم بيوم القيمة)): قال الزمخشري: " كأنهم أنكروا البعث فقيل:لا، أي: ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل:أقسم بيوم

القيامة "(١٢).

ويرى الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في قوله تعالى: ((لآ أقسم بيوم القيمة* ولآ أقسم بالنفس اللوامة*أيحسب الإنسان ألَّنْ نجمع عظامه* بلى قادرين على أن نسوِّيَ بنانه)): "لا أقسم عليكم بذلك اليوم، وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسم: أتحسب أنَّا لا نجمع عظامك إذا تفرّقت بالموت، فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنَّا قادرون على أن نفعل ذلك " (١٣).

أما القرطبي (ت ٦٧١هـ) فيستدل بالقرآن على القرآن ويرى أن (لا أقسم) بمعنى (أقسم) بدليل قوله تعالى: ((وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)) (١٤) ؛ حيث عدّ هذه العبارة الإخبارية المؤكدة دليلا قطعيّا على وقوع القسم، وإلّا وقع التناقض بين الآيتين(١٥). والحق إنه إقسام بيوم القيامة سواء قيل بصيغة (لا أقسم) على أنها كلمة قسم واحدة مركبة من جزأين أو بِعَدِّ (لا) زائدة أو نافية على اختلاف الأقوال.

وقد يقع حرف الجواب (لا) قبل القسم من دون أن يظهر بعدها فعل القسم، وذلك في نحو قوله تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيْتَ ويسلموا تسليما)) (١٦). ومن ذلك ما ورد في نهج البلاغة من قول الإمام علي (رضي الله عنه): "لا والذي أمسينا منه في غبَّر ليلة دهماء، تكشِر عن يوم أغرَّ، ما كان كذا و كذا "(١٧). ومنه أيضا ما جاء في الشعر العربي كقول مسلم بن معبد الوالبي(١٨):

فلا واللهِ لا يُلفَى لِما بي
ولا لِلِما بهم أبدًا دواءُ

وقول أعرابي (١٩) :

لا والذي أنا عبد في عبادته
لولا شماتة أعداء ذوي إحن
ما سرّني أن إبلي في مباركها
وأن شيئا قضاه الله لم يكن

وقول الآخر (٢٠):

فحالِفْ فلا واللهِ تهبط تلعةً
من الأرضِ إلا أنت للذّلِّ عارفُ

ومما قالته العرب في كلامها وصار كالمثل في القسم ما رواه ابن منظور (ت٧١١هـ) عن ابن السكيت (ت٢٤٤ هـ) من قولهم: " لا والله الذي يسلِّمُك ما كان كذا وكذا" (٢١). و مما قالوه أيضا: "لا والذي أخرج النار من الوثيمة" (٢٢) ، أي: من الصخرة.ومن أقوالهم أيضا: "لا والذي أخرج قوبا من قابية"(٢٣) ، أي: فرخا من بيضة. يتضح مما تقدم من استعمالات العرب , فضلا عن القرآن الكريم لزوم تعانق (لا) والقسم إيذانا بكون الجواب منفيا.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن ثمة فرقا بين ذكر (لا) مع فعل القسم (أقسم)، وذكرها من دون التصريح بفعل القسم في مثل قوله تعالى: ((فلا وربِّك لا يؤمنون))، وقول امرئ القيس:

لا وأبيكِ ابنة العامري لا يدَّعي القوم أني أفرْ(٢٤)

إذ ذهب إلى أن جواب (لا أقسم) يكون منفيا ويكون مثبتا، ولم يرد جوابها في القرآن الكريم إلا مثبتا، في حين أن جواب (لا وربِّك) لا يكون إلا منفيا، والحق أنهما ليسا أمرا واحدا فالاستعمال يدل على أنهما مختلفان(٢٥). فأما (لا) في قوله تعالى: ((فلا وربِّك

لا يؤمنون)) و قول الإمام علي (عليه السلام):(لا والذي...)، فتكون على ثلاثة أضرب:

١ـ أن تكون (لا) نافية، وعندئذ تنتظم احتمالين:

أحدهما:أن تكون ردًّا لكلام سابق، قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) في قوله تعالى: ((فلا وربِّك لا يؤمنون)): "(فلا) فليس الأمر كما تزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد.واستأنف القسم جل ذكره،فقال:(وربِّك) يا محمد (لا يؤمنون)" (٢٦).

وعلى هذا تكون (لا) في قول الإمام علي (عليه السلام):(لا والذي...) نفيا لقول سابق, وكأنما قيل له: يا أمير المؤمنين قد كان كذا و كذا, فقال: لا ليس الأمر كذلك,ثم استأنف القسم, فقال:والذي أمسينا... ما كان كذا و كذا.

والآخر:أن (لا) هنا لنفي القسم كأنه قال: لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإنه أعظم وأجلّ من أن يقسم عليه بهذه الأشياء، والغرض تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه.أو لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإن ثباته أظهر و أجلى وأقوى من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم. أو أن يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الإنكار، والتقدير مثلا: ألا أقسم بمواقع النجوم؟ وألا أقسم بالنفس اللوامة؟ على أن ما أقسمت به حقّ (٢٧).

٢ـ أن تكون (لا) زائدة, و المعنى: أقسم بيوم القيامة، وربِّك لا يؤمنون، والذي أمسينا...، وفائدتها تأكيد معنى القسم, كما زيدت في قوله تعالى: ((لئلا يعلم أهل الكتب ألا يقدرون)) (٢٨) ، لتأكيد وجود العلم (٢٩) ، قال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ): في قوله تعالى: ((فلا و ربِّك لا يؤمنون)):"تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد نفي المقسم عليه، وهو في ذلك كتصدير الجمل المثبتة بـــ(إنّ) "(٣٠),وقيل : إنّها مزيدة لتأكيد النفي في الجواب؛" لأنه إذا ذكر في أول الكلام و في آخره كان أوكد وأحسن" (٣١). على أني أرى أن لا زيادة في القرآن الكريم، وكل حرف فيه إنما وضع لمعنى، وأن القول بزيادة (لا) فيه يؤدي إلى تصيير النفي إثباتا، و تصيير الإثبات نفيا، ولا يخفى على كل ذي لبّ خطر ذلك و مؤداه من فتح باب الطعن في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٣ - أنّ (لا) نافية لفعل محذوف يفسره المذكور بعد القسم, والتقدير في قوله تعالى: ((فلا و ربِّك لا يؤمنون)): "فلا يؤمنون وربِّك لايؤمنون، فأخبر أولا, وكرر ثانيا, فاستغنى بذكر الفعل الثاني عن ذكره في الأول "(٣٢).

ولعل الرأي الخليق بالقبول مما ذكر آنفا هو القول الأول بما ينتظمه من معان؛ وذلك لأن السياق يدل على أنَّه قد أخبر عن أمر ما, فردّ نافيا الأمر بقوله (لا), ولم يذكر ذلك المنفي لعلم السامع به, وجاء بعده بالقسم وجوابه جملة منفية لتوكيد ذلك النفي. أو أنه عانق بين حرف النفي(لا) والقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب, فإنه أعظم وأجلّ من أن يقسم عليه بهذه الأشياء، والغرض تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه. على أننا لا نعدم في لهجاتنا العامية أثرا

لهذه الظاهرة من مثل قول المتهم دافعا عن نفسه ما رُمي به: لا والله ما فعلت، لا والله ما قصرت... إلخ.

ثانيا: تعانق (كَلَّا) و القسَم:

قد يرد حرف الجواب (كلّا) معانقا القسم، وأكثر وروده مقترنا بالقسم الصريح, كقوله تعالى: "كلّا و القمرِ* والليل إذ أدبر"(٣٣), وقول أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) لنبيِّنا الأكرم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بعد أن نزل عليه الوحي فعاد إليها يرجف فؤاده: "كلّا واللهِ ما يخزيك اللهُ أبدا، إنَّك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتكسب المعدوم وتُقري الضيف وتُعين على نوائب الحق" (٣٤) . وقول الإمام علي (عليه السلام) لما قتل الخوارج, فقيل: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، فقال: "كلّا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال, و قرارات النساء, كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصًا سلابين"(٣٥). يتضح من النصوص المذكورة آنفا تعانق حرف الجواب (كلّا) والقسم بلفظ الجلالة (والله) لإفادة معنى المبالغة في توكيد نفي جواب القسم المحذوف والمدلول عليه بما تقدَّم على (كلّا) وما عانقته. على أنَّ تعانق القسم وأحد أحرف الجواب يؤذن بالاستغناء عن جواب القسم كثيرا وهو ما لاحظه ناظر الجيش (ت٧٧٨ هـ) ونبّه عليه في شرح التسهيل(٣٦).

وقد يرد حرف الجواب (كلّا) مقترنا بالقسم المضمر, نحو قوله تعالى: ((كلّا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية)) (٣٧) ، ويفيد معنى الردع والزجر، إذ اللام هي الموطئة للقسم،والمعنى: والله لئن لم ينته ويرتدع عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعن بالناصية، قال الزمخشري في تفسير الآية المذكورة آنفا: "(كلّا) ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات" (٣٨).

ولعلماء النحو في (كلّا) آراء مختلفة, فمنهم من يرى أنها حرف دائما ومعناها الردع و الزجر, وهو مذهب سيبويه, وأكثر البصريين, قال سيبويه:" أما (كلّا) فردع وزجر" (٣٩) . وقال الزمخشري:" ومن أصناف الحرف حرف الردع وهو كلّا, قال سيبويه: هو ردع وزجر, وقال الزجاج: كلّا ردع و تنبيه, وذلك قولك: كلّا, لمن قال لك شيئا تنكره, نحو: فلان يبغضك وشبهه, أي: ارتدع عن هذا وتنبه عن الخطأ فيه, قال تعالى بعد قوله: ((ربِّي أهانن)), ((كلّا)), أي: ليس الأمر كذلك؛ لأنه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار, وقد يضيق على الأنبياء والصالحين للاستصلاح" (٤٠). فلا تخرج عند أصحاب هذا المذهب عن معنى الردع والزجر, ولذلك جوزوا الوقف عليها والابتداء بما بعدها. وأكثر ما وردت(كلّا) في القرآن الكريم دالة على معنى التهديد والوعيد (٤١) .

على حين رأى الكسائي أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيها, فزادوا فيها معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها، ويبتدأ بما بعدها(٤٢),ثم اختلفوا في ذلك المعنى على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها بمعنى حقًّا على رأي الكسائي ومتابعيه، وهي على هذا الرأي تكون اسما (مصدرا) يبتدأ بها

لتوكيد ما بعدها، فتكون في موضع المصدر، ويكون موضعها نصبا على المصدر، والعامل محذوف، أي أحقُّ ذلك حقًّا ، وذلك كقوله تعالى :((كلّا لما يقض ما أمره)) (٤٣) ، وقوله عزّ وجلّ ((كلّا إنَّ الإنسان ليطغى)) (٤٤) ، أي حقا (٤٥).

الثاني: أنها بمعنى (ألا) الاستفتاحية, وهذا الرأي لأبي حاتم وهي على هذا الرأي تكون حرفا، نحو قوله تعالى:((حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون* لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلّا إنَّها كلمة هو قائلها ومن ورآئهم برزخ إلى يوم يبعثون)) (٤٦) ؛ لأنها لو كانت بمعنى حقًّا لما كسرت همزة (إنّ)، ولو كانت بمعنى (نعم) لكانت تتوعد بالرجوع لأنها بعد الطلب (٤٧).

الثالث: قد تكون حرف جواب بمنزلة (إيْ، ونعم), وهو للنضر بن شميل (٢٠٣هـ), والفرّاء ومن وافقهما كما في قوله تعالى:((كلّا والقمر)) (٤٨).

في النصوص المتقدمة عانق الحرف (كلّا) القسم الصريح, والذي يبدو في قوله تعالى) (كلّا والقمر)) أن (كلّا) حرف جواب بمعنى: إيْ والقمر، إذ يمتنع كونها للزجر أو الردع؛ لأن ما قبلها ((وما هي إلا ذكرى للبشر)) مما لا يصح ردّه. وهذا ما نعتقده من الإمكانيات التحويلية في اللغة التي لا ترتبط بزمن أو مكان معيَّنَين. أما حديث أم المؤمنين السيدة خديجة(رضي الله عنها) فالمعنى الأقرب لـ(كلّا) فيه هو أن تكون بمعنى حقًّا وهو ما ذهب إليه الكسائي ومن تابعه، ويحتمل أن يكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية وهو ما ذهب إليه أبو حاتم ومن تابعه، إذ السياق يحتمل المعنيين. وأما قول الإمام علي (عليه السلام) فإنّ(كلّا) فيه على أصلها الغالب عليها وهو معنى الزجر والردع , فجيء بـها ردعا وزجرا لمن قال بهلاك الخوارج جميعا, لأنهم إنما قالوا شيئا من دون التيقن من وقوعه, فضلا عن أن القرائن السياقية توحي بذلك.

ثالثا : تعانق (بلى) و القسَم:

قد يعانق حرف الجواب (بلى) القسم متقدما عليه، وهو حرف مختص بجواب النفي، قال الرماني (ت٣٨٤هـ):"وهي من الحروف الهوامل، وهي جواب التقرير, فيقول القائل: ألم أحسن إليك؟ فتقول: بلى. قال الله ((ألستُ بربِّكم قالوا بلى)) (٤٩) ولا يجوز هنا نعم؛ لأنه يصير كفرًا، وذلك أنه يؤول إلى معنى نعم لست بربنا، وهي تكتب بالياء؛ لأن الإمالة تحسن فيها "(٥٠). وقال الزمخشري في قوله تعالى:((وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربِّي لتأتينَّكم)) (٥١): "أوجب ما بعد النفي بـ(بلى) على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد،وهو التوكيد باليمين بالله عزَّ وجلَّ"(٥٢) وفي قوله تعالى: ((زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربِّي لتُبعثُنَّ)) (٥٣): قال الزمخشري : "بلى إثبات لما بعد (لن) وهو البعث"(٥٤). وذكر ابن هشام أنه وقع في كتب الحديث ما يقتضي أن (بلى) يجاب بها الاستفهام المجرد، ومثّل له بما ورد في كتاب صحيح البخاري في كتاب الإيمان أنه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، قال لأصحابه: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة

؟ قالوا: بلى" ، ثم قال ـ أي: ابن هشام ـ:إنه لا يحتج به لأنه قليل(٥٥).

وقال السهيلي (ت ٥٨١ هـ) في أماليه:"وأما (بلى) فكلمة فيها لفظ (بل) التي للإضراب، ولفظ (لا) التي للنفي، فمن أجل ذلك لا تقع أبدا إلا إضرابا عن النفي، ومن أضرب عن النفي أراد الإيجاب"وليس أصلها (بل)التي للعطف، فدخلت الألف للإيجاب، أو للإضراب والردّ، أو للتأنيث، كالتاء في (رُبَّت) و(ثُمَّت)، خلافا لزاعمي ذلك, وهي حرف جواب. وهي مختصَّة بالنفي، فلا تقع إلا بعد نفي في اللفظ، أو في المعنى ، وتكون ردًّا له "(٥٦).

وقد تقدم الحرف (بلى) على القسم في نهج البلاغة في قول الإمام علي (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية:" فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون كأنَّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول: ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين))، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها "(٥٧).

عانق حرف الجواب (بلى) القسم (والله) متقدما عليه، وإنما جيء به نفيا لما قبله، أي (لم يسمعوا كلام الله)، وإثباتا لما بعده، وهو قوله: (والله لقد سمعوها ووعوها) أي: إنّهم سمعوا كلام الله سبحانه ووعوه. ويبدو أن السرّ البياني في هذا الأسلوب يكمن في قوة لفت المخاطَب أو السامع بما يحمله هذا التعانق بين أحرف النفي الجوابية والقسم من مفارقة عجيبة في إثارة انتباهه إلى أقصاه.

الخاتمة:

لا شك في أن البحث في الظواهر الأسلوبية في العربية مما يخدم اللغة الشريفة ويسهم في الكشف عن مكنونها من المعاني والأسرار والدلالات،ويوضح ملامح تلك الظاهرة اللغوية -موضع الدراسة - بتجليتها وإبرازها، وأحسب أن هذا البحث المصغر قد توصل إلى نتائج طيبة نافعة في موضوع تعانق أحرف الجواب والقسم أذكر في ما يأتي جانبا منها:

- إنَّ تعانق أحرف الجواب والقسم جاء ليحقق غرضا سياقيا معينا في النصوص والتراكيب المنتظمة له، ففي تعانق حرف الجواب و فعل القسم دلالةعلى أنَّه قد أخبر عن أمر ما, فردّ نافيا الأمر بقوله (لا), ولم يذكر ذلك المنفي لعلم السامع به, وجاء بعده بالقسم وجوابه لتوكيده.أو أنه عانق بين حرف الجواب والقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب؛ فإنه أعظم وأجلّ من أن يُقسَمَ عليه بهذه الأشياء، والغرض منه تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه, سواء قيل بصيغة (لا أقسم) على أنها كلمة قسم واحدة مركبة من جزأين، أم بِعَدِّ (لا) زائدة أو نافية على اختلاف الأقوال.

- إنَّ ظاهرة تعانق أحرف الجواب والقسم لم تكن مقتصرة على مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة مما يعني أن ثمة تطورا قد خضعت له هذه الظاهرة الأسلوبية، بل إن الإمكانيات التحويلية في اللغة تظهر في أي زمان وأي مكان من دون أن ترتبط بمنطق التطور التاريخي، ومن هنا كانت دلالة التراكيب المنتظمة لهذا الأسلوب دلالة احتمالية

تتراوح بين توكيد النفي و الزجر بالقسم أو التعظيم للمقسم عليه أو نفي الحاجة للقسم, وذلك ماتنتظمه مواضع الثقة واليقين، ويرمي إلى التوكيد والتقرير.

- تبيَّن لنا أن تعانق أحرف الجواب والقسم بأنواعه ووسائله المتعددة هو أسلوب شائع ومستفيض في العربية بل وفي لهجاتنا العامية، معناه واضح مقبول لغويا ونفسيا، مفهوم عقليا على الرغم من كل ما حصل فيه من خلاف بين علماء النحو قدماء ومحدثين.

الهوامش

١- المعارج : ٤٠ .

٢- الحاقة :٣٨ ـ ٣٩ .

٣- التكوير : ١٥ .

٤- الانشقاق :١٦ .

٥- القيامة: ١-٢.

٦- البلد: ١ .

٧- الواقعة: ٥٧ ـ٥٨.

٨- العين ٦٢/٤ (لا) .

٩- مجاز القرآن: ٢٧٧/٢.

١٠- ينظر: معاني القرآن ٣/ ٢٠٧.

١١- ينظر الكشاف ٤/ ٦٥٨ .

١٢- الكشاف: ٤/ ٦٥٩و ينظر: النحو القرآني بين الفرّاء والزّجاج والزمخشري ٢٥٠-٢٥١.

١٣- مفاتيح الغيب: ٣٠ / ٢١٥.

١٤- الواقعة :٥٨.

١٥- ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣ /١٥٣.

١٦- النساء: ٦٥.

١٧- شرح نهج البلاغة: ١٩ / ٨٥ .

١٨- معاني القرآن للفراء: ٦٨/١، والخصائص ٢٨٢/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٥٧١ (المسألة ٧٨).

١٩- عيون الأخبار ٩٦/٣.

٢٠- الكتاب ٤٥٤/١ ، ورصف المباني، للمالقي ٣٣١ ، وهو من الأبيات مجهولة القائل.

٢١- لسان العرب (سلم) ٣٢٦/٣.

٢٢- تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ٢٠٤٨.

٢٣- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه، للبكري ٤١-٤٢.

٢٤- ديوانه ٦٨.

٢٥- ينظر: معاني النحو: ٤ / ٥٥١-٥٥٢.

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ١٨٩ .

٢٧- ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠ / ٧٢٠ .

٢٨- الحديد: ٢٩ .

٢٩- ينظر: الكشاف: ١٠١/٢, والبحر المحيط: ٢٩٧/٣, وإعراب القرآن العظيم: ٢٢٧/٢, والبرهان في علوم القرآن: ٣٦٠/٤، والنحو القرآني بين الفرّاء والزّجّاج والزمخشري ٢٧٥-٢٧٦.

٣٠- بدائع التفسير: ٢٨٠/١.

٣١- مفاتيح الغيب: ١٨٦/١٠, وينظر: روح المعاني: ٥/ ٧٠.

٣٢- البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٥٨/١.

٣٣- المدثر: ٣٢ـ٣٣.

٣٤- صحيح البخاري:١/ ٣ ، ١٤٥/٣.

٣٥- شرح نهج البلاغة: ١١/٥. وينظر فيه أيضا قوله (عليه السلام): " كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها " ٢٤٢/٦.

٣٦- ينظر: ٦ / ٣١٣٦.

٣٧- العلق: ١٥.

٣٨- الكشاف ٤/ ٧٧٨ .

٣٩- الكتاب: ٤/ ٢٣٥ , و ينظر: حروف المعاني للزجاجي:١١, و معاني الحروف للرماني: ١٢٢.

المفصل: ٣٢٥, والآيتان: ١٧,١٦ , من سورة الفجر.

٤٠- ينظر على سبيل التمثيل: سورة مريم الآيات : ٧٩ ،٨١-٨٢، وسورة الفجر الآيات:١٦-١٧.

٤١- ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٨/١, والمطالع السعيدة: ١٣٧/٢.

٤٢- عبس: ٢٣.

٤٣- العلق: ٦.

٤٤- ينظر: معاني الحروف للرماني:١٢٢، والجنى الداني: ٥٧٧, والبرهان في علوم القرآن: ٤ / ٣٤١، والإتقان ١٨٢/٢ .

٤٥- المؤمنون:٩٩-١٠٠.

٤٦- ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٧/١ .

٤٧- ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٨/١, والمطالع السعيدة: ١٣٨/٢.

٤٨- الأعراف: ١٧٢.

٤٩- معاني الحروف:١٠٥.

٥٠- سورة سبأ : ٣ .

٥١- الكشاف: ٥٦٧/٣.

٥٢- التغابن:٧.

٥٣- الكشاف: ٤ /٥٤٨،

٥٤- ينظر: مغني اللبيب: ١٣٤/١.

٥٥- الجنى الداني: ٤٢٠ -٤٢١.

٥٦- شرح نهج البلاغة:١٤٤/١ ،والآية : القصص:٨٣ .

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢- الإتقان في علوم القرآن, أبو بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, منشورات: فخر الدين,مطبعة نور, إيران,ط١ ,١٣٨٠هـ.

٣- إعراب القرآن العظيم,الشيخ زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ), تحقيق:موسى علي موسى سعود,٢٠٠١م.

٤- الإنصاف في مسائل الخلاف ,أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (٥٧٧هـ),تحقيق:محمّدمحيي الدين عبد الحميد, دار .الفكر, د . ت

٥- البحر المحيط,أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ), دراسة وتحقيق وتعليق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود,والشيخ علي محمد معوض,شارك في تحقيقه: د.زكريا عبد المجيد النتوني, د.أحمد النجوني الجمل,دار الكتب العلمية,بيروت – لبنان,ط١,١٩٩٣هـ.

٦- بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ), جمعه وخرج أحاديثه :يسرى السيد محمد,راجعه ونسق مادته ورتبها:صالحأحمد

الشامي,دار ابن الجوزي,السعودية,ط١، ١٤٢٧هـ.
٧- البرهان في علوم القرآن,بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٤٩هـ),تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم,مكتبة دار القاهرة, د.ت.
٨- البيان في غريب إعراب القرآن, أبو البركات الأنباري, تحقيق: د. طه عبد الحميد طه, مراجعة: مصطفى السقا, الهيأة المصرية العامة للكتاب, القاهرة ,١٤٠٠ هـ
٩- تاج اللغة وصحاح العربية, إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ), تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم، بيروت, ط٤, ١٩٩٠م.
١٠- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليهلأبي عبيد البكري، ملحق بذيل الأمالي والنوادر، طبع بعناية محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م.
١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن, الأمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري, ضبط وتعليق: محمود شاكر, دار احياء التراث العربي, بيروت ـ لبنان, ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.
١٢- الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ),تحقيق: د.عبد الله عبد المحسن التركي, مؤسسة الرسالة, بيروت ـ لبنان , ط١, ٢٠٠٦.
١٣- الجنى الداني في شرح حروف المعاني, الحسن بن قاسم المرادي, تح: د. فخر الدين قباوة, والأستاذ محمد نديم فاضل, دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان ,ط١, ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.
١٤- حروف المعاني, أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي, تحقيق: د. علي توفيق الحمد,مؤسسة الرسالة, إربد ـ الأردن, ط١ ,١٩٨٦ م.
١٥- الخصائص, أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ), تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠ م.
١٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني, أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٣هـ), تحقيق: د. أحمد محمد الخراط, دار القلم,دمشق, ط٣, ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م.
١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني, أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت ـ لبنان.
١٨- شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد (ت ٧٧٨هـ) دراسة وتحقيق د.علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧ م.
١٩- شرح نهج البلاغة, ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ م), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الدار اللبنانية للنشر, بيروت,ط١, ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.
٢٠- صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) طبعة القاهرة، مصر ١٣٢٧ هـ.
٢١- العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي, تحقيق: د. إبراهيم السامرائي و د. مهدي المخزومي، دار

الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
٢٢- عيون الاخبار, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ), ضبطه ووثق نصوصه وعلق عليه: الداني بن قنبر آل زهوي, المكتبة العصرية, صيدا ـ لبنان, ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م.
٢٣- الكتاب, سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠ هـ), تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٣, ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م.
٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) صححه وضبطه وحقق حواشيه مصطفى أحمد حسين ط، دار الكتاب العربي ١٩٤٧ م.
٢٥- لسان العرب, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ), تحقيق الأساتذة عبد الله علي الكبير, محمد أحمد حسب الله, هاشم محمد الشاذلي, دار المعارف, القاهرة.
٢٦- مجاز القرآن, أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ هـ), عارضه بأصوله وعلق عليه, د. محمد فؤاد, مكتبة الخانجي, القاهرة, د. ت.
٢٧- المطالع السعيدة في شرح الفريدة, جلال الدين السيوطي, تحقيق: نبهان ياسين حسين, دار الرسالة للطباعة, ١٩٧٧ م.
٢٨- معاني الحروف, علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤ م), تحقيق: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي, دار الشروق, جدة ـ السعودية, ط١, ١٩٨٤ م.
٢٩- معاني القرآن, أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ م),تحقيق: أحمد يوسف نجاتي, ومحمد علي النجار, عالم الكتب ط٣ ١٩٨٣ م.
٣٠- معاني النحو, د. فاضل صالح السامرائي, مطبعة التعليم العالي والبحث العلمي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ١٩٩٠.
٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ), تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد, مؤسسة دار الصادق للطباعة والنشر، ط١،طهران.
٣٢- مفاتيح الغيب, فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦ هـ), دار الفكر, بيروت ـ لبنان, ط١, ١٩٨١ م.
٣٣- المفصل في علم العربية, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل, للسيد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي, دار الجيل بيروت ـ لبنان , ط٢, د. ت.
٣٤- النحو القرآني بين الفراء والزجاج والزمخشري, أ.د. سعدون بن أحمد بن علي الرَّبَعِيّ، عمان، دار الرضوان للنشر والتوزيع ٢٠١٣ م.

حنیف النصاری

الإِمَامُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ(ت١٤٨هـ)والتَّأْسِيسُ لِلمَنْهجِ الافتراضي والتّعْلِيليّ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيّ

Imam Ja›far bin Mohammed Al-Sadig (١٤٨ A.H) and the Foundation of Presumptive and Justificatory Approach in Arabic Grammar

أ.م.د. حَسَن عبدالغني الأسدي
كلِّيَّة التَّرْبِيَّةِ لِلْعُلُومِ الإنسانية،جامعة كَرْبَلاء
By: Assist .Prof .Dr .Hassan Abdulghany Al-Assady,
College of Education for Human Sciences, and University of Kerbala

ملخص البحث

يرصد البحث موضعا تأسيسيّا ورياديّاً للإمام الصادق(عليه السلام) لم يلتفت إليه الدارسون، وهو وضع الأسس المنهجيّة للعلوم بقيامها على النظر والتدبر والبحث عن العلل الكامنة خلف الظواهر الملاحظة ، فلا يكتفي الإنسان بما يراه ويسمعه بل عليه أن يكشف عن النظام الكامن خلف ذلك، وعلى قدر تعلق الأمر بنا في مجال تخصص الدراسة النحوية لاحظت أن كلام الإمام الصادق(عليه السلام) وتوجيهاته العلميّة قد أسهمت إسهاما فاعلا في تطور الدرس النحويّ عند الخليل وسيبويه، وقد ورد هذا الموضع فيما أملاه الإمام على صاحبه المفضل بن عمر الجعفيّ، وقد عرف هذا الإملاء بـ(توحيد المفضّل).

وفي هذا الصدد ذكر الإمام أن هؤلاء الذين ينكرون وجود الله وتدبيره للكون، بمنزلة العميان الذين إذا دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش، وأفخره، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس لا يستبينون الحكمة فيه سواء بأجزاء ذلك الدار أم بهيأته الكليّة؛ فهم لا يُبْصِرون بِنْيَة الدّار؛ بل هم يتعجّلون ذمّ الدّار وبانيها؟. والحقيقة أنّهم لم يسارعوا إلى ذلك إلّا بعد أنْ عَزِبت أذهانهم عن معرفة الأَسباب والعلل في الأشياء. إنّ هذا المنحى العلمي عند الإمام الصّادق(عليه السلام) الكاشف عن فهم عميق لما يحيط بالإنسان، وعدم الاكتفاء بالظّاهر منه، واشتمل على دعوة منهجيّة يعكسها مستويان للنظر:

المستوى الأول: الرؤية الكليّة والطّابع الافتراضيّ المقترن بها باستعماله التّشبيه بالدّار بوصفه بنية كليّة.

المستوى الثانيّ: التأسيس البنائيّ أو بالأحرى الإنشائي الناظر الى كيفية تكوّن الأشياء وكيفية امتداد أجزائها وترابطها الخطيّ أفقيّا أو عموديّا. وهو الذي يُلمَح من استعمال الإمام لفظة الدّار التي تشتمل على البناء والأجزاء التي يستند بعضها الى بعض.

ولقد كان هذان المستويان حاضرين في الجديد الّذي أتى به الخليل وسيبويه، اللّذان كانا قد قدّما درساً نحويّاً مختلفاً عن الدّرس النّحويّ عند معاصريهم من النّحويّين، فهذا الخليل قد أخذ بقول الإمام الصادق في النظر الكليّ والطابع الافتراضي، وإظهار العلل بل اقتراحها لمسالك العرب في كلامها

وقد عاب سيبويه على النّحويين اكتفاءهم بالشكل ومعرفة الاعراب. وبهذا فإنّ ريادة منهجيّة يجب أن تسجل للإمام الصّادق ومن ثمّ لتلميذه الخليل، كان لها الأثر الفاعل في التأسيس لمسار جديد في علم النّحو، ونظرياته ولا سيَّما عند سيبويه. وهي تكشف أسس الانتقال الى المرحلة الجديدة بعوامل من داخل البيئة التي نشأ بها النّحو العربيّ وتطوّر، مفنِّدة زعم الزّاعمين بآثار خارجيّة أثرت في تكوين هذا العلم وتحديد مساراته.

Abstract

The research looks closely at foundational and leading topic which was created by Imam Al-Sadig (pbuh), and which scholars have not dealt with before. He put the methodological bases of sciences founded on consideration, reflection and looking for the reasons underlying the observed phenomena. A human should not be content with only what he sees and hears but he has to reveal the system behind it. As far as the area of grammar is concerned, we have noted that Imam Sadig's (PBUH) words and scientific guidelines contributed effectively to the evolution of the grammar of Al-Khalil and Sibawayh. This topic was referred to when Imam Sadig dictated it to his fellow Al-Mufadel Bin Omar Ja'fi, and was known as Tawhyd Al-Mufadel.

Imam Sadig's methodology was reflected in two levels:

first level: the total observation and the hypothetical feature associated with it when he used simile to refer to the house as a complete structure.

level II: constructional or compositional structure which refers to how things are and how their parts are stretched and their horizontal or vertical interrelationships.

Sibawayh criticized the grammarians because of their contentment in form and declension. Thus, the pioneering methodology must be acknowledged to Imam Sadig and then his student, Al-Khalil who had an impact in the creation of a new course in science of grammar, and its theories, especially with Sibawayh. It is revealed that the foundations of the transition to a new stage was caused by factors within the environment in which the Arabic grammar was created and evolved, and refutes the claim that it was caused by external factors which affected the creation of this science and the direction of its paths

المقدمة

لقد أضحى التّوجه نحو تعليل الظّواهر ولا سيَّما الظَّواهر النَّحويَّة من كبريات المسائل الأصوليّة، والتّحليليّة في النّحو العربيّ،وقُدِّمت داخل إطار هذا التعليل طائفة من النظريّات النّحويّة التي تندرج في ضمن علم النّحو، وهذا التّوجه في دراسة كلام العرب وتناوله عبر هذا المسار من النّظر النّحويّ أسهم في إثراء الدراسات النّحويّة العربيّة على نحو واضح، وكان من جملة هذا الإثراء أنْ تمّ طرح عدّة نظريات في سبيل فهم متكامل للكلام، بمختلف مستوياته وأنماطه. والملاحظ ((أنّ تعليل الظواهر النّحوية شغل –على ما يبدو– مكاناً فسيحاً من الدراسات التّطبيقية للمادة النّحويّة قبل أن يشغل ذلك المكان من الدراسات التنظيريّة، بمعنى آخر إنّ المتقدمين من أئمة العربيّة قد اهتمّوا اهتماماً واسعاً بالتعليل، وهو الأساس في التّحليل النّحويّ وشاركهم في ذلك المتأخّرون؛ ولاسيَّما عند من ألّف في الأصول النحويّة على ما بين الفريقين من اختلاف منهجيّ في تناول الموضوع))(١). وكان التعليل في كتاب سيبويه معلماً بارزا من معالم درس سيبويه النحويّ على نحو طبع منهجه بطابعه الجديد وهو طابع أستاذه الخليل باختياره منهج التعليل والتفسير، فقد كان لفظ (التفسير) من الألفاظ التي مال سيبويه إلى استعمالها، ولاسيما عند تناوله الجمل المحوّلة للكشف عن بنيتها الأساسية أو توجيه بعض التركيبات وجهة مقبولة تسعف به آلية من آليات فهم الجملة الذيّ اختار له مصطلحا لم يلتفت إليه أحدٌ من السابقين أو المحدثين وهذا مصطلح هو الخُلْف (سآتي على ذكره لاحقا) وقد وظفه سيبويه لإظهار بيئة الجملة أو مقامها الافتراضيّ.

المبحث الأول

إرهاصات التفكير الافتراضيّ والتّعليليّ في النّحو العربيّ

لعل أول ما يتوجّه الباحثون إليه في هذا الشّأن هو تناول أوّل من علّل الاستعمال العربي لما يشتمل عليه الكلام من مظاهر؛ وفي العادة نراهم يوردون ههنا ما ذكره ابن سلام (٢٣١هـ) عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى(ت١١٧هـ) من أنّه((كان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل))(٢). وكأنّ القول بالعلل يمثّل منهجيّة قارة في النحو العربي. ويمكننا –على هذا - القول بأنّ التعليل يمكن أن يكون سابقا لابن أبي إسحاق بمدّة، لقول ابن سلام أنّه مدّ القياس والعلل ما يعني أنّه استزادهما ، ولمّا كان الحال أنّ نحو الحضرمي لم يصل إلينا، فلا نستطيع أنْ نتبيّن حقيقة هذا السبق؛ كما أنّ ما أورده سيبويه عنه لا يساعدنا في بناء هذه الصورة، فعلى قلّة تلك الإشارات فقسم منها قراءات للحضرميّ وليستْ من نحوه، والقسم الآخر هو ممّا رواه الحضرميّ عن بعض العرب واختيارهم فيه حالة إعرابية ما. ويضاف على ذلك أنّ هذا الوصف صدر من ابن سلام وهو امرؤ غير نحويّ وروايته متأخرة فهي في القرن الثالث الهجريّ ما يدعونا إلى تأكيد ما ذهب إليه بعض المحدثين بقوله:((الأمر الذي جعل أحقُّ بهذا القول الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ) فيمكن أن نعدّه أول من بسط القول في العلل النّحويّة))(٣). وقد عرف عند المتقدمين أنّه:((هو الذي بسط النّحو ومدّ أطنابه،وسبّب علله،وفتق معانيه،وأوضح الحِجاجَ فيه،حتّى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته...))(٤).

ولهذا القول مصاديق عدّة؛ منها ما جاء في ولادة كتاب تلميذه سيبويه(ت١٨٠هـ) فقد نصَّت بعض الروايات على رغبة سيبويه بإحياء علم أستاذه، ودعا من دعا ليشركه في هذا العمل، ولكن على ما يبدو لم يجد من يلبّي دعوته هذه؟!؛ فتصدّى لهذه المهمة وحده، فخلّد بذلك علم أستاذه وخلّد علمه وبراعته في إظهار صورة جديدة للدرس النحويّ بل للدّرس اللسانيّ العربي عامّة. إنّ النحو الذي نسج أبواب ومسارات تحليله الخليل وسيبويه كان فيما نزعم مختلفا جداً عن بقية ما قدّمه نحويو ذلك العصر، وكذا اختلف عنهما من جاء بعدهما من نحويي العربية، الذين يدعون بصورة أو بأخرى سيرهم على خطواتهما.

إنّ التحوّل الذي ظهر عند الخليل وسيبويه في كيفية فهمهم النحو العربيّ؛ يمثل خطوة هي غاية في الأهمية، أهلت أن يكون التحليل النحويّ المعتمد في الكتاب مختلفاً في آلياته ووسائله عمّا ألفه المعاصرون. وكان سيبويه قد عاب على النحويين اكتفاءهم بما هو من ظاهر الكلام (أي: الإعراب) وعدم عنايتهم بتأمّل وجوه الصواب والخطأ في الكلام. وتدلّ على ذلك نصوص من الكتاب نذكر منها قوله: ((وإنّما ذكر الخليل-رحمه الله- هذا لتعرف ما يُحال منه وما يحسن؛فإنّ النحويين مما يتهاونون بالخُلْف إذا عرفوا الإعراب.وذلك أنّ رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يُخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمرٍ فقال:انا عبدالله منطلقاً،وهو زيدٌ منطلقاً،كان محالاً؛لأنّه إنّما

أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم يقل هو،ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية؛ لأنّ هو وأنا علامتان للمضمر،وإنّما يُضمِر إذا عَلِم أنّك قد عرفت من يعني.إلاّ أنّ رجلاً لو كان خلفَ حائط،أو في موضعٍ تجهله فيه فقلت:من أنت؟فقال:أنا عبدُالله منطلقاً في حاجتك كان حسناً))(٥).

من هنا مع أمثلة أخرى أمكن رصدها في الكتاب يتّضح أنّ مفهوم الخُلْف (٦)عند سيبويه هو ما يمكن أن تمثّله الوسائل والقرائن المحيطة باستعمال الجملة، ويدخل في ذلك سياق الحال الحقيقي(أو المقامي) كما في أمثال العرب التي رصدها سيبويه فهو ينقل ما رواه العرب في سببها، والسياق الآخر سياق مفترض يستقى من الكلام بمساعد الإعراب وهو يعبر عن المحتوى الدلاليّ للجملة.

وأيضا قول سيبويه:((فإن قال:أقول مررتُ بقائماً رجلٍ؛فهذا أخبث من قِبَل أنّه لا يفصل بين الجار والمجرور.ومن ثمَّ أُسقط:ربّ قائماً رجلٍ.فهذا كلام قبيح وضعيف.فاعرف قبحه،فإنَّ إعرابه يسير.ولو استحسناه لقلنا هو بمنزلة:فيها قائماً رجلٌ؛ولكن معرفة قبحه أمثلُ من إعرابه))(٧).

وعلى هذا فـ((المنهج المتأمل في الظاهرة النحوية باحثاً عما تشمل الجملة من دلالات مقاليّة ومقاميّة غير لغويّة يمكن أن يكون منهجاً جديداً لم يسبق الخليلَ وسيبويه أحدٌ إليه.وهو الأمر الذي يصوّر بروز اتجاهٍ حديث في فهم النصوص اللغويّة))(٨) مثّله الدرس النحوي عندهما،ولو تأمّلنا في هذا لوجدنا أنّ المنهج التّعليليّ(التّفسيريّ) الذي تبنّاه سيبويه عن طريق أستاذه الخليل هو الذي فارق بين توجهاتهما وتوجهات معاصريهما، ولهذا فوصفه بالحديث نسبة للجدة التي برزت في نحوهما لا سيّما أنّ النصين السابقين اللذين أوردناهما عن سيبويه وصف النحويين المعاصرين بقصورهم نحوهم على معرفة الإعراب، من دون أن يكون لهم باع في تأمّل الكلام لمعرفة علل الاستقامة والإحالة في الكلام ولا أن يأخذوا بأسبابهما أو بمقام الكلام(٩). ولقد كان من ثمار هذا المنهج هو محاولات سيبويه بناء نسق من العلاقات النّحويّة، والدّلاليّة تقوم عليها الجمل العربية، بل نسق من العلاقات بين مكونات تلك الجمل؛ يصلح أنْ يكون إطاراً للكشف عن الأصل الكليّ(الافتراضيّ) للجملة العربية وتفسير علاقات الربط بين الوظائف النحوية، في تحولاتها المتنوعة عن ذلك الأصل (١٠).

والافتراض الذي نعنيه:هو المنهج الذي يتخذ من المنطوق والواقع وسيلة له لبناء تصوّر كلّيّ، يمثل الصورة التجريديّة لذلك المنطوق سعيا منه نحو تقديم فهم عميق لطبيعة العلاقات التركيبية، والدلاليّة القائمة بين وحدات الكلام.

والافتراضيّة كما يقول بعض الباحثين:((هي محاولة تشكل تلك العلاقة الهامّة والخطيرة في الوقت نفسه بين المرسل والمرسل إليه، حيث يحاول المؤول أنْ يفهم المثيرات الدلاليّة التّي يشير إليها النصّ، وما الأمر الذي يدور حوله مغزى النصّ، فهو يبذل جهداً كبيراً محاولاً أنْ يقف على حقيقة المعنى الذي تتضمنه العبارة أو الجملة، فيعمل فيها الفكر، ويسعى لإدراك

كل معاني الكلام المضمرة، ويحاول الوصول إلى تفسيراتها الممكنة)) (١١).وهذا المنهج الافتراضي ينسجم مع التوجه العام للتعليل اللغوي، بل هو مسار من مساراته.

وكما يرى بعض المعاصرين أن سيبويه لم يكن ((وهو يضع البناء النظريّ والقوانين الكلية للغة العربية معزولاً عن انجازات الفقهاء والقراء والمحدثين والمتكلمين...)) (١٢)،وقد ذهب بعض الدارسين إلى تأثر النحاة بالفقهاء ، ولا سيما بأبي حنيفة وتلامذته ممن أعملوا القياس في مسائلهم الفقهية فقال:((الافتراض أسلوب فقهي معروف كان عليه أبو حنيفة وشيوخه خاصة من رجال الدين وقد أفاد منه النحاة منذ زمن مبكر، إذ رأينا منه في نحو الحضرميّ، وأبي عمرو وعيسى ويونس، غير أنّ الخليل أكثر منه)) (١٣). ويبدو أن الحماس تجاه مدرسة الرأي الفقهيّة بزعامة أبي حنيفة، حال دون أن ينظر هذا الباحث في صغر عمر أبي حنيفة(٨٠هـ-١٥٠هـ) قياسا الى النشاط العلمي لدى كلٍّ من عبدالله بن أسحاق الحضرميّ(ت١١٧هـ)، أو معاصرته لأبي عمرو بن العلاء(٧٠-١٥٤هـ) وشهرة الأخير العلمية في اللّغة وعلم العربيّة والقراءات قياسا بأبي حنيفة، ولا سيّما أنّ شهرة مذهبه أتت عبر تلامذته(أبي يوسف قاضي القضاة عند هارون الرشيد وتلميذه محمّد بن الحسن الشيبانيّ) على أن القول بالتأثير ممّا يحمل على الظن ويفتقر إلى الأدلة.

ثمّإنّ ما جاء به أبو حنيفة في هذا المجال هو القياس بوصفه آليّة لنقل الحكم من هذه المسألة الفقهية إلى مسألة أخرى، وهو أمر لم يكن محموداً لدى بقية الفقهاء ولا سيَّما أستاذه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) الذي نهاه عن ذلك وأسقط حجته لكون قياسه لا يطرد، وأنّه ليس من وسائل معرفة الشريعة، فأمرها ينبغي أن يؤخذ نقلا من القرآن أو السنة النبوية.

على أنّ رفض القياس، ولاسيما عند غياب ركن من أركان القياس- أعني العلّة الحقيقيّة التي تجوز معها عملية القياس-لا يشمل الافتراض، وعلى نحو خاص ما نسميه بالافتراض التشبيهيّ الذي يُتّخذ وسيلة لتنظيم عمليّة التّفكير عبر مسارات تشبيهيّة لبناء الصورة الذهنيّة التي يدركها العقل لنسق العلاقات وتراتبها ممّا سيتّضح قريبا.

وقد رجح لدينا أنّ التوجّه المنهجيّ في كتاب سيبويه نحو التّفسير والتّعليل كان حاضراً في عموم الكتاب، وهو وسيلة منهجيّة رئيسيّة في تحليله لكلام العرب. ويدعونا إلى هذا الترجيح لَمّا رأيناه يستعمل لفظة فسر ومشتقاتها كثيراً لوصف ما يقوم به من تحليل طائفة من التراكيب اشتملت على مظاهر مغايرة للنمط التراتبي للجملة العربية ممّا يكون من عوارض تركيبيّة، آثرت العرب استعمالها للتعبير عن معانيها، يضاف على ذلك ما هو أكثر أهمية من السبب المتقدم، ذلك أنّ سيبويه أظهر وعيه لمنهجيته في تناول كلام العرب((إذ بيّن في عبارة لطيفة مختصرة وظيفة النحويين عامّة ووظيفتهُ خاصّة عند نظره لكلام العرب، وذلك في عقب طائفة من التركيبات التي اختزل الفعل منها، فنبّه بقوله:((واعلم أنّه ليس

كلّ حرف يظهر بعده الفعل يحذف فيه الفعل،ولكنّك تُضمِر بعدما أضمرتْ فيه العرب من الحروف والمواضع،وتظهر ما أظهروا. وتُجرى هذه الأشياء التّي هي على ما يستخفّون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام وممّا هو في الكلام على ما أجروا (إلى أن يقول) فقف على هذه الاشياء حيث وقفوا ثمَّ فَسِّرْ)) (١٤) ٠

على أنّ فضيلة هذا المنهج تمثّلت في أنّ سيبويه وأستاذه الخليل وظّفا آليات تحليليّة للدراسة النحويّة أكسبتهما تميّزا واضحا على طول خط الزمن التّاريخيّ للنّحو العربيّ وصولا إلى العصر الحديث.

وتحليلنا لما اشتمل عليه الكتاب قرّر أمورا كثيرة أظهرت مديات التفاعل مع المحيط الخارجي الذي كان أحاط بسيبويه ومن قبله أستاذه الخليل! . ولعلنا هنا سنركز على جانب من التأثير أتّخذ طابعا علميّا صرفا، ولا سيما في طبيعة المنهج النحويّ الذي تبنّاه الخليل وأخذه عنه تلميذه سيبويه فظهر في الكتاب بما أطلقنا عليه المنهج التفسيري التعليليّ، الذي انطلق من بيئته بتمثيل مكوناتها، وإعادة صياغة تلك المكونات في ظل نزعة لغويّة.

والمنهج التفسيريّ التعليليّ: هو المنهج الذي ينظر إلى الجمل المتحققة محاولاً أن يظهر كيفيّة نشوئها وامتدادها وارتباط مكوناتها، وبيان أوجه الحالات الإعرابية لوظائفها وتحوّلاتها بين التقديم والتأخير والحذف والزيادة...، وشمل هذا التفسير عند الخليل وسيبويه البحث عن أصل الجمل ومكوناتها الوظيفيّة والكشف عن البنية التركيبيّة والبنية الدلاليّة للمنطوق(١٥). وعلى هذا فالتعليل بلغ أوجهه لا سيّما عند سبقه بالتفسيريّ، الذي يقوم بتحديد جهة التعليل على نحو يظهر طبيعة التكوينات والصور التي تتخذها وصولا إلى النمط المنطوق. لا أنْ يكون التّعليل محصورا في نطاق الإجابة عن لماذا !!!.

وممّا يمكن أن نلحظه ههنا من أمثلة الكتاب قول سيبويه:((فكأنّه إذا قال الرجلُ للرجل: يا فلانُ فقال لَبَّيك وسَعْدَيْك، فقد قال له قُرْباً منك ومتابَعةً لك، فهذا تمثيْل وإن كان لا يُستعمل في الكلام كما كان بَراءةَ الله تمثيلاً لسبحانَ اللهِ، ولم يُستعمل، وكذلك إذا قال لَبَّيْك وسَعْدَيْك يعني بذلك الله عزّ وجلّ فكأنّه قال أَيْ ربَّ لا أَنْأَى عنك فيشيء تأمُرني به، فإذا فعَل ذلك فقد تقَرَّب إلى الله بَهواه وأمَّا قوله وسَعْدَيْك فكأنّه يقول أنا متابعٌ أمرَك وأوْلياءَك غيرُ مُخالِفٍ، فإذا فعل ذلك فقد تابَعَ وطاوع وأطاع؛ وإنّما حمَلَنا على تفسير لَبَّيْك وسَعْدَيْك لنوضِحَ به وجه نصبِهما لأنَّهما ليسا بمنزلة سَقياً وحَمْداً وما أشبه هذا ، ألا ترى أنك تقول للسائل عن تفسير سَقيًا وحَمْداً إنَّما هو سَقاك اللهُ سَقْيًا وأَحمدُ الله حَمْداً وتقول حَمْداً بدلٌ من أَحمدُ الله وسَقيًا بدلٌ من سَقاك اللهُ ، ولا تقدر أن تقولَ أُلِبُّك لَبًّا وأُسْعِدك سَعْداً ولا تقولُ سَعْداً بدلٌ من أُسعِد ولا لَبًّا بدلٌ من أُلِبُّ ؛ فلمّا لم يَكُنْ ذاك فيه التُمس له شيءٌ من غير لفظه معناه كبراءةَ اللهِ حين ذكرناها لنبيَّن معنى سُبْحانَ اللهِ ، فالتَمستُ ذلك لَلَبَّيْك وسَعْدَيْك واللفظ الذي أشتُقّا منه إذ لم يكونا فيه بمنزلة الحَمْدِ والسَّقْي في فعِلهما ولا يَتصرَّفان تصرُّفَهما)) (١٦).

فهذا النص مشبع بفكرة افتراضية البنية التركيبيّة

اعتماداً على البنية الظاهرة، ويرد التفسير ليكون البديل اصطلاحيّاً للربط بين البعدين في مجال فهم الكلام، مع بروز مصطلح(التمثيل) بمثابة النظير الإجرائيّ لمصطلح الافتراض. وهو أيضا من المصطلحات التي برزت عند سيبويه وجرى توظيفه بوصفه آلية منهجيّة متعلقة بمجال الافتراض، وتفسير البنى الظّاهرة على وفق بنى عميقة، أو أصول كليّة ترتّد إليها الاستعمالات الظاهرة. وأمثال هذا التّحليل كثيرةعند سيبويه سواء ما ذكره عن أستاذه الخليل أم كان من رأيه. ويبرز في النّصّ أيضاً افتراضيّة البنية الدّلاليّة للمنطوق بقوله:(فكأنّه يقول أنا متابعٌ أمرَك وأوْلياءَك غيرُ مُخالِفٍ).

لكنّ التّعليل النحويّ بما فيه من افتراض اتّخذ بُعدا آخر فيما بعد على نحو أصبح محاولة للكشف عن حكمة العرب في كلامها باتّساق ألفاظها على وفق نظام محدّد ومسالكها في هذا الكلام، وهو ما برز عند ابن جنّيّ(ت٣٩٢هـ)ببيان علل سائر الكلام، وأنّ التعدّد لا ينفي الإطار الجامع المعبّر عن اتّساق أجزاء الشيء لرسم صورته الكليّة في ظل البناء الكليّ للغة. وعلى العموم فقد بقي هذا المنحى الافتراضيّ حاضرا عبر مسار التّعليل والقياس في الدّراسات النّحويّة العربيّة، ولكنّه اتّخذ جانبا متقعرا في ظل الباعث المنطقي عند طائفة من النّحويين الخالفين ابتعدوا به عن الحسن اللغوي الذي ظهر في كتاب سيبويه، ثمّ آل النّظر النحويّ إلى تعليم النّحو(أي: معرفة القواعد) لا فهم طرائق العرب في كلامها ومسالكها في نظم معانيها ، واستمر الحال إلى العصر الحديث، فتحوّل الاهتمام نحو مقاربة ما جاء من النّحو العربيّ بالتّوسل بآليات منهجيّة جديدة أفرزتها التّيارات اللغويّة التّي برزت في أوربا وأمريكا.

ونعتقد أنّنا في هذا البحث بصدد التّأصيل لهذا المنحى اللغويّ الذي أقيم عليه نحو الكتاب ونظنّ أنّ بدايته كانت بفعل مؤثّرات نابعة من البيئة العربيّة التّي نشأ بها هذا النّحو، المتمثّلة بالمراكز العلمية في البصرة والكوفة وهي مراكز استندت في امتدادها وثرائها العلميّ إلى أعمال الخليل وسيبويه الجليلة. وكان لها الأثر الفاعل في البناء المنهجيّ والعلميّ والاجتماعيّ للمدرستين ومن ثَمّ لبقية المدارس، إلا أنّنا نعتقد أنّ أصل ذلك كان بفعل التّوجهات العلميّة التّي أرسى دعائمها الإمام جعفر بن محمّد الصّادق(عليه السلام) في إطار سعيه الحثيث نحو التّأسيس للعلوم المختلفة على وفق رؤى علميّة، أسهمت في إبراز علوم شتى وعلماء متخصصين، ولم يقتصر الأمر على الجانب القرآني أو الفقهي بل تعدّى ذلك إلى عقد الحلقات العلميّة حتّى تجاوز عدد من استمدّ علمه من هذا الإمام أربعة آلاف طالب،جماعة منهم من زعماء المذاهب الإسلاميّة كأبي حنيفة النّعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، وغيرهما وآخرين ممّن كانوا من المبرزين في علوم الكلام والعقائد والسنن وعلوم القرآن والتفسير. ولم يقتصر الأمر على تدريس العلوم الدينية بل هناك الفلسفة والعرفان الى جانب علوم الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، وقد تولى الإمام بنفسه تدريس هذه العلوم(١٧). والكلام عن إنجازات الإمام في مجال تدريس العلوم وتأسيس مسارات بعضها أو إحكامها

واسع، وعقدت عليه الدراسات والأبحاث المطولة والمختصرة، مما لا تسعفنا مساحة هذا البحث لتناوله. ونحن هنا سنرصد موضعا تأسيسيّا وريادياً آخر للإمام الصادق(عليه السلام) لم يلتفت إليه الدارسون، وهو وضع الأسس المنهجيّة للعلوم بقيامها على النظر والتدبر والبحث عن العلل الكامنة خلف الظواهر الملاحظة ، فلا يكتفي الإنسان بما يراه ويسمعه بل عليه أن يكشف عن النظام الكامن خلف ذلك، وعلى قدر تعلق الأمر بنا في مجال تخصص الدراسة النحوية لاحظت أن كلام الإمام الصادق(عليه السلام) وتوجيهاته العلميّة قد أسهمت إسهاما فاعلا في تطور الدرس النحويّ عند الخليل وسيبويه، وقد ورد هذا الموضع فيما أملاه الإمام على صاحبه المفضل بن عمر الجعفيّ (١٨)، وقد عرف هذا الإملاء بـ(توحيد المفضّل). وهناك من النصوص الداعمة لما ورد في هذا الكتاب مما نقل من أحاديثه عليه السلام، ولكنني اكتفيت في هذا البحث بما ورد في هذا الكتاب.

وأنوّه إلى أنّ عملاً بحثيّاً سابقاً كان مرتكزه بعض مواد هذا الكتاب، إذ تظهر طائفة من نصوص كتاب (توحيد المفضل)أن الإمام الصادق (عليه السلام) وضع فيه اللبنات الأولى لعلم الأصوات عند العرب، بمساراته الثلاث كما هي عند المحدثين وهي: إنتاج الأصوات، والوسط الناقل للأصوات، وجهاز السمع، مع ما اشتمل الكلام من تحديد مخرجيّ لطائفة من الأصوات تظهر اتفاق الخليل معه فيها. كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان قد شبّه جهاز النطق بالمزمار الأعظم، وهو تمثيل له أثره في فهم آلية النطق، وريادته في ذلك ممّا له الأثر في الدراسات اللاحقة، ولاسيما عند ابن جنيّ الذي أورد هذا التشبيه في صدر كتابه سر صناعة الإعراب(١٩). وكذا ((رصد البحث ريادة الإمام الصادق(عليه السلام) في مصطلحات صوتيّة؛ تعدّ الآن من أهم المصطلحات الصوتية منها: الصوت ومخرج الصوت، والحرف، والآلة، والتهيئة، وأعضاء النطق التي ذكرها في حديثه عن إنتاج الأصوات، مع مجريات متعددة دخلت في الدّرس الصّوتيّ منها: كيفيّة إنتاج الأصوات وتشبيهه أعضاء النّطق بالمزمار. والرّئة بالزّقّ مصدر هواء الزّفير. ووظيفة الحنجرة التّي يخرج منها صوت صفيريّ كأنبوبة المزمار)) (٢٠).

ولم يقف تأثير الإمام في هذا الجانب عند اللغويين بل تجاوزهم إلى الفلاسفة الأطباء ممن اعتنى بالنظر إلى خلقة الإنسان أو أصواته فهناك من الدّلائل الواضحة على تأثرهم بأقواله الأمر الذي يثبت ريادة الإمام زمنيّاً وعلميّاً في هذا الجانب حتّى لنعدّه عليه السلام المؤسس لعلم الأصوات عند العرب.

المبحث الثانيّ

فكرة البناء الكليّ والمنهج التعليليّ عند الإمام الصّادق(عليه السلام)

كانت القضيّة التي ابتدأ بها كتاب التوحيد القول في حكمة الخالق في خلقه، والعلل الكامنة وراء مظاهر الخلق وتفصيلات تلك الخلقة، وأن إدراك هذه الحكمة تنشأ من تأمل تلك المظاهر، والبرهان على مكمن الابداع الإلهي فيها. ولهذا الإملاء قصة أوردها المفضل بن عمر في صدر روايته ما أملاه

عليه أستاذه الصادق عليه السلام فقد ذكر أنه وهو بقرب قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) سمع من ابن أبي العوجاء وبعض أصحابه وهما من الملاحدة كلاما عن الله ساءه سماعه، فلم يملك زمام نفسه حتّى نهرهما متعجلا الردّ عليهما فقال له ابن أبي العوجاء:((ياهذا إنْ كنتَ من أهل الكلام كلّمناك، فإنْ ثبتت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك؛ وإنْ كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصّادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا؛ ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدّى في جوابنا، وإنّه الحليم الرّزين العاقل الرّصين لا يعتريه خرقولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا، ويتعرف حجّتنا حتّى إذا استفرغنا ما عندنا ، وظننا أنّا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير يلزمنا به الحجّة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً فإنْ كنتَ من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)) (٢١).

فأسقط في يد المُفضّل ولم تكن له القدرة على مجاراتهما فلجأ الى إمامه جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)، فأجابه الإمام (عليه السلام) : ((يامفضل لألقيَنَّ عليك من حكمة الباري جلّ وعلا وتقدّس اسمه في خلق العالم والسّباع والبهائم والطّير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشّجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحير فيه الملحدون؛ فبكر علي غداً)) (٢٢).فما كان من الإمام في اليوم التالي إلّا أنْ بدأ معه ببيان خلق الموجودات، وعلل ما عليه من هيئات أعضائها وتكوين أجسامها ممّا فيه الدّلالة على الله تعالى وحكمته في الخلق؛ وكان المُفضّل قد طلب من الإمام أنْ يكتب ذلك فإذِن له الإمام، ومن ههنا عرف هذا الإملاء بتوحيد المفضّل.

لقد ركّز الإمام الصّادق(عليه السلام) فيما ألقاه على المُفضّل أنْ يأتي في صدار كلامه على مقدّمة تكون مدخلا لبيان موضوع الكتاب وهدفه، وما ينبغي للمخلوقين من التنبّه عليه ومعرفة حكمة الله تعالى فيه حاثّا على تدبّر الأشياء، وتأمّل دواخلها والأسباب التي تكشف تلك الحكمة، وقدرته في خلقه الدّالّة على وحدانيته وحيرة من ألحد فيه، وسلوكه طريق الجهل والتعامي، ابتدأ الإمام كلامه مع المفضّل بقوله:

((إنّ الشّكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهمعن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر، والسّهل والوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التّكذيب والعنود)) (٢٣). فنحى بهم ذلك الى إنكار حكمة الخالق وانكاره، قال الإمام:((...حتّى أنكروا خلق الأشياء، وادّعوا أنّ تكوّنها بالإهمال لا صنعة فيها، ولا تقدير ولا حكمة من مدبِّر، ولا صانع؛ تعالى الله عمّا يصفون و(...قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة٣٠، المنافقون٤)...)) (٢٤)

وهنا يأتي وصف الإمام لهم الوصف المهم الذي يؤسس دعوته المنهجيّة بل تصوّره البنائيّ للكون ولسائر العلوم؛ قال الإمام في عقب الكلام السابق

فقال:

((فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلةِ عميانٍ دخلوا داراً قد بُنيَتْ أتقنَ بناءٍ وأحسنِه وفُرِشت بأحسنِ الفَرشِ وأفخرِه وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التّي يحتاج إليها، ولا يستغنى عنها، ووضع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التّقدير وحكمة من التّدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها.

لا يُبصِرونَ بِنْيَةَ الدَّارِ وما أُعِدَّ فيها، ورُبَّما عثر بعضُهم بالشيء الّذي قد وُضِع موضعَه، وأُعدّ للحاجة إليه، وهو جاهلٌ للمعنى فيه، ولِمَا أُعِدَّ، ولماذا جُعِل كذلك؛ فتذمّر وتسخّط وذمّ الدّار وبانيها ، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة، وثبات الصنعة. فإنّهم لما عزبتأذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والإربفيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطإ كالذي أقدمت عليه المنانية الكفرة، وجاهرت به المُلحدة المارقة الفجرة،وأشباههم من أهل الضّلال المعلّلين أنفسهم بالمحال،فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه، ووفقه لتأمّل التّدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير، وصواب التّقدير بالدّلالة القائمة الدّالة على صانعها أنْيكثرَ حمدَ الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثّبات عليه والزيادة منه فإنّه(جلّ اسمه)، يقول:((لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُم إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ (إبراهيم٧)..)) (٢٥).

فالإمام ههنا يعيد تشكيل الرؤية الكونية من الاتّساع الّذي يفوق إحاطة البشر، أو الاتساع الذي لا يدري الناظر إليه من أيّ جهة يقبل عليه، الى رؤية منهجيّة ترتكز على فكرة النّظام أو النسق فالكون الهائل الاتساع بمنزلة الدار المنتظم الأركان، والتّشبيه بالدّار الذي يقدّمه الإمام هو تشبيه النّسق، وهو هيأة يدركها العقل ويتصورها الذهن فذلك النّسق بوصفه فكراً كليّاً تجريديّاً، قادر على حصر الأشياء المتّسعة، والنّظر إليه على وفق قانون التّراتبية، أي قانون العلل المؤديّة، فإنّ الجهل هو مكمن الذّم لهذه التكوينات، قال الإمام الصادق(عليه السلام): ((فإنَّهم لما عَزبت أذهانُهم عن معرفة الأسباب والعللِ في الأشياءِ، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى... فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته)) يأتي الإمام بهيأة الدار((دخلوا داراً قد بُنِيَت أتقنَ بناءٍ وأحسنِه... ووضع كلُّ شيءٍ من ذلك موضعه)).

وهو تشبيه يُلمَح فيه تقرير مستويين من النّظر:

المستوى الأول: الرؤية الكليّة والطابع الافتراضيّ المقترن بها.

المستوى الثانيّ: التأسيس البنائيّ أو بالأحرى الإنشائي الناظر الى كيفية تكوّن الأشياء وكيفية امتداد أجزائها وترابطها الخطي أفقيّا أو عموديّا. وهو الذي يُلمَح من استعمال الإمام لفظة الدّار الواردة في النّصّ كناية عن هذا العالم وانتظام أجزائه وتناسقها.

وإذا كان المستوى الأول يتخذ من الذهن موضعا

لشغله وتحركه فإنّ المستوى الثانيّ تتجلى به مفردات الواقع. فالذّهن يوفر فرصة الافتراض الذي لا يكتسب شرعيّة وجوده إلا في ظل نماذج حسيّة. وعلى الرغم من أنّ كلام الإمام (عليه السلام) ورد في سياق إثبات الخالق وحكمته في تدبير أحوال هذا الكون ودقائق مخلوقاته، إلا أنّه يُمثّل في نظرنا صياغة لمنهجيّة عامّة في كسب العلم والبرهنة على الحكمة، والانتظام فيما خلق الله تعالى. ومن العلوم التي نظنّ أنّها أُسِّست في ظل استلهام هذه المنهجيّة علم العربيّة الذي يمثّله علم الخليل وعلم تلميذه النجيب سيبويه، وندعي أنّ كلا مستويي النظر الافتراضي والإجرائي(بنظرته الإنشائية)قد ظهرا بوضوح عند هذين العَلَمين، ويظهر أنّها منهجيّة جديدة للنّظر النّحويّ خطّها الخليل، وأقيم كتاب سيبويه عليها. وكان الخليل قد رسم أولى مساراتها التحليليّة، على نحو تمكّن من أنْ يكون درسه اللسانيّ درساً مميَّزاً في فهم كيفيّة تكوين الكلام بأنساقه المتعددة ووظائف مفرداته، وما يعتريها من تغاير عن أصولها، بل في كيفيّة القول بوجود تلك الأصول. وقد ظهر من ذلك عندهما ما استدعى بروز مواقف كثيرة تبيّن أنّ هناك نحواً يختلف عن النّحو الذي كان سائداً.وقد تقدّم من ذلك ما سبق ذكره من أنّه عاب على النحويّين اكتفاءهم بالإعراب، وعدم اهتمامهم بمعرفة جهات صحة الكلام وخطئه ولا جهات الإحالة في الكلام والقبح والاستقامة مع ذكر علل ذلك، ووجوه القول فيها، وهو أمر كان مثار تميّز الخليل وسيبويه.

لقد اشتمل قول الإمام الصادق(عليه السلام) المتقدم على طائفة مهمة من الألفاظ البنائيّة لها أثرها في وضوح المقصد ودقّة المطلب وهي ألفاظ : (بنيت، وبنيةالدار وبانيها، وتكونها، والمبني، والبيت). ولعلّ في استعمال الإمام عليه السلام للمركب الإضافيّ (بنية الدار) ما يقترب بوضوح من الفكرة النّسقيّة وافتراضيّة كليّة لبنية الدّار. وهي تؤسس النّظر إلى الأشياء على وفق الصّورة الذّهنية التي مكمنها الفكر لا الاستغراق في الجزئيّات وافتقارها الى الرابط المؤدي إلى تفتت الرّؤية، ومن ثمّ غياب الثمرة الكبرى من التدبّر.

ويواصل الإمام في مقدمته لتقرير هذا الإطار من مستويي التّفكير منتقلا من جزيئاته إلى العالم الّذي يضمها فيقول منبِّها المُفضّل:

((يا مُفضّل، أوّل العبر والدّلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه؛ فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدِّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده...)) (٢٦).

والإمام ههنا بعودته الى طرح الفكرة من جديد، يتوجه إلى متدبّر هذا العالمفبعد أنْ ذكرها أولاً من جهة من لا يتدبّر أي الضُّلال(جمع ضالّ)، يتوجَّه الإمام إلى بعض تفصيلات هذا البناء، وهو تهيئة العالم الدّالّة على الاتّساق الكلّيّ،وتآلف أجزاء هذا العالم وترابطها بعضها ببعض، لتكوين صورة هذا العالم أو هذا الدار عبر المسارين السابقين. فالمسار التّجريديّ يلمح من الترابط الخفيّ أو المقدّر بين الأجزاء، والمسار الثاني الظاهر يُلمح من نظم

الأجزاء المكوّنة للبناء الظاهر.فالمستوى التجريدي يظهر في ما ذكره الإمام في اختياره بديلا تشبيهيا عن العالم الملاحظ فهو بمنزلة البيت المنتظمة أجزاؤه، فيقول في عقب النص السابق:((...فالسماء مرفوعة كالسّقف والأرض ممدودة كالبساط والنّجوم مضيئة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذّخائر.وكلّ شيءٍ فيها لشأنِه معدّ، والإنسان كالملك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقديروحكمة ونظام وملائمة، وأنّ الخالق له واحد، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعضٍ جلَّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه، ولاإله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون)). (٢٧)

فالإمام في هذا النصّ نحى الى تفصيل وجه المشابهة بين البيت، وهذا العالم ليضع المتدبّر على طريق البحث عن الحكمة في هذا الجزء وذاك؛ فكما أنّ للبيت سقفا فقد جعل الله تعالى السّماء سقفا للأرض، وكذا في النّجوم والأرض المبسوطة فهي بسط البيت ومصابيحه ...كلّ ذلك فيما يمكن أنْ يكون رغبة من الامام في بيان تفصيل ما أجمل ووضوح ما يؤمّل؛ وإنّنا على عظم هذا العالم واتساعه، إلاّ أنّ في الإمكان فهمه كما تُفهَم تفاصيل تلك الدار الصغيرة الذي ألفنا رؤيتها كلّاً وأجزاءً، وتفهم الحكمة في تكوينها.

وتتّضح معالم أخرى للتشبيه بالدّار(الذي تحوّل إلى رمز للكليّة البنائيّة المنتظمة النّسق)،فبدن الانسان وما حواه من قوى بمنزلة الدّار،وما فيها من قوّام يقومون بشأنها، قال(عليه السلام):((...وسأمثّل لك في ذلك مثالاً: إنّ البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم، وصبيةوقوّاممو‌كّلون بالدّار، فواحد لقضاء حوائج الحشم، وإيرادهاعليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أنْ يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته، وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدّار من الأقذار، وإخراجه منها، فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن والحشم هم الأعضاء والقُوّام هم هذه القوى الأربع)). (٢٨) والعبرة ههنا أنّ الإمام يؤكّد على المتلقي أن يتدبّر فيما يراه ، ويحاول أن يفهم أنّ فيما أمامه من الظواهر تشتمل على نظام نسق على وفق بنية محددة ومنتظمة، وأنْ القول بلا تدبير أوانتظام يخالف نتيجة أدنى تدبّر.

ويلحّ الإمام على هذا التشبيه بذكره في موقع آخر بقوله:((أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً، فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما يحتاج إليه الناس، ورأى كلّما فيها مجموعاً معداً لأسباب معروفة أكان يُتوهّم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال، ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل أنْ يقولَ هذا من صنع الطّبيعة في العالم، وما أُعِدَّ فيه من هذهِ الأشياء)) (٢٩).

فهذا القول يصبّ في الإطار المنهجيّ نفسه للنّصّ الأول الوارد في مقدّمة إملائه على تلميذه المفضّل، إلا أنّأنّ الإمام(عليه السلام) انتقل بفكرة النسق من الكل الضام للأجزاء إلى الأنساق الجزيئة التي تندرج في نسق عام، بمعنى أنّنا أمام أكثر من مستوى للنظر البنائيّ فالدّار ههنا ضمّت في داخلها ما يدلّ على

انتظام الأجزاء وأن وراء ذلك من العلل والأسباب ما ينبغي الكشف عنه .

المبحث الثالث

البناء الكليّ والمنهج التّعليليّ عند الخليل بن أحمد الفراهيديّ

كما هو واضح من النّصوص السّابقة فإنّ ما أورده الإمام جعفر بن محمّد(عليه السلام) من جهات النّظر في دراسة الظّاهرة، وملاحظتها كان منحىً جديداً من النّظر والاعتبار، وفيه تلبية لدعوة القرآن الكريم لتدبّر هذا الخلق وتدبّر ظواهره ففيها الدّلالة على وحدانيّة الخالق وعظمته.وما قدّمه الإمام في إملائه على تلميذه المفضّل بن عمر هو منهج عمليّ للتدبّر للانتقال من بديهة الملاحظة الى الكشف عن أسرار الانتظام في كل أطراف هذا الخلق ويحقق ذلك بالكشف عن العلّل والأسباب وراء ذلك.

وعلى ما يبدو فإنّ الوقوف على العلل والأسباب لم يكن قد سبق تناوله على هكذا نحوّ ممنهج، وهو توجّه يؤسس لمعالم تفكير علميّ للإمام الصادق وبدأه أبوه الإمام الباقر محمّد بن عليّ (عليه السلام) وأتمّه هو، فقد شهدت الحركة العلميّة على يديه تطوراً ملحوظاً تمثّل في سعيه نحو تأسيس طائفة من العلوم المختلفة الشرعية وغيرها كعلم الكيمياء والفيزياء وعلم المنطق والفلسفة الاسلاميّة والطب وبإنشاء مدرسة جامعة تجاوز عدد طلابها أربعة آلاف طالب... ولذا فقد اتّخذ الإمام(عليه السلام) هذا الموقف العلميّ لتدوين ما سيقدّمه لتلميذه الذي لاذ به ووجد عند إمامه ضالته، وموضع حاجته للرّدّ على الملاحدة، والدّهريين من أمثال ابن أبي العوجاء. ويظهر من هذا أنّ مسائل هذا الإملاء بمقدمته المنهجية المحكمة لم تكن ممّا عرفه المعاصرون فضلا عمن تقدمهم، ولو كان ذلك لما خفي على الإمام أو على أصحابه. ثمّ هناك مواضع أخرى ذكر فيها الإمام طائفة ممّا أورده ههنا، ولكنه لم يكن بمثل هذا التدوين الجامع المتسلسل. وعلى ما يبدو فإنّ الإمام كان مجدِّدا في مستوى التّنظير العلميّ والتجريبيّ في هذا الباب، وأبواب علميّة أخرى. والمتتبع لحياة الإمام العلميّة يجده قد حرص على تنشئة علماء متخصصين في هذا المجال العلميّ أو ذاك. فهذا إبان بن تغلب كان عالما بالقراءات والعربية وهشام بن الحكم في علم الكلام وزارة بن أعين في الفقه ومؤمن الطاق في العقائد وغيرهم (٣٠). ويبدو لنا أنّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ كان ذلك العالم البارع المتخصص في علم النحو العربيّ فاستطاع بما أوتي من فطنة أنْ يوظّف بعض رؤى الإمام جعفر الصادق ليمدّ النّحو العربيّ بمنهجيّة جديدة، وليبدأ النّحو على يديه مرحلة جديدة من النظر النحويّ العميق. وقد أتينا فيما سبق على ذكر جوانب تمثّل هيمنة واضحة للفكرة النسقيّة الافتراضيّة في كيفيّة النّظر إلى كلام العرب وتحليله. وسنتبيّن أثر ذلك في منهج النحو العربي بل في مجمل النظر اللغوي مما ظهرت معالمه عند الخليل وسيبويه ليصبح علم النّحو العربي علماً تفسيريّاً وتعليلاً يتجاوز ظواهر الكلم والجمل المكتوب منها والمنطوق الى أن يقدّم درساً لغويّاً ذا أبعاد فكريّة ومنهجيّة مختلفة تسبر غور الظاهرة الكلاميّة فتتّخذ

لتحليلها عدّة مسارات لتلتقي عند نقطة تتجمع عندها نتائج تلك المسارات لتبني للجملة، وللكلام صورة كليّة متداخلة من الصّور الجزئية؛ ومن ثمّ لا يخفى مدى التّطور الذي أحدثه فكر هذين الرجلين في الحضارة العربية ونضجها في هذا الجانب من الدّراسة تحديداً وفي غيره تأثّرا به.

ويبدو لي أنّ علم النحو قبل هذه المرحلة التي يمثلها كتاب سيبويه كان علم إعراب يهتمّ بما يقيم العلامات من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، متأثراً على ما يبدو بسيرة قديمة لم يستطع تطويرها إلّا قليلا؛ ولعلّه أخذها عن إرهاصات المرحلة الأولى المتمثّلة بعمل أبي الأسود الدؤليّ عند تنقيطه المصحف الشريف بنقط الإعراب. ثمّ جاء عصر الخليل الذي كان له فضل تطويرها إلى رموز إعرابيّة، عُرِفت بالحركات ليتسنّى للناظر في الكلام أن يلمح هذه الآليّة الإعرابيّة بسرعة، وألاّ تختلط عليه النقط، ولاسيما مع نقط عاصم (أي: نقط الإعجام).

إنّ مُدّعَى تأثّر الخليل الفكريّ بالإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، فضلا على ما جرى بيانه من نزعة الطرفين نحو فكرة البناء الكليّ الافتراضيّ، والكشف عن العلل والأسباب الكامنة وراء الظواهر الملاحظة يستند إلى ما جاء في مدوّنة الزجاجي(ت٣٣٧هـ) التي وُسمت بالإيضاح في علل النحو على حين وسمها صاحبها بـ (الإيضاح في أسرار النحو) فقد دوّن فيها عن بعض شيوخه جواب الخليل عن سؤال سئل الخليل، ولعله لم يكن سؤال فحسب بل ربما كان استغراباً أو استنكاراً لطرائقه في التعليل لكلام العرب؛ يعبّر عن حيرة من حوله كيف تأتّى له أن يقول في كلام العرب ما كان يقول من العلل؛ قال الزجاجي:((ذكر بعض شيوخنا أنّ الخليل بن أحمد- رحمه الله-سُئل عن العلل التي يعتّل بها في النّحو، فقيل له:عن العرب أخذتَها أم اخترعتَها من نفسك؟ فقال:إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنّه علّة لما علّلته منه، فإن أصبتُ العلّة فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علّة له، فمَثَلي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدّار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجائز أن يكون الحكيم الباني للدّار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الّذي دخل الدار، وجائز أنْيكون فعله لغير تلك العلّة؛ إلا أنّ ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك، فإنّه سنح لغيري علّة لما عللته من النّحو هو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأتِ بها)) (٣١).

فالخليل كما هو واضح استعمل التّشبيه نفسه الّذي استعمله الإمام الصّادق(عليه السلام) الآنف الذّكر مطبّقاً إيّاه على الجانب اللغويّ،وكما يتّضح فهذا الجواب أورد في سياق بيان فعل كليّ اتّسم به جهد الخليل في المجال النحويّ.وعلى ما يبدو فإنّ نصوص سيبويه المتعلّقة بمؤاخذته النّحويين والعيب عليهم

لتوجّههم نحو الإعراب بوصفه غاية عملهم من دون الولوج في أعماق الأنساق الكلاميّة وأنماطها للكشف عن آليات نشأة الجملة وترابط أجزائها - تعضّد بروز حالة الاستغراب ممّا قام به الخليل وطريقته في فهم كلام العرب، فالكلام عنده بمثابة الدار القائمة على حسن الترتيب وأنّ حكمة قائمة من وراء تكوين أجزائها وانتظام مكونات هذه الدار ممّا يظهر للعيان، فإذا دخل حكيمٌ ذلك الدار طفق يكشف عن علل ذلك الترتيب، وتناسق أجزاء الدار، فالتشابه بين ما قاله الإمام الصادق(عليه السلام) وما ذكر عن الخليل من جهة اللفظ واحدة وهي الدار، وإنّ مهمة الداخل إلى هذا هي محاولة الكشف عمّا وراء هذا البناء الظاهر. وهذا الجدول يظهر ذلك بوضوح:

قول الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام)	قول الخليل بن أحمد الفراهيدي
إنّ الشّكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه... فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلةِ عميانٍ دخلوا داراً قد بُنيَتْ أتقنَ بناءٍ وأحسنِه وفُرِشت بأحسنِ الفَرشِ وأفخرِه... ووضع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التّقدير وحكمة من التّدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها. لا يُبصِرونَ بِنْيَةَ الدَّارِ وما أُعِدَّ فيها، ورُبَّما عثر بعضُهم بالشيء الّذي قد وُضِع موضعَه، وأُعدّ للحاجة إليه، وهو جاهلٌ للمعنى فيه، ولِمَا أُعِدَّ، ولماذا جُعِل كذلك؛ فتذمّر وتسخّط وذمّ الدّار وبانيها ، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة، وثبات الصنعة. فإنّهم لما عزبتأذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمونما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والإربفيه فيسرع	فمَثَلي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدّار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك. فجائز أن يكون الحكيم الباني للدّار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الّذي دخل الدار، وجائز أنْ يكون فعله لغير تلك العلّة؛ إلا أنّ ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك، فإنّ سنح لغيري علّة لما عللته من النّحو هو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأتِ بها.

إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطإ كالذي أقدمت عليه المنانيةالكفرة، وجاهرت به المُلحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضّلال المعلّلين أنفسهم بالمحال، فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه،ووفقه لتأمّل التّدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير، وصواب التّقدير بالدّلالة القائمة الدّالة على صانعها أنْ يكثرَ حمدَ الله مولاه على ذلك.	

ويتّضح أنّ الدعوة الى تبنّي الفكر البنائيّ في بناء المعرفة العلميّة عند الخليل واضحة عبر هذا النصّ المهم، وذلك باعتبار الانتظام في المنجز وهو الكلام؛ وهو في المثال الدار المحكمة البناء، التي لا يمكن انكار انتظامها، فكذا رأى الخليل كلام العرب. وهو يمدّنا بكثير من التصورات الملحقة بهذا التشبيه، فاللغة أو الكلام هي البناء الظاهر، وأنّ من وراء هذه البناء الظاهر بنية منتظمة يمكن تصوّرها. ((فالخليل (رحمه الله) ينحو في كلامه المتقدم الى إظهار التّعليل بوصفه وظيفة يمارسها النحويّ لإدراكه مبدأ العلة والمعلول ؛ وإدراكه أيضاً أنّ اللغة نسق محكم البناء. وتكوّن هذا النسق خضع لحكمةٍ، والبحث عن هذه الحكمة وظيفة النحوي، ويعدّ التّعليل المظهر الأكثر بروزاً لهذه الوظيفة، وسيمتدّ البحث عن الحكمة الى الأجيال اللاحقة من النحويّين فنراه يظهر عند ابن جني بوصفه هدفاً رئيساً من أهداف التّعليل في البحث اللغويّ بعمومه)) (٣٢).

وتبقى هذه الصورة البنائية في مستواها التجريدي قائمة، وإن تغير البناء أو انحرف كما في التغيرات التي تطرأ على الجمل من نحو: التقديم والتأخير والحذف والزيادة والبناء للمفعول وغيرها ... ولعلنا من أبرز تطبيقات الخليل لهذا الصورة البنائية ، أن اصطلح على ركني الجملة بنوعيها سواء التي ابتدأت بفعل، وكذا التي ابتدأت باسم بنمط جمليّ جامع هو (سند ومسند إليه) ، فقد ذكر في كتابه العين قوله في السند:((ما ارتفع من الأرض في قُبل جبل أو وادٍ وكل شيء اسندت إليه شيئاً فهو مُسْنَد. والكلام سند ومسند كقولك: عبدالله رجلٌ صالحٌ، فعبد الله سَنَد، ورجل صالح مُسْنَد إليه...)) (٣٣). فلفظة السند مرتبطة بالبناء لاقترانها بمعنيي الارتفاع والاعتماد(٣٤). وهو الأمر الذي أفاد منه سيبويه لتطوير توجهاته النحويّة بإطلاق تسمية (المسند) بدل السند، فاستبطن داخل هذه الصّياغة فاعل الكلام ومنشأه وهو المتكلم، ما قد يكشف عن وجه آخر من نظرة سيبويه لمرحلة التكوين العميقة التي تصاغ فيها البنية التركيبيّة في العربية، وإعطاء المتكلم

قدرته على إحداث الإنتاج اللغويّ وصياغة كلامه بين مستويي الافتراض والأداء.

ولم يقتصر توظيف صورة النسق(الدار) لدراسة كلام العرب التي أرساها الإمام منهجاً علميّاً ووظّفها الخليل توظيفاً فاعلاً في مجال النّحو العربيّ اتّخذت أبعاداً أكثر سعة وظهورا في كتاب سيبويه، فترى سيبويه في كثير من مجريات الكتاب وتراتب أبوابه وتحليل موضوعاته قد ارتكز على هذه الفكرة.وأبرز ما نأتي على ذكره ههنا أن ألفاظ البناء قد كوّنت المنظومة الاصطلاحيّة المهمّة في الكتاب، ولقد استعمل سيبويه في ظل تأثّر واضح بأستاذه الخليل ألفاظ البناء و الانشاء ما يزيد عن استعمال أيّ لفظة أخرى؛ فلفظة بنى وأخواتها في الكتاب استعملت في (٩٨٩) موردا(٣٥). وهذه الكثرة تشير إلى المدى الذي بلغته الفكرة البنائية في نحو الكتاب خاصّة والنحو العربيّ بعده عامّة، ما يدين بالفضل للإمام الصادق(عليه السلام)، ولتلميذه الخليل(رحمه الله).

ثم إنّ هذا الأمر تجاوز الى خصيص المنهج النّحويّ في النّظر الى الظاهرة الكلاميّة بالبعدين أو المستويين الذين ظهرا في كلام الصادق(عليه السلام) الافتراضيّ والتّعليليّ فقد نحا سيبويه إلى توظيف هذين البعدين في نصطلح عليه بالمستوى القبليّفي تحليل الكلام وهو واحد من مجالات التّحليل المهمة التي ظهرت في الكتاب بمسارات متعددة يمكن إجمالها في ثلاثة مسارات أساسيّة هي نظرية الأصول اللغوية والنحوية ومفهوم(تمثيل ولم يتكلم به)، والجملة الأصل في العربية.

والمستوى الظاهر: مستوى التعامل مع المنطوق المؤدَّى من كلام العرب بتصنيف ألفاظه وتراكيبه. فالأصول التي ظهرت عند سيبويه في إطار نظرية الأصول النحوية عنده(٣٦)، وهي التي تمثل المستوى القبلي المتحكِّم بطبيعة تكوين المستوى الظاهر وطبيعة التحوّلات التي تطرأ على الكلام، تنحو الى القول بأنّه تمّ النظر الى:

١. النّظام النحويّ يقوم على أسس عقليّة، قائمة في عقول متكلميّ تلك اللّغة. ويمكن أن تكون تلك الأسس هي مجموعة الأصول التي ظهرت عند سيبويه.

٢. الكلام بوصفه بناءً (نسقاً) منظماً. ويتخذ هذا النسق بعدين: أفقيّ وعموديّ.

٣. تتخذ الجملة التكوين العمودي لوحداتها فمكونات الجملة ترتفع الواحدة فوق الأخرى. وبهذا الصدد نجد تعبير سيبويه عن منزلتي الفاعل والخبر بالمبني عليه، والمسند إليه.

٤. تمثّل كلُّ لبنة في هذا البناء لفظة مرتبطة بلفظة أخرى في الأقل. وتتابعُ اللبنات يمثل سلسلة الكلام.

٥. تتّخذ اللبنةُ الأولى في هذا البناء موقع الأساس الذي ترتفع عليه بقية لبنات البناء، وبذا فكلّ لبنة فيه هي متعلّقة في الأصل بذلك الموقع.

٦ ٠ ويتّضح أنّ هذا النظر النحويّ لم يتأسس أوّلا على مفاهيم مجردة أو تصوّرات غير كلاميّة

بل الكلام (الأداء) هو الذي يُعتمد للكشف عن النظام اللغوي وقواعده؛ لأنّ الدار واقع يتأمّله الحكيم، وهي توظيف للصورة التي عرضها الإمام في قوله((فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلةِ عميانٍ دخلوا داراً قد بُنيَتْ أتقنَ بناءٍ وأحسنِه وفُرِشت بأحسنِ الفَرشِ وأفخرِه ..)) وكذا الخليل:((فمَثَلي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة)) فكان لابدّ من الدخول الى هذا الموجود لتأمل اتّساقه ونظمه الدّال على الحكمة.وهو من بعد ليس بعيدا عمّا ألفه الناس في حياتهم، وعلى هذا فالنظرية النحويّة العربيّة التي يمثّلها كتاب سيبويه انطلقت من بيئتها، ومثلتها في كثير من مجرياتها ولم تنزع بعيدا عنها على ما يحلو لجماعة من الدارسين الادعاء أنها أُسست بتأثيرات خارجيّة يونانيّة مرة وأخرى سريانية وأخرى هنديّة، أو غير ذلك؛ ولا سيّما عندما يضعون أمامهم مسألة القول بالعامل النّحويّ، على الرغم من أنّ منطلق القول بها متسق مع فكرة الدار فالعامل هو البنّاء إذا بنى استعمل اللبن على ما ذكر الخليل في معجمه(٣٧).وعلى هذا فقد عمل الخليل وسيبويه على توظيف التصور البنائي للدار ليرسما الهيكل الضامّ المعبّر عن اللغة. وما قدمه سيبويه في هذا الجانب يمكن أن يفسّر في ضوء النص الخليليّ،و الإماميّ على نحو أشمل كلام العرب(٣٨).

خاتمة البحث:

أجمل نتائج البحث في نتيجة عامّة،تكمن أنّ للإمام الصادق(عليه السلام) في مقدمته المنهجيّة التي صدر بها إملاءه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي وهو الإملاء المعروف بتوحيد المفضل كان قد وضع أساسا مهما في الانتقال الى مرحلة تأسيس العلوم على قواعد منهجيّة محكمة، وقد وجدنا في هذه المدوّنة ما يدعو إلى القول بأنّ كلام الإمام هاهنا كان ملهماً للخليل بن أحمد الفراهيديّ ومن بعده تلميذه البارع سيبويه في تطوير الدّرس النّحويّ باتجاه مرحلة علميّة رائدة ، ورائد ذلك دليل مكتوب ومشهور يورد عن الخليل عندما سئل عن علله التي يعتل بها في النحو فذكر رؤيته لما ينبغي أن يكون عليه النحويّ ، وهي رؤية استقاها من الإمام الصادق فكانت فكرة الدار معبرة عن الانتظام التي ملهمة لوضع تصورات افتراضيّة في إطار تعليليّ لتوجيه الانتظام الذي يلمح في أنظمة اللغة . فقد كان من جملة الهموم التي عاشها الإمام أن يأخذ على عاتقه وضع أصول علمية للنظر والتفتيش في كل ما تشتمل عليه الحياة؛ لما في هذا من بيان مظاهر عظمة الخالق جلّ وعلا وتوحيده. وقد بثّ الإمام هذه الأصول في طائفة من محاضراته وإملاءاته ولاسيّما ما أملاه على المفضل بن عمر الجعفيّ فيما عرف بكتاب توحيد المفضل. وقد أظهر البحث المشابه الواضحة بين نصّ الإمام الوارد في مقدمة الكتاب المذكور وما نقله الزجاجي في بيان وجه العلل النحوية التي كان الخليل يقول بها، ما يظهر أنّ الخليل قد أتبع الإمام في دعوته في

النظر الى الأشياء بالكشف عن عللها، فلا يكتفى منها بظاهرها. ولذا وجدنا أن المسارين اللذين اقترحهما الإمام لفهم الأشياء وأعني بهما المسار التجريدي الافتراضي، والمسار التعليلي الذي يؤسس للكشف عن الأسباب الخافية وراء تشكل الظاهرة على هيأتها الملاحظة.

الهوامش

١- التَّعْليلُ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ (نظرةٌ في أُصُولِ اللّغةِ) بالاشتراك، مجلة جامعة كربلاء، المجلد٧و٨، ٢٠٠٩: ص٢٤.

٢- لقد استعمل سيبويه هذا اللفظ ومشتقاته عند توجيهه للتركيبات النحوية(١٥٠) مرة ، وهو عدد يمثل مدى أهمية هذا المصطلح في النظرية النحوية العربية. ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه:٣٥(هامش٢)؛ وينظر: التَّعْليلُ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ(نظرةٌ في أُصُولِ اللُّغةِ)د.حسن عبد الغني الأسديّ، وم.م.سناء علي حسين/ مجلة جامعة كربلاء/ المجلد٧و٨/ ٢٠٠٩.

٣- طبقات فحول الشعراء: ١٤/١

٤- ينظر: في أصول اللغة والنحو: ١٣١

٥- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة:٧٧. وهو قول أبي الطيب الزبيدي.

٦- الكتاب:٢/٨٠-٨١.

٧- ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه:١٩٦ وما بعدها.

٨- الكتاب:٢/١٢٤.

٩- مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٩٨.

١٠- لعلنا يمكن أن نفترض عبر سيبويه أن النّحو الذي كان مهيمنا في تلك الحقبة هو النّحو الشكلي، الذي همه

معرفة الإعراب ؛ وعلى ما يبدو فإنّه مثّل امتداداً تاريخيّاً لمعالم المرحلة الأولى لنشأة النحو العربي التي أقام درسها الأول أبو الأسود الدؤلي(ت٦٩هـ) عندما ابتكر نقط الإعراب لمعالجة ما قد يقع فيه الناس من خطأ عند قراءتهم القرآن الكريم، من غير التفات لأصحاب هذا النّحو أنْ ينظروا إليه بوصفه علما مقنّنا لدراسة الكلام ابتدأت أولى خطواته العلميّة بصحيفة الإمام علي(عليه السلام) التي أعطاها أبا الأسود وبها رسمت أولى خطوات هذا العلم ومنه عرف اصطلاحه(النّحو). للتفصيل ينظر: الإمام علي(عليه السلام) الواضع الأول للنحو العربي، د.وفاء عباس فياض، بحث مقبول للنشر بمجلة الباحث، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.

١١- وعلى ما يبدو فإنّ ما ذكرناه ونذكره عن فرادة نحو سيبويه وأستاذه الخليل تسقط ما بيدِ من جهد جهده للتّوهين من سيبويه وخطوته الرائدة في التدوين النحوي وبراعة أستاذه، فيحيل إلى ما بعض المجهولات ممّا نسبه إلى عيسى بن عمر من أنه ألف كتابين هما : الإكمال والجامع، اللذين صاغهما سيبويه في كتابه وأدّعى علمهما. وتلك على ما نظنّ آفة الحسد لهذين العلمين تنسل من بين المجهولات لتصنع لها على ألسنة مساندة بعض وجود، لا يلبث ناقلوه إلا أن يعترفوا بأعلمية هذين العلمين وتقدّمهما.

١٢- أثر القراءة الافتراضية في التخريجات النحوية (دراسة في التراث):٤٦

١٣- اشكاليات القراءة وآليات التأويل: ٥.

١٤- المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه :٢٩٨/١، الأعلام للزركلي(١٢٦/٢) في ترجمة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

١٥- مفهوم الجملة عند سيبويه:٣٦ ونص سيبويه في الكتاب:٢٦٥/١-٢٦٦.

١٦- ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه:٣٦ وما بعدها.

١٧- كتاب سيبويه:٣٥٣/١.

١٨- ينظر : الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١٩٢.

١٩- بو عبدالله أو أبو محمّد المفضل بن عمر الجَعفيّ الكوفيّ، ولد في الكوفة في نهاية القرن الأول أيام محمّد الباقر(عليه السلام)(ت١١٤هـ) والد الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ وتوفي في أواخر القرن الثاني في أيام الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)(ت٢٠٣هـ)عن عمر يناهز الثمانين سنة. ومنزلته وفضله واضح وقد جمع إلى العلم الجم والفضل الغزير والصلاح والورع شرف الوكالة عن الإمامين الصادق وابنه موسى الكاظم(عليهما السلام). ينظر: من أمالي الإمام الصادق(عليه السلام):١٥، مقدمة المحقق.

٢٠- للتفصيل ينظر: الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) (٨٣هـ-١٤٨هـ) / أ.م.د.حسن عبدالغني الأسدي، مجلة الباحث ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع٦-٢٠١٣، ص٢٦٥-٢٨٥. ومن

ذلك أن تمّ لي بكلية التربية للعلم الانسانية بجامعة كربلاء اقتراح رسالة ماجستير بعنوان:(التفكير اللساني عند الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) وقد توليت الإشراف على إنجازها، وهي تتكفل بملاحقة ما يدخل في خانة التوجهات اللغوية للإمام عليه السلام(وهي قيد الإنجاز).

٢١- الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق: ٢٨٢.

٢٢- توحيد المفضل: ٤٢.

٢٣- توحيد المفضل: ٣٨.

٢٤- توحيد المفضل: ٤٥.

٢٥- توحيد المفضل: ٤٥.

٢٦- توحيد المفضل: ٤٤-٤٧.

٢٧- توحيد المفضل:٤٧.

٢٨- توحيد المفضل:٤٧.

٢٩- توحيد المفضل:٧٦-٧٧.

٣٠- توحيد المفضل:٨٥.

٣١- للتفصيل في هذا الأمر ينظر كتابي: تأسيس الشيعة للعلوم والشيعة وفنون الاسلام.

٣٢- الإيضاح في علل النحو:٦٥-٦٦.

٣٣- تكوين الجملة وامتدادها عند سيبويه:٨٤.

٣٤- لعين: ٢٢٨/٧-٢٢٩؛ وذكره: تاج العروس:٣٨٤/٢(سند). جدير بالذكر أن النص الخليلي على الرغم من أهميته لم يلتف إليه منظرو الجملة العربية قدماء ومحدثين، وكنت قد أتيت على ذكره في أطروحة الدكتوراه (مفهوم الجملة عند سيبويه، المنجزة في ١٩٩٩) وهو نص مهمّ، ويعدّ الإشارة الأولى للإدراك الكليّ في فهم الجملة؛ وقد أظهر لنا تطورا في مسار فهم العلاقات الأساسيّة في الجملة العربية ولا سيما في مرحلة التكوين بين الخليل وتلميذه سيبويه.

٣٥- ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٤٣.

٣٦- ينظر المفهوم التكويني للعامل النحوي عند سيبويه: ١٠ ، الهامش (٤٤)

٣٧- للتفصيل : ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه :٢٢٣-٢٤٨.

٣٨- ينظر: العين:١٥٤/٢، وللتفصيل في هذه المسألة يراجع بحث: المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه، وهو بحث استطاع أن يعيد النظر في مفهوم العامل النحويّ عند سيبويه بما يمثّل مقاصد سيبويه في كون العمل هو القدرة على فتح المجال النحوية، التي يمكن وصفها بنظرية نحوية لتفسير

كيفية نشوء الجملة عبر ركنيها الأساسيين المسند والمسند إليه وإشغالها بالكلمات التي تتناسب والكلمة الأولى (المسند) وهي العامل وبيان كيفية امتداد وظائف الجملة وترابطها ،مع بيان نظرته عن وجود الكلم المولدة في نوعي الجملة في العربية وأثرها في تكوين الجمل عبر القدرة على خلق مجالات نحويّة تشغلها الأسماء للقيام بالوظائف النّحويّة المطلوبة لإتمام متطلبات المسند ومراد المتكلم. وللتّفصيل في هذا المجال ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه:١٥٤-١٨٧، (الفصل الثالث، المبحث الثاني م التكوين الخطي للجملة عند سيبويه).

المصادر والمراجع

١- أثر القراءة الافتراضية في التخريجات النحوية (دراسة في التراث)،عرابي أحمد،مجلة جذور ج٣٠، مج١٢، ٢٠١٠م

٢- اشكاليات القراءة وآليات التأويل،د.نصر حامد أبو زيد،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط١٩٩٦،٤.

٣- الإمام علي(عليه السلام) الواضع الأول للنحو العربي، د.وفاء عباس فياض، بحث مقبول للنشر بمجلة الباحث، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.

٤-الايضاح في علل النحو،أبو القاسم الزجاجي(٣٣٧هـ) ، تحقيق : د .مازن المبارك ، دار النفائس، مؤسسة مطابع معتوق،بيروت،ط٢،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس،السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيديّ،مركز الكتب الثقافية،المطبعة الخيرية المنشأة بمصر،ط ١،١٣٠٦هـ.

٦- التَّعْليلُ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ(نظرةٌ في أُصُولِ اللُّغَةِ)،د.حسن عبد الغني الأسديّ و م.م سناء علي حسين الحمداني، مجلة جامعة كربلاء، المجلد٧و٨ ، ٢٠٠٩.

٧- توحيد المفضّل، إملاء الإمام أبي عبدالله الصادق(ع) على المفضل بن عمر الجعفي، علق عليه كاظم المظفر،مطبعة الداوري، الطبعة الثالثة ، قم أيران.(النسخة المعتمدة في البحث)

٨- الجمل في النحو،أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)،المحقق: د. فخرالدين قباوة،الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٩- طبقات فحول الشعراء،محمد بن سلام الجمحي(١٣٩هـ-٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني – المؤسسة السعودية بمصر.

١٠- كتاب العين،أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٠٠-١٧٥هـ)،تحـ:د.مهدي المخزومي و د.ابراهيم السامرائي،دائرة الشؤون الثقافية العامة،دار الحرية للطباعة،بغداد.

١١- الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام٨٣هـ-١٤٨هـ)، أ.م.د.حسن عبدالغني الأسدي، مجلة الباحث ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع٦-٢٠١٣.

١٢- كتاب سيبويه، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

١٣- المفهوم التكويني لنظرية العامل النحوي عند سيبويه، تحليل وتوجيه،د.غالب فاضل المطلبي ود.حسن عبدالغني الأسدي، مجلة المورد العراقية، ع٣ ،١٩٩٩م.

١٤- مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.

١٥- من أمالي الإمام الصادق(وهو شرح ما أملاه الإمام على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي، محمد الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

و آنان
دستگیر راجم

أنماط الجملة الاسمية المثبتة ودلالاتها في الصحيفة الصادقية

Patterns of Nominal Positive Sentence and their Meanings in Sadeghiyeh Book

بحث مشترك

أ.م.د خليل خلف بشير – جامعة البصرة – كلية الآداب

الباحث علي عبد الحسين حسن – جامعة البصرة – كلية الآداب

Assist. Prof. Dr. Khalil Khalef Bashir ,University of , Basra, College of Arts

Ali Abdulhussein Hassan, University of Basra , College of Arts

ملخص البحث

فهذا بحث تناولنا فيه أبرز أنماط الجملة الاسمية المثبتة ودلالاتها في (الصحيفة الصادقية) والتي هي عبارة عن مجموعة من أدعية الامام الصادق (ع) الذي يمثل أحد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا , فهو بهذا يمتلك بعدا دينيا يتمثل بحجية كلامه فضلا عن قصدية كل حرف فيه , ثم أنّه يمتلك خصوصية أخرى تتمثل بانتمائه إلى ما يعرف في الدراسات اللغوية بـ (عصر الفصاحة) وهذا كله يعطي أهمية كبرى للنص المدروس , فضلا عن أن البحث يمثل محاولة لنفض غبار الظلم والإهمال عن تراثهم الدفين. لقد حاول الباحث جاهداً الوقوف على المعاني والدلالات التي يؤديها كل نمط من تلك الأنماط مع إبراز خصوصيته وبيان اختلافه عن الأنماط الأخر , ذاكر السياقات والمقامات التي يرد فيها , مستعملا المنهج الدلالي التحليلي للوصول إلى قصد المتكلم , قاصداً بذلك كله الكشف عن دقة الإمام الصادق (ع) في إيراد كلامه وفق ما يقتضيه المعنى ويتطلبه , مسلطاً الضوء على العلاقة الوطيدة بين السياق والنمط ؛ إذ إنَّ معنى كل نمط يتغير تبعاً لاختلاف ظروف القول وملابساته.

Abstract

This research tackles the most prominent patterns of nominal positive sentence in Sadeghiyeh Book . Sadeghiyeh Book is a collection of supplications performed by Imam Al-Sadig (pbuh), one of infallible Ahlul Bayt who has deep religious insight represented by the authority of his sayings, and his purposive use in every single letter of his speech. In addition to this, Imam Al-Sadig (pbuh) has another attribute represented by his affiliation to what is known in linguistic studies as the age of eloquence . All of this gives a great importance to the text under study.This research represents an attempt to wiping out the dust of injustice and neglect from Ahlul Bayt's hidden heritage. The researcher attempts to find out the meanings and connotations expressed by each pattern, to distinguish it from the other patterns and to mention the contexts and situations where it is used following the semantic analysis to arrive at the speaker's intention. The researcher's purpose is to reveal Imam Al-Sadig's (pbuh) precision in directing his speech as the meaning requires. The study also sheds light on the strong relationship between the context and the pattern because the meaning of each pattern changes according to the .conditions of speech and its circumstances

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على حبيبه وصفيه ونجيبه وخيرته من خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين الذين بذلوا مهجهم إعلاءً للحق ونصرة للدين .

أما بعد ...

فهذا بحث تناولنا فيه أبرز أنماط الجملة الاسمية المثبتة ودلالاتها في (الصحيفة الصادقية) التي هي عبارة عن مجموعة من أدعية الامام الصادق (ع), الذي يمثل أحد(أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا), فهو بهذا يمتلك بعدا دينيا يتمثل بحجية كلامه فضلا عن قصدية كل حرف فيه, ثم أنّه يمتلك خصوصية أخرى تتمثل بانتمائه إلى ما يعرف في الدراسات اللغوية بـ(عصر الفصاحة) وهذا كله يعطي أهمية كبرى للنص المدروس, فضلا عن أن البحث يمثل محاولة لنفض غبار الظلم والإهمال عن تراثهم الدفين .

وقد اشتمل هذا البحث على أبرز أنماط الجملة الاسمية المثبتة في (الصحيفة الصادقية), وجاءت تلك الأنماط على النحو الآتي:

١- النمط الأول : (مبتدأ معرفة + خبر نكرة)

٢- النمط الثاني : (المبتدأ معرفة + الخبر معرفة)

٣- النمط الثالث : (المبتدأ معرفة + الخبر جملة)

٤- النمط الرابع : (المبتدأ معرفة + الخبر شبه جملة)

٥- النمط الخامس : (المبتدأ نكرة)

ونظراً لضيق المقام فقد أعرضنا عن بعض الأنماط كأنماط الجمل الاسمية المؤكدة, والعوارض التركيبية للجملة الاسمية وما تشتمل عليه من تقديم وتأخير وحذف وذكر.

لقد حاول الباحثان الوقوف على المعاني والدلالات التي يؤديها كل نمط من تلك الأنماط مع إبراز خصوصيته وبيان اختلافه عن الأنماط الأخر, ذاكران السياقات والمقامات التي يرد فيها, مستعملا المنهج الدلالي التحليلي للوصول إلى قصد المتكلم, قاصدانً بذلك كله الكشف عن دقة الإمام الصادق (ع) في إيراد كلامه وفق ما يقتضيه المعنى ويتطلبه, مسلطاً الضوء على العلاقة الوطيدة بين السياق والنمط ؛ إذ إنَّ معنى كل نمط يتغير تبعاً لاختلاف ظروف القول وملابساته, فضلا عن أنَّ السياق يجتبي من الأنماط أنسبها له, ومن خلال هذه العملية التفاعلية تبرز المعية المتكلم وبلاغته من خلال المجيء بالكلام مطابقا مع لمقتضى الحال, ذلك المقتضى الذي يدق في أحيان كثيرة حتى أنّه ليحتاج إلى وقفة تأمل ليعثر بعدها الناظر والمتأمل على دقة ذلك المتكلم وشدة يقظته وانتباهه على موضوع الكلام .

نسأل الله أن يلهمنا الرشد والصلاح والعلم والعمل, وأن يجنبنا الخلل والزلل, إنه لن يجيرنا من الله أحد ولن

نجد من دونه ملتحدا, والحمد لله رب العالمين .

النمط الأول (المبتدأ معرفة + الخبر نكرة)

إنَّ هذا النمط هو أصل الأنماط في الجملة (*) ؛ لأن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة, وأصل الخبر أن يكون نكرة , جاء في (الكتاب) : ((و أحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف ؛ وهو أصل الكلام)) (١), وذكر ابن يعيش : ((إنَّ أصل المبتدأ أن يكون معرفة وأصل الخبر أن يكون نكرة ؛ وذلك لأن الغرض في الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر, و الإخبار عن النكرة لا فائدة فيه ... فإذا اجتمع معك معرفة و نكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ وأن يكون الخبر النكرة)) (٢).

ويصلح هذا النمط للدلالة عن الخبر والاستخبار, والتعظيم والاستحقار, وقد يدلّ هذا النمط على الأمر, كما في قوله تعالى: ((فكفارته إطعام عشرة مساكين))

(المائدة / ٨٩) وإنّما يكون ذلك بتغير تنغيم الجملة أو مفرداتها الشاغلة للوظائف النحوية, أو بتغيير السياقات التي يرد فيها هذا النمط , ففي دعاء الإمام الصادق (ع) حين خروجه من منزله كان يقول : ((الله أكبر , الله أكبر)) وكان يرددها ثلاثا ثم يقول : ((بالله اخرج, وبالله ادخل ...)) (٣), فدلالة جملة (الله أكبر) – هنا – قد خرجت من مجرد الإخبار الى التعظيم والمدح والثناء, وذلك ما تمليه أدبيات الدعاء , فقد ورد عنه (ع) أنَّه قال : ((إذا طلب أحدكم فليثنِ على ربه وليمدحه, فإنَّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه , فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار ,وامدحوه , واثنوا عليه)) (٤).

وقد يفيد هذا النمط الاستعطاف واستدرار الرحمة الالهية من خلال تصغير شأن الداعي وتعظيم شأن المدعو , كما في دعائه (في التحرز من المنصور), يقول(ع) : ((أنا عاجزٌ وأنت قديرٌ, وأنا صغيرٌ وأنت كبيرٌ , وأنا ضعيفٌ وأنت قوي, وأنا فقيرٌ وأنت غني)), (٥) فالمقام مقام خطاب مباشر يدلك على ذلك استعمال الضمائر (أنا) و (أنت) لبيان حالين مختلفين ومن تلك الموازنات والمتضادات بين صفات الخالق والمخلوق برزت حال العبد العاجز, واتضحت صورته, وصورة سيده، وليس لمثلك يا إلهي أن يعاقب مثلي, كما كان لوجود (الواو) اثر واضح لإحداث الربط بين عجز الانسان وصغره وضعفه وفقره من جهة و قدرة الله و كبره وقوته وغناه من جهة اخرى, وكل ذلك يتناسب مع مقام الاستعطاف والاسترحام واستمطار شآبيب رحمة الله تعالى .

إنَّ زيادة فضلة ما أو قيد من القيود إلى البناء الأساس لهذا النمط سيؤدي بالنتيجة إلى دلالة أخرى غير الدلالة المستفادة من ذلك البناء مجردا عن القيد ؛ لأنك

((كلما زدت شيئا , وجدت المعنى قد صار غير الذي كان)) (٦), و قد يتعلق المعنى بتلك الزيادة , كما في قوله (ع) : ((وهو حي لا يموت)) (٧),

فإنَّ زيادة الجملة (لا يموت) الواقعة وصفا للحي هي التي أتمت الفائدة (٨)؛ لأنّ مجرد الحياة قضية مشتركة بين الخالق و المخلوق فهي لا تفيد ثناء ولا مدحا ، بخلاف عدم الموت الذي هو من مختصاته تعالى .

وقد يكون ذكر القيد لمجرد التوكيد(٩), كما في قوله (ع) من دعاء له في يوم الجمعة : ((حجتك قائمةٌ لا تدحضُ , و سلطانُك ثابتٌ لا يزولُ)) (١٠), فالجملتان (لا تدحض) و (لا يزول) الواقعتان وصفا أفادتا التوكيد .

ولسائل أن يسأل : كيف تفيد جملة (لا يموت) كمال الفائدة ؟ في حين تفيد الجملتان (لا تدحض , ولا يزول) التوكيد ؟

إنّ النظر في السياق اللغوي كفيل بالإجابة عن هذا الإشكال ورده , فلو أمعنا النظر في المسند إليه في الجمل لو جدنا أنَّه جاء في الجملة الاولى بالضمير (هو) الذي يرد في سياق الحكاية والإخبار , فقد جاءت الجملة لتخبر عنه بأنه حي وهذه الحياة لا موتَ فيها , فسياق هذا الدعاء هو سياق اثبات وحدانية الله , يدل على ذلك قوله (ع) : ((لا اله إلا الله وحده لا شريك له , له الملك وله الحمد , يحيي ويميت , ويميت ويحيي , وهو حي لا يموت , بيده الخير , وهو على كل شيء قدير)) (١١), فقد جاء الإمام (ع) بكلمة التوحيد مؤكدة من خلال النفي والاستثناء , ثمَ أكدها بالحال (وحده) الدال من موقعه ومن مادته على تلك الوحدانية , ومن ثمَ أكد كلمة (وحده) بجملة(لا شريك له) الدالة على الوحدانية وانتفاء شريكه , وجاء بعدها بتقديم شبه الجمل المقدمة على مبتدآتها لإفادة الحصر والقصر وهو ما يتناسب مع التوحيد تناسبا كليا ,

وبعدها قدم (ع) دليلا عقليا على تلك الوحدانية من خلال جملة (لا يموت) , وكأن الامام الصادق (ع) هنا في معرض الرد على المشركين بالله بأقوالهم واعتقاداتهم , او بأفعالهم,أما الجملتان الأخريتان فالمقام فيهما مقام خطاب مباشر, وليس مقام الرد على ادعاءات المدعين , يدلنا على ذلك إضافة (الحجة , والسلطان) الى (كاف الخطاب), فالمتكلم يعرف المخاطب , ومن ثم فهو يعرف بأنَّ حجته لا تدحض , وبأنَّ سلطانه لا يزول , فجملتا (لا تدحض , ولا تزول) تفيدان التوكيد, والتوكيد – هنا – إنَّما يؤتى به لبيان أهمية الموضوع , فضلاً عمّا يفيده من الثناء والتمجيد عليه تعالى , ولا علاقة لأحوال المخاطب بهذا التوكيد؛ لأنَّه لا يتناسب مع المقامات الإلهية .

أما قوله (ع) : ((أنت على كل شيء قدير)) (١٢)فقد أدّتْ إضافة شبه الجملة (على كل شيء) وموقعها المقدم على ما تتعلق به دورا اساسيا في كمال المدح وحسن الثناء على الباري جل جلاله , فالإمام (ع) لا يريد إثبات القدرة فحسب ؛ لأنَّ ذلك مدعى الجميع , بل إنَّ الطغاة ادّعوا أكبر من ذلك , فادّعوا الربوبية العليا والإحياء والإماتة , فالمقام مقام إثبات شمول القدرة لا إثباتها ؛ فإذا ثبت شمول القدرة كان إثباتها تحصيلا للحاصل .

إنَّ لبناء الجملة وتناسقها مع ما يجاورها من جمل

أكبرَ الأثر في بيان المعنى وإبرازه, يقول (ع) : ((بابُك مفتوحٌ للراغبين , وجودُكَ مباحٌ للسائلين , وإغاثتك قريبةٌ من المستغيثين ... رزقُكَ مبسوطٌ لمن عصاك , وحلمُكَ مُعتَرضٌ لمن ناواك)), (١٣) فقد كان لبناء الجملتين الأخيرتين وموقعهما بعد الجمل الأولى اثرٌ كبيرٌ في إحداث المفاجأة؛ فبعد أن اطمأن السامع – بعد أن سمع الجمل الأولى – أنَّ الرحمةَ الالهية مختصةٌ بالمحسنين الراغبين فيه المستغيثين به , جاءته الجملتان الاخيرتان لتقلب تلك التوقعات, وتبين له عظمة الرحمة الالهية وبأنها تشمل البر والفاجر على حد سواء , فهي غير مختصة بصنف معين من الناس , وهو بهذا ينهل من إرثه الثقافي الذي يمثل القران الكريم ركنه الركين , مستنيراً بقوله تعالى : ((كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَاكَانَ عَطَاء رَبِّكَمَ حْظُوراً)) (الاسراء /٢٠) ومن المؤكد أنَّ هذا النمط يؤدي وظيفة (فائدة الخبر), وهذه هي وظيفته الأساس , كما يقول الجرجاني : ((اعلم أنك إذا قلت (زيد منطلق) كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيده ذلك ابتداء)) (١٤) إلا أنّه لم يأت في (الصحيفة الصادقية) , لتأدية تلك الوظيفة ؛ إذ إنه لا يتناسب وأطراف العملية الكلامية التي يمثل العبد بعدها الاول , في حين يمثل الباري (عز وجل) بعدها الثاني, فسياق الدعاء وكون المدعو عالما للغيب وللشهادة , ولا يعزب عنه من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر يرفض هذه الدلالة ولا يقبل هذه الوظيفة.

النمط الثاني (المبتدأ معرفة + الخبر معرفة) :

ويتكون هذا النمط من مبتدأ معرفة , وخبر معرفة أيضا , نحو قولنا : (زيد اخوك) (١٥) .

وهذا النمط ليس كسابقه , فإذا كان النمط السابق صالحا للدلالة على معظم المعاني , فإن هذا النمط لا يصلح إلا في مقام الحصر والقصر , و لا يكون إلا في سياق التوكيد والتخصيص , وإذا كان النمط السابق يقال والمخاطب خالي الذهن او من أُنزل منزلته , فإن هذا النمط إنما يقال حينما يكون المخاطب قد علم شيئا عن الموضوع , وعرف بعضا من حيثيات القضية , وهذا ما يؤكده الجرجاني إذ يرى ثمة فروقا في الاستعمال بين الخبر النكرة والخبر المعرفة , فالأول يقال حين يقصد مجرد الحكم على المبتدأ بشيء لم يكن السامع قد علم من أصله أنه كان , والأمر الثاني حين يقصد إثبات حكم بعينه معلوم ولكن المحكوم عليه غير معلوم , إذ يقول : ((اعلم أنّك إذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيده ذلك ابتداء , وإذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقا كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره)) (١٦), فقولنا : (زيد منطلق), يختلف عن قولنا : (زيد المنطلق) , فالتعبير الأول يفيد ثبوت الانطلاق لزيد من دون نفيه عن غيره , وأما التعبير الثاني فإنَّه يفيد قصر الانطلاق على زيد حين يظن أنّ المنطلق غيره(١٧), ففي هذا التركيب نوع من

الحصر والقصر , ومن أجل ذلك لا يصح أن يقال : (زيد المنطلق وعمرو) ؛ لأنّك بذلك تكون قد ناقضت نفسك فحصرت من جهة عندما جئت بالخبر معرفة و أشركت عندما عطفت, (١٨) في حين : ((أنك إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول وإذا عرفت لم يجز ذلك تفسير هذا أنك تقول زيد منطلق وعمرو تريد وعمرو منطلق أيضا ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ؛ ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنَّك أردت أن تثبت انطلاقا مخصوصا قد كان من واحد فإذا أثبته لزيد لم يصح إثباته لعمرو ثم إن كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين فإنه ينبغي أن يجمع بينهما في الخبر فتقول زيد وعمرو هما المنطلقان لا أن تفرق فتثبته أولا لزيد ثم تجيء فتثبته لعمرو)) (١٩) .

إنَّ الوظيفة الأساسية لهذا النمط هي الحصر والقصر والتوكيد , وهذه الدلالة مستمرة معه على الدوام وإن دل على معان أخر , أو جاء في مقامات مغايرة , ومن المقامات التي يرد فيها هذا النمط هي أن يعلم المخاطب المبتدأ والخبر كلا على انفراده من دون أن يعلم نسبة الخبر الى ذلك المبتدأ , كما في قولنا : (زيد أخوك) , يقول ابن السراج : ((وهذا ونحوه إنّما يجوز إذا كان المخاطب يعرف زيدا على انفراده ولا يعلم أنه أخوه لفرقة كانت بينهما أو لسبب آخر ويعلم أن له أخا ولا يدري أنه زيد هذا، فتقول له : أنت زيد اخوك , أي زيد هذا الذي عرفته هو أخوك الذي كنت علمته, فتكون الفائدة في اجتماعهما)) (٢٠).

وقد يأتي هذا النمط في سياق الرد على قول سابق كما في قولنا : (اللهُ ربُنا) و (محمد نبينا) في معرض الرد على الكفار والمشركين الذي ينكرون ذلك, كما أنه يأتي في مقام التمجيد والتعظيم ولطلب الثواب , وقد يدل هذا النمط على الفخر , مثل قوله (ع) : ((انت ربي , وأنا عبدك , ... آل محمد ائمتي ليس لي ائمة غيرهم)) (٢١), اذ نلمس من هذه الجمل معاني الفخر بهذا الانتساب العظيم لله , ولرسوله ولأهل بيته الاطهار الذين هم عدل القران , وأي شرف أفضل من الانتساب الى الله تعالى ؟! يقول أمير المؤمنين (ع) : ((كفاني عزًا أن تكون لي ربا , وكفاني فخرا أن اكون لك عبدا)) (٢٢), فمقام العبودية لله هو مقام فخر واعتزاز عندهم (ع)؛ لأن مقامات القرب الإلهي لا تنال إلا بالعبودية له جل في علاه , فضلا عمّا في هذه الجمل من إقرار باللسان والذي هو أول شروط الإيمان ومراتبه , فقد ورد عن النبي (ص واله) أنه قال : ((الإيمانقولٌ باللسانِ وعملٌبالأركانِ ويقينٌ بالقلبِ)) (٢٣), فجعل الإقرار أول مرتبة من مراتب الإيمان .

وقد يدل هذا النمط على الاستعاذة بالله , يقول (ع) : ((اللهم هذا مقام العائذ بك , اللهم لُذني بعفوك)) (٢٤) وقد استمدت الجملة تلك الدلالة من خلال ما زيد فيه الخبر من معنى الاستعاذة .

ويدل هذا النمط على الاستفهام عندما يكون المسند إليه اسم استفهام , كما في قوله (ع) من دعاء له

حول الكعبة : ((من ذا الذي يرفعني إن وضعتني ؟ ومن ذا الذي يضعني إن رفعتني)) (٢٥) والاستفهام في الجملة السابقة ليس استفهاما حقيقيا , وإنما هو استفهام قد تضمن معنى النفي , فضلا عمّا تضمنته الجملة من طلب غير مباشر من الدعوة إلى الرفع وعدم الوضع .

وقد يزاد على هذا النمط قيد ما ويكون المعنى متوقفا على القيد المضاف , كما في قوله (ع) من دعاء له في وداع شهر رمضان : ((ها انا ذا قد استجرت بك , وقعدت بين يديك مستكينا متضرعا اليك)) (٢٦) فالمعنى يتغير , بل يكون غير مقصود عند حذف القيد أيضاً , فلو حذفنا جملة (قد استجرت بك) الواقعة حالا وما عطف عليها لبقيت الجملة (ها انا ذا) التي تقال عندما يريد المتكلم إثبات وجوده , أو بيان موقعه ومركزه , وهذا المعنى غير مراد والمقام يأباه ولا يتقبله ؛ لأن المقام مقام استكانة وتذلل , يدلنا على ذلك مجيء هذه الجملة بعد قوله تعالى : ((فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)) (المؤمنون / ٧٦) فالآية الكريمة تحث على التضرع والإستكانة بطريق غير مباشر من خلال ذم الذين لا يتضرعون , فمن المناسب أن يأتي بعدها بما يدل على ذلك التذلل والتضرع والاستكانة , حتى لا يكون الانسان مصداقا للآية الكريمة و لما تحمله من ذم .

وقد يدل هذا النمط من خلال زيادة قيد ما إلى تركيبه الأساس ليدل على المدح والثناء , ومن ذلك قوله : ((اللهم أنتَ الله لا إلهَ إلا أنت رب العالمين , وأنت الله لا إله إلا أنت العزيز الحكيم , وأنت الله لا إله إلا أنت العلي العظيم , وأنت الله لا إله إلا أنت الغفور الرحيم ...)) (٢٧), فجملة (لا اله إلا أنت) الواقعة حالا زادت معنى الوحدانية الذي هو لب العملية العبادية وجوهرها .

وقد يتعدد الخبر لأن المقام يقتضيه ويحتمله , ويتناسب ذلك ومقام المدح والثناء , ومن ذلك قوله (ع) : ((وأنت الماجد الجواد , الواحد الأحد , العليم الكريم , القديم القريب المجيب , تباركت وتعاليت)) (٢٨), وكذلك يتناسب تعدد الخبر مع مقام التضرع والاستكانة , نحو قوله (ع) : ((فها انا ذا مسكينك , بائسك , أسيرك , فقيرك , سائلك , منيخ بفنائك , قارع باب رجائك)) (٢٩)و ناسب تعدد الخبر في هذه المقامات؛ لأنّ الخبر الواحد يقف عاجزا عن التعبير عن حقيقة المخبر عنه و بيان كنهه و حقيقته .

النمط الثالث (المبتدأ معرفة + الخبر جملة) :

الأصل في الخبر أن يكونَ مفردا لكنّه قد يخرج عن ذلك الأصل فيقع جملة , ولا فرقَ فيما إذا كانت هذه الجملة اسمية أم فعليةً , قال ابنُ يعيش : ((والذي يدل على أن المفردَ أصلٌ والجملة فرعٌ عليه أمران : أحدهما أن المفردَ بسيطٌ والجملة مركبٌ , والبسيطُ أولٌ والمركبُ ثانٍ ... و الأمرُ الثاني : أن المبتدأ نظيرُ الفاعل في الإخبار عنهما والخبر فيهما هو الجزءُ المستفاد فكما أن الفعلَ مفردٌ , فكذلك خبرُ المبتدأ مفردٌ)) (٣٠)٠

ويشترط النحويون لوقوع الجملة خبرا أن تشتمل على رابط يربطها بالمبتدأ , إلا إذا كانت بمعناه ؛

حتى لا تكونَ اجنبيةً عنه ولا يكون الكلام مفككا لا معنى له , وقد يكون هذا الرابط ظاهرا او مقدرا (٣١) .

أما علة الانزياح من الإخبار بالمفرد الى الإخبار بالجملة فقد ذكر أبو البقاء العكبري ثلاثة أسباب لذلك بقوله : ((وإنما أخبرنا بالجملة مكانَ المفرد لثلاثة اشياء , أحدها : الحاجة الى توسيع العبارة في النظم والنثر , والثاني : أن ذلك قد يزيلُ اللبسَ في بعضِ المواضعِ كقولك : زيدٌ قامَ ابوه , ولو قلتَ : قامَ ابو زيدٍ , لجازَ أن يُظنَ أن هذه كنيةٌ له لا أن له ولدا اسمُه (زيد) , فإذا قدمتَ أُبطل كونه كنيةً , والثالث : أن في ذكرِ الشيء مظهرا ومضمرا تفخيما)) (٣٢), فضلا عن ذلك كلِه فإن الجملةَ تعبرُ عن معانٍ كثيرةٍ لا يعبرُ عنها الاسمُ المفردُ – غالبا – , فقد تعبرُ الجملةُ الحاليةُ – على سبيل المثال – ((عن معانٍ كثيرةٍ ومتنوعةٍ منها الحالةُ , و السببُ أو الغايةُ , وتحديدُ الزمنِ والمقابلة)) (٣٣).

وتفترقُ الجملةُ الاسميةُ في دلالتها عن الجملة الفعلية بكونها دالةً على الثباتِ والدوامِ , في حين تدل الجملة الفعلية على التجدد و دخول عنصر الزمن(٣٤), فـ((الجملةُ الاسميةُ موضوعةٌ للإخبار بثبوتِ المسندِ للمسندِ اليه بلا دلالةٍ على تجددٍ واستمرارٍ . إذا كان خبرها اسما فقد يُقصدُ به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن ... والجملةُ الفعلية موضوعة لإحداث الحدثِ في الماضي أو الحالِ فتدلُ على تجددِ سابقٍ أو حاضرٍ)) (٣٥), ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن القول بثبوت الجملة الاسمية , وحدوث الجملة الفعلية , هو ضرب من التجوز في القول , أما الصحيح فهو أنّ الاسم هو الذي يدل على الثبوت وأما الفعل فيدل على الحدوث , ((فالجملةُ لا تدلُ على حدوثٍ أو ثبوتٍ ولكنَّ الذي يدلُ على الحدوثِ أو الثبوتِ ما فيها من اسمٍ او فعلٍ... فالجملتان (يحفظُ محمدٌ) و (محمدٌ يحفظُ) كلتاهما تدلان على الحدوث إلا أنه قدمَ الاسمَ في الجملةِ الثانيةِ لغرضٍ من أغراضِ التقديم ِكالاختصاص أو ازالة ِالشكِ او نحو ذلك. أما من حيثُ الدلالةِ فهما متشابهتان)) (٣٦), وهذا القول يوافق ما قاله جملة من العلماء الذين يجعلون دلالة الجملة على الحدوث والثبوت مستمدة من المسند ولا شأنَ للمسند اليه في تلك الدلالة فالجملة تدل على الحدوث إن كان المسندُ فيها فعلا , وهي تدلُ على الثبوت ِإن كان المسندُ فيها اسما(٣٧), ويرى الباحثان أن جملة (محمد يحفظ) تشتمل على نوع من الثبوت لا تشتمل عليه جملة (يحفظ محمد) مع أن المسند في الجملتين فعل .

وتتناسب الجملة الاسمية مع بعض الأغراض في حين تتناسب الجملة الفعلية مع أغراض أُخر , فالجملة الاسمية أصلحُ للتعبيرِ عن الأفكارِ والأمثال والحكم , في حين تتناسبُ الجملة الفعلية مع الوصفِ والرثاء , يقول الامام الصادق (ع) من دعاء له إذا المت به شدة أو محنة : ((اللهم فأنا استعيذُ بكَ من غضبِكَ , وسوء سخطِكَ , وعقابِكَ ونقمتِكَ , ومن شرِ نفسي , وشرِ كل ذي شر)) (٣٨), فمقام الدعاء يفرضُ كون الضمير دالا على

التذلل , والاستكانة لله , ومجيء الخبر جملة فعلية ؛ لما فيها من دلالة على التجدد والاستمرار لما فيها من تكرار وإلحاح في طلب المسألة منه سبحانه وتعالى , وذلك يتناسب كليا مع آداب الدعاء فقد ورد عن الامام الصادق (ع): ((إنَّ اللهَ عزَ و جلَ كرِه الحاحَ الناسِ بعضُهم على بعضٍ في المسألة , و أحبّ ذلك لنفسه , إن الله عزَ و جلَ يحبُّ أنْ يُسألَ و يُطلب ما عنده)) (٣٩), وقد يكون في مجيء الخبر جملة فعلية تقوية للحكم بالتركيب نفسه(٤٠), كما في قوله (ع) من دعاء له عند الحجر الاسود : ((اللهم أمانتي اديتُها , وميثاقي تعاهدتُه لتشهدَ لي بالموافاة)) (٤١) فمجيء الخبر جملة فعلية فيه تقوية للحكم , فضلا عمّا فيها من التعظيم والاهتمام من خلال ذكر الأمانة والعهد مظهرين ومضمرين , وفضلا عما في التقديم من إبراز للمسألة واهتمام بها .

وقد يقع الخبر جملة اسمية مقترنة (بالفاء) إذا كان المسند إليه اسما موصولا تشبيها له بالشرط , أما عن دلالة هذه (الفاء) فإنها تجعل ما بعدها جزاء لما قبلها , وأما حذفها فإنّه يفيد احتمال السببية وغيرها , قال سيبويه : ((وسألته عن قوله : الذي يأتيني فله درهمان , لم جاز دخول الفاء هاهنا ... فقال : ... إنه إنما ادخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الإتيان , فإذا قال : له درهمان , فقد يكون أن لا يوجب له ذلك بالإتيان , فإذا أدخل الفاء فإنما يجعلُ الإتيانَ سببَ ذلك)) (٤٢), وهذا ما وافق عليه المبرد , فقد قال في (المقتضب) : ((ألا ترى أنك تقول : الذي يأتيك فله درهم فلولا أن الدرهم يجب بالإتيان لم يجز دخول الفاء)) (٤٣), يقول الإمام الصادق (ع)- مضمنا دعائه لحديث جده المصطفى (ص واله) – : ((من كنتُ مولاه فعليٌ مولاه , ومن كنت وليه فعلي وليه , ومن كنت نبيه فعلي أميره)) (٤٤) إذ إنَّ دخول الفاء معناه أن ولاية علي (ع) وإمارته تكون جزاء لمن كان رسول الله (ص واله) نبيه ووليه , فمن لم يكن علي (ع) مولاه ووليه وأميره فإن هذا يعني أن في إيمانه خللا ؛ إذ إن الولاية هي نتاجُ الإيمان بنبوة الخاتم (ص واله) , ومن أجل ذلك جُعل الامامُ عليٌ(ع) ميزانا للتفريق بين الإيمان والنفاق(٤٥).

ومن المعاني والدلالات التي يدل عليها هذا النمط الاستفهام , إذا كان هذا المبتدأ المعرفة اسم استفهام , كما في دعائه (ع) : ((فمن سمِع بمثلي ؟ او رأى مثل جهلي ... فمن أرجو ؟ أنت أنت انقطع الرجاءُ إلا منك)) (٤٦)وقد خرج هذا الاستفهام من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الذي يفيد النفي , أما عن دلالة مجيء الخبر جملة فعلية مصدرة بالفعل الماضي في المرة الاولى , وبالفعل المضارع في المرة الثانية ؛ ولذلك لما في الفعل الماضي من دلالة على الانقطاع وحصول الفعل مرة واحدة(٤٧), وهو ما يتناسب مع نفي السماع بمثلي و رؤية عامل عمل بمثل جهلي , ومجيء الخبر مصدرا بفعل مضارع في الجملة الثانية أنسب لما فيه من دلالة على التجدد والاستمرار (٤٨) وتلك الدلالة تتناسب مع الرجاء الذي يتجدد مع كل حاجة من حاجات الإنسان .

النمط الرابع (المبتدأ معرفة + الخبر شبه جملة) :

يقصد النحاة بشبه الجملة الظرف بنوعيه (الزماني والمكاني) , والجار والمجرور(٤٩), فقد يقع شبه الجملة خبرا للمبتدأ , وهذا ما صرح به سيبويه بقوله :((ألا ترى أنك لو قلت : فيها عبد الله حسن السكوت وكان كلاما مستقيما , كما حسن واستغنى في قولك : هذا عبد الله , وتقول : عبد الله فيها , فيصير كقولك : عبد الله اخوك . إلا أن عبد الله يرتفع مقدما كان أو مؤخرا بالابتداء)) (٥٠), وقد اشترط ابن عصفور في هذا النوع أن يكون تاما والفائدة حاصلة فيه , يقول : ((وأما الظروف والمجرورات فيشترط فيها أن تكون تامة والتامة هي التي يكون فيها الاخبار بها فائدة)) (٥١).

وقد اختلف النحويون في تقدير عامل الظرف والجار والمجرور الواقعين خبرا , فقال بعض البصريين أنّها متعلقة باسم تقديره (مستقر , أو كائن) (٥٢), وقال آخرون إنها متعلقة بفعل تقديره (استقر , او حدث , أو وقع) (٥٣), وذكر الزمخشري أن الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ أربعة أنواع , وقد جعل الظرف من أنواع الخبر الجملة(٥٤), وقد استحسن ابنُ مضاء القرطبي ذلك ؛ لعدم التقدير و لتمام الكلام وعدم افتقاره إلى زيادة كائن أو مستقر(٥٥), وقد جعل السيوطي أنواع الخبر ثلاثة هي : المفرد , والجملة , وشبه الجملة(٥٦), وهذا هو اختيار عدد من الباحثين المحدثين منهم المخزومي(٥٧), وعباس حسن(٥٨), محمود احمد نحلة(٥٩), علي عبد الفتاح(٦٠), وهذا هو الصحيح في نظر الباحث فلا حاجةَ الى التقدير او التأويل .

إنَّ حروف الجر – في الخبر شبه الجملة – تعمل على إيجاد نوع من العلاقة بين اسمين لا يجوز إسناد أحدهما الى الآخر لانتفاء العلاقة الجامعة بينهما , فيؤتى بحرف من تلك الحروف لإحداث نوع من الانسجام بين تلك الأسماء المتنافرة ؛ ذلك لأنه يشترط في الاسم الواقع خبرا أن يكون هو عين المبتدأ في المعنى(٦١), فإذا قلنا : (الطالب صف) فإنّ كلامنا هذا غير صحيح ؛ لتباين الأسمين واختلافهما , ففي هذه الحالة نحتاج الى حرف من حروف الجر ليجعل التباين ائتلافا , والتخالف انسجاما , فالحروف والأدوات ((كلمات تستعمل للربط بين الكلمات)) (٦٢). وإذا كان الخبر وهو معتمد الفائدة , هو الذي يصير المبتدأ كلاما(٦٣), فإنّ الخبر شبه الجملة يتكون من مجموع حرف الجر والاسم المجرور أو من الظرف والاسم المضاف إليه ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر , وعلى هذا فدلالة هذا التركيب تتغير تبعا لتغير حرف الجر والاسم والمجرور , والظرف والاسم الذي بعدها .

إن الإخبار هو الوظيفة الأساس لهذا النمط , نقول : (الطالب في الصف) و(الكتاب فوق المنضدة) , و (الهلال بين السحاب) وغيرها من الجمل التي تفيد معنى الإخبار. ومن دلالات التي يخرج لها هذا النمط هي الأمر ، كما في قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين)) (الفاتحة / ١) , جاء في (التراكيب النحوية) : ((وهو خبر معناه الإنشاء ونوع هذا الانشاء هو الامر , أي قولوا : الحمد لله رب العالمين

؛ لأنه مستحق للحمد بكل المحامد ما علمنا منها وما لم نعلم , على كل نعمائه ما علمنا منها وما لم نعلم)) (٦٤), و هذا التركيب اكثر دلالة على الثبوت من دلالة جملة (احمدوا الله حمدا) ؛ لأنه حذف الفعل وجاء بمصدره للدلالة عليه ؛ لما في المصدر من دوام واستمرار , وعدم ارتباط بزمان معين ولا بفاعل معين , ثم عدل ذلك المصدر من النصب الى الرفع فتحولت الجملة من الفعلية الى الاسمية ؛ لما في الجملة الاسمية من دلالة على الثبوت والدوام , فضلا عما في (ال) من قصد للاستغراق(٦٥) وما في حرف الجر (اللام) من دلالة على التمليك , ناهيك عمّا في إخراج الأمر بصورة الخبر من تأكيد للأمر , و إشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله .

وقد يدل هذا النمط على الثناء والتبجيل والتمجيد لله سبحانه وتعالى , كما في قوله (ع) : ((الحمدُ للهِ الذي يفعلُ ما يشاءُ ولا يفعلُ ما يشاءُ غيُره , الحمدُ لله كما يحبُّ اللهُ أنْ يحمدَ , الحمدُ لله كما هو اهلُه)) (٦٦), إن هذا التحول في الدلالة ناشئ من اختلاف السياق غير اللغوي وذلك من خلال النظر الى المتكلم والمخاطب في الحالتين .

وقد تدل الجملة ذاتها على الصبر والرضا بقضاء الله عندما تقال في مقام المصيبة والبلية , فأنت ترى الإنسان المؤمن يقول – عند البلية والرزية – : (الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه) .

وقد تدل هذه الجملة على شكر الله لنعمة أنعمها , كما في قوله (ع) من دعاء له في عيد الغدير : ((الحمدُ لله الذي أكرمنا بهذا اليوم , وجعلنا من المؤمنين , وجعلنا من الموفين بعهده الذي عهِدَه الينا وميثاقِه الذي واثقنا به ...)) (٦٧).

وقد يدل هذا النمط على الدعاء , كما في قوله (ع) من دعاء له عند باب المسجد الحرام : ((السلام على رسول الله , السلام على محمد بن عبد الله , السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته , السلام على انبياء الله ورسله , السلام على إبراهيم خليل الرحمن , السلام على المرسلين ... , السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) (٦٨) فالله هو السلام , ومنه السلام , و إنما يكون السلام على رسله وأنبيائه وعباده الصالحين , وجاءت دلالة الدعاء من المادة اللغوية التي تكون منها هذا النمط .

ويأتي هذا النمط – في الغالب – مع إضافة قيد وهذا القيد يتناسب مع الجو العام , أو الغرض الأساس للدعاء , كما في قوله (ع) – من دعاء له يدعو به في الصباح : ((الحمد لله الذي اصبحنا والملك له , و اصبحتُ عبدَكَ وابنَ عبدِكَ وابنَ أمتِكَ في قبضتِكَ)) (٦٩), فقد جاء الاسم الموصول (الذي) الواقع (صفة) للفظ الجلالة (الله) ليبين مع صلته جهة الحمد والثناء , ((اي احمده بهذه الصفة ولأجل كونه فاعلا لهذا الفعل)) (٧٠), وهذه الإضافة تتناسب مع السياق الخارجي للدعاء وهدفه , يقول الإمام الصادق (ع) – من دعاء له يدعو به إذا انبثق نورالصباح - : ((الحمد لله الذي أذهب الليل بقدرته , وجاء بالنهار مبصرا برحمته)) (٧١),

فالمناسبة واضحة بينة بين سياق الدعاء وتلك القيود . إن هذه القيود لتتغير تبعا لتغير موضوع الدعاء , كما في قوله (ع) – من دعاء له كان يقرأه عندما كان يأوي الى فراشه – : ((الحمد لله الذي علا فقهر , والحمد لله الذي بطن فخبر , والحمد لله الذي ملك فقدر , والحمد لله الذي يحيي الموتى ويميت الإحياء)) (٧٢), فتغير صلة الموصول كان تبعا لتغير موضوع الدعاء , وهذا التغير في الصلة إنمّا جاء ليتناسب مع موضوع الدعاء , وهذه المناسبة تبدو واضحة لا سيما في الفقرة الأخيرة ؛ لما في النوم من إماتة ولما في الصحو من إحياء , قال تعالى : ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))(الزمر/ ٤٢) , فضلاً عن أنَّ إيثار حرف الجر (اللام) في هذه المواضع دون غيره من الحروف ؛ لما في اللام من معنى الاختصاص والملك , وهي معاني لا يؤديها غير هذا الحرف .

النمط الخامس (المبتدأ نكرة) :

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة , أو مقارب المعرفة من النكرات , وإنّما أمتنع الابتداء بالنكرة المحضة ؛ لأنه لا فائدة فيه , وما لا تحصل به الفائدة فلا معنى للكلام عنه , وقد أجاز النحويون الابتداء بالنكرة مشترطين حصول الفائدة بهذا الابتداء (٧٣)), وهذا ما عول عليه القدماء , و رأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة , فحاولوا تتبعها واستقصاءها وأنهاها بعضهم إلى نيف وثلاثين مسوغا , وقد حصرها ابن مالك بستة مسوغات فقط (٧٤) , أما ابن هشام فقد جعلها عشرة , وجعل البقية داخلة ضمن هذه الأمور العشرة(٧٥) .

إنَّ الأساس الذي يجب أن نرتكز عليه في الابتداء بالنكرة هو حصول الفائدة , ولا حاجة إلى حصر المواضع أو عدها(٧٦).

إنَّ هذا النمط يكثر في سياق الدعاء , كما في قوله (ع) من دعاء له عند باب المسجد الحرام : ((وسلام على المرسلين , والحمد لله رب العالمين)) (٧٧)، فلفظ (سلام) واقع مبتدأ مع أنه نكرة , أما مسوغ الابتداء به , مع ما فيه من التنكير , هو إفادته الدعاء(٧٨) ، وهذا الكلام مقتبس من قوله تعالى : ((وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ)) (الصافات / ١٨١) , وجيء بلفظ (سلام) للدلالة على عظمة ذلك السلام بما يتناسب وعظمة الأنبياء (ع) وشرفهم , ويرى الاستاذ أحمد أحمد بدوي أن النكرة لا تدل على أكثر من إفادة معناها مطلقا مجردا من كل قيد , وأما ما يذكره العلماء من معان استفيدت من النكرة , فإنّها لم تفدها بطبيعتها , وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه , ففي قوله تعالى : ((سلام على المرسلين)) وغيرها من الآيات فإن المقام هنا يدل على تعظيم هذا السلام الصادر منه سبحانه , والمقام ينبئ بهذا التعظيم ويشير اليه (٧٩), وفي تنكير لفظ (سلام) وعدم تعريفه لطيفة دلالية ؛ اذ لو عرفها لاحتمل الإخبار الدال على الصدق و الكذب ولم تحقق القصد الدلالي(٨٠).

وقد يقع المبتدأ نكرة معتمدا على النفي كمسوّغ للابتداء به ويكون خبره اسما مفردا مرة و جملة فعلية مرة ثانية , وهذا التنويع في عبارة الإمام الصادق (ع) بين الجملة الفعلية والاسم ليس امرا ناشئا عن اعتبارات جمالية فحسب ؛ لأن جانب المعنى هو الجانب الأهم من بين جوانب العبارة ولا يمكن التنازل عنه في حال من الاحوال , يقول(ع) : ((الحمد لله الذي كان عرشه على الماء حينَ لا شمسٌ تضيءُ , ولا قمرٌ يسري , و لا بحرٌ يجري , ولا رياحٌ تذري , ولا سماءٌ مبنيةٌ , ولا أرضٌ مدحيةٌ , ولا ليلٌ يجنُ , ولا نهارٌ يكنُ , ولا عينٌ تنبعُ , ولا صوتٌ يسمعُ , ولا جبلٌ مرسي ...)) (٨١) فالملاحظ هنا وقوع الخبر اسما مفردا مرة , وجملة فعلية مرة اخرى , وهذا التنوع والتغير مشعر بطبيعة اختلاف تلك الامور فجاء الخبر اسما في الاشياء التي لا تجدد فيها كما في (لا سماء مبنية , ولا ارض مدحية , ولا جبل مرسي) فبناء السماء ودحو الارض , ورسو الجبال امور لا تجدد فيها ولا تغير فهي امور ثابتة , وصفات لازمة لهذه الموجودات , أما ما كان فيه تجدد وتغير فقد عبرعنه بالجملة الفعلية الدالة على ذلك , كما في قوله : (تضيء , يسري , يجري , تذري , يجن , يكن) فهذه أمور متكررة ومتغيرة في كل حين , فناسب التعبير عنها بالجمل الفعلية الموحية بذلك .

وقد يكون الابتداء بالنكرة في سياق التعجب , كما في قوله (ع) : ((ما احسنَ ما صنعتَ , سبحانَكَ ما اجلَ ثناءَكَ , واسنى في الأماكنِ مكانَكَ , واصدعَ بالحقِ فرقانَكَ , سبحانَكَ من لطيفٍ ما ألطفَكَ , وحكيمٍ ما أعرفَكَ , ومليكٍ ما أسمحَكَ)) (٨٢), فـ(ما) في هذه الجمل هي (ما) التعجبية وهي نوع من (النكرة التامة) (٨٣), والتعجب هو نوع من انواع المدح , وعلى هذا فهذه الجمل تتضمن نوعا من انواع المدح و الثناء .

الخاتمة

حاول هذا البحث بيان أبرز أنماط الجملة الاسمية المثبتة في (الصحيفة الصادقية) موضحا أبرز دلالاتها , وقد خرج البحث بجملة من النتائج الآتية :

١ – إن الجملة الاسمية هي الأصل والجملة الفعلية فرع عليها , وذلك لأصالة الاسم واشتقاق الفعل, مستدلا على ذلك باستغنائه – أي الاسم – عن الكل واحتياج الكل إليه.

٢- إن أصل الأنماط في الجملة هو ذلك النمط الذي يكون فيه (المبتدأ معرفة + الخبر نكرة) , وهو بهذا ينسجم مع ما توصل اليه العلماء السابقون , لا سيما سيبويه والذي يصرح بكون هذا النمط هو أصل الكلام , ولما كان هذا النمط هو أصل الانماط فهو صالح للتعبير عن أغراض الكلام المختلفة مرتكزا في ذلك على تغير مكوناته من(السياق و التنغيم و البنية الصرفية و المفردات المعجمية ...)

٣- إن لكل نمط من الانماط دلالة أساسية , ووظيفة رئيسية باستثناء النمط الرئيس الذي قلنا أنه يصلح للتعبير عن جل المعاني , فالدلالة الاساسية للنمط الثاني على سبيل المثال والذي يتكون من (مبتدأ

معرفة + خبر معرفة) هي الحصر والقصر والتوكيد , وهذه الدلالة مصاحبة له وإن دل على معانٍ أخر .

٤ – إنّ الانزياح من الخبر المفرد الى الخبر الجملة لا يكون إلا للتعبير عن دلالات لا تؤدى بإلا بذلك الانزياح .

٥- إن العلماء الذين جعلوا الخبر شبه الجملة قسما قائما برأسه قد أصابوا الحقيقة ؛ ذلك لأن التقدير سيؤدي الى دلالة أخرى قد تكون صحيحة , ولكنها غير مقصودة في هذا الموضع .

الهوامش

(*) يرى الباحثان أصالة الاسم و اشتقاق الفعل , مستدلان على ذلك باستغنائه – اي الاسم – عن الكل و احتياج الكل اليه , ذلك لاننا قد نجد جملا لا تشتمل على فعل , و في الوقت نفسه لن نجد جملة بلا اسم ظاهر او مقدر .

١- الكتاب لسيبويه ١ / ٣٢٨ , وينظر : الاصول ١ / ٦٥ لابن السراج , ينظر : شرح التسهيل٢٨٩-٢٩٠ (ابن مالك) , همع الهوامع للسيوطي ١ / ٣٢٥

٢- شرح المفصل لابن يعيش : ١ / ٨٥

٣- الصحيفة الصادقية٥٢

٤- اصول الكافي ٢ / ٤٨٥

٥- الصحيفة الصادقية٨٧

٦- دلائل الاعجاز للجرجاني ٥٣٤

٧- الصحيفة الصادقية٥٠

٨- ينظر : النحو الوافي لعباس حسن ٣ / ٤٤٠

٩- ينظر : المصدر نفسه ٣ / ٤٣٩

١٠- الصحيفة الصادقية ١١٩

١١- المصدر نفسه٥٠

١٢- المصدر نفسه : ٧٥ و ١٢٠

١٣- المصدر السابق نفسه ١١٨

١٤- دلائل الاعجاز ١٢٥

١٥- ينظر : الاصول ١ / ٦٥

١٦- دلائل الاعجاز: ١٢٥

١٧- ينظر : معاني النحو لفاضل السامرائي ١ / ١٥٧

١٨- ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي٢١٦ , و البلاغة والأسلوبيةلمحمد عبد المطلب ٣٤٠

١٩- دلائل الاعجاز ١٧٨

٢٠- الأصول ١ / ٦٦

٢١- الصحيفة الصادقية ٤٣

٢٢- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٢ / ١٤

٢٣- الاربعين حديثا للآجري رقم الحديث ١٤

٢٤- الصحيفة الصادقية ٨٨

٢٥- المصدر نفسه ١٨١

٢٦- المصدر نفسه ١٦٩

٢٧- المصدر السابق نفسه ٢٠٩

٢٨- المصدر نفسه : ٢١١

٢٩- السابق نفسه ٨٧

٣٠- شرح المفصل ١ / ٨٨

٣١- ينظر : النحو الوافي ١ / ٤٦٦ – ٤٦٧

٣٢- اللباب في علل البناء والإعراب لابي البقاء العكبري ١ / ١٣٩ – ١٤٠

٣٣- نظرات في التراث اللغوي العربي لعبد القادر المهيري ٤٠

٣٤- ينظر : مفتاح العلوم ٢١٨ , و الايضاح للقزويني :١٠٢, و من بلاغة القران احمد احمد بدوي ٨٧

٣٥- الكليات لأبي البقاء ١٤٠

٣٦- الجملة العربية تأليفها وأقسامها لفاضل السامرائي ١٦٢

٣٧- ينظر : دلائل الاعجاز ١٩٢ , و في النحو العربي نقد وتوجيه للمخزومي ٤١ – ٤٢ , و بناء الجملة الفعلية بين النفي و الاثبات في سورة آل عمران لحارث عادل محمد رسالة (ماجستير) ٤٦ – ٤٧

٣٨- الصحيفة الصادقية ٧٤

٣٩- أصول الكافي ٢ / ٤٧٥

٤٠- ينظر : مفتاح العلوم ٢١٧

٤١- الصحيفة الصادقية ١٨٤

٤٢- الكتاب ٣ / ١٠٢

٤٣- المقتضب ٣ / ١٩٥ للمبرد , و ينظر : معاني النحو ٤ / ١٠٨

٤٤- الصحيفة الصادقية ١٢٧

٤٥- ينظر : صحيح مسلم

٤٦- الصحيفة الصادقية ١٩٩

٤٧- ينظر : معاني النحو ٣ / ٢٦٧

٤٨- ينظر : السابق نفسه ٣ / ٢٨٧

٤٩- ينظر : النحو الوافي ١ / ٤٧٥

٥٠- الكتاب ٢ / ٨٨

٥١- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١ / ٣٥٤ , و ينظر : همع الهوامع ١ / ٣٢٠- ٣٢١ ، و النحو الوافي ١ / ٤٧٨

٥٢- ينظر : الاصول ١ / ٦٣

٥٣- ينظر : شرح المفصل ١ / ٩٠ , و ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢٧٥

٥٤- ينظر : شرح المفصل ١ / ٨٨

٥٥- ينظر : الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ٨٧

٥٦- ينظر : همع الهوامع ١ / ٣١٢

٥٧- ينظر : في النحو العربي : قواعد وتطبيق ١٤٧ .

٥٨- ينظر : النحو الوافي ١ / ٤٧٥

٥٩- ينظر : مدخل الى دراسة الجملة العربية لمحمود احمد نحلة ٩٦

٦٠- ينظر : الجملة الخبرية في نهج البلاغة لعلي عبد الفتاح الشمري رسالة (ماجستير) ٢١

٦١- ينظر : الاصول ١ / ٦٢

٦٢- التحليل النحوي أصوله و أدواته لفخر الدين قباوة ٢٠٨

٦٣- ينظر : المقتضب ٤ / ١٢٦ , و الاصول ١ / ٦٢

٦٤- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في القران الكريم لعبد الفتاح لاشين ٤٠

٦٥- ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها١٦٦ ــ ١٦٧

٦٦- الصحيفة الصادقية ٤١

٦٧- المصدر نفسه ١٢٦

٦٨- الصحيفة الصادقية ١٧٨

٦٩- المصدر نفسه ٤٢

٧٠- منة المنان ٦٤

٧١- الصحيفة الصادقية ٤٤

٧٢- المصدر نفسه ٥٤

٧٣- ينظر : شرح المفصل ١ / ٨٦ , و شرح التسهيل ١ / ٢٨٩ , و همع الهوامع١ / ٣٢٦

٧٤- ينظر : شرح ابن عقيل ١ / ٢٠٣ ــ ٢١٢

٧٥- ينظر مغني اللبيب لابن هشام ٥ / ٤٣٩

٧٦- ينظر : النحو الوافي : ١ / ٤٤٠ ــ ٤٤١

٧٧- الصحيفة الصادقية ١٧٨ و ٢٠٤

٧٨- ينظر : شرح ابن عقيل ١ / ٢٠٦

٧٩- ينظر : من بلاغة القران ١٠٢ ــ ١٠٤

٨٠- ينظر : انماط التراكيب القرانية لعلي ميران جبار رسالة (ماجستير) ٥١

٨١- الصحيفة الصادقية ١٩٦

٨٢- المصدر السابق نفسه ٢١٠ ــ ٢١١

٨٣- ينظر : النحو الوافي ٣ / ٤٤٢

المصادر والمراجع

١- الاصول في النحو العربي لابي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي , تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي– مؤسسة الرسالة .

٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات بن الأنباري , تحقيق الدكتور جودة مبروك محمد مبروك – ط١ مكتبة الخانجي - القاهرة .

٣- أنماط التراكيب القرآنية (دراسة في سور الحوا ميم) - علي ميران جبار – (رسالة ماجستير) كلية الآداب – جامعة الكوفة – (٢٠٠٩ م) .

٤- الإيضاح في علوم البلاغة لسعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني – دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .

٥- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي , تحقيق الدكتورة وداد القاضي ط١ دار صادر – بيروت .

٦- البلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب – ط١ مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٤ م .

٧- بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة (آل عمران) – حارث عادل محمد – (رسالة ماجستير) كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح – (٢٠٠٨ م) .

٨- بناء الجملة في الصحيفة الكاظمية – ستار هويدي علي الحسناوي – (رسالة ماجستير) كلية التربية – جامعة كربلاء (٢٠١١ م) .

٩- التحليل النحوي أصوله وأدواته للدكتور فخر الدين قباوة– الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ٢٠٠٢ م .

١٠- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين دار المريخ – الرياض – المملكة العربية السعودية .

١١- الجملة الخبرية في نهج البلاغة – علي عبد الفتاح محيي الشمري – (رسالة ماجستير) – كلية التربية – جامعة بابل (٢٠٠١ م) .

١٢- الجملة العربية تأليفها وأقسامها للدكتور فاضل صالح السامرائي – ط٢ دار الفكر – عمان ٢٠٠٧ م .

١٣- دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني , تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية , والدكتور فايز الداية – ط١ دار الفكر – دمشق ٢٠٠٧ م .

١٤- الرد على النحاة لابن مضاء احمد بن عبد الرحمن القرطبي , دراسة وتحقيق الدكتور محمد ابراهيم البنا – ط١ دار الاعتصام ١٩٧٩ م .

١٥- شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل – ط١ اسيانا .

١٦- شرح الاشموني على الفية ابن مالك , تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط١ دار الكتاب العربي – بيروت / لبنان ١٣٧٥ ه .

١٧- شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي , تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون .

١٨- شرح الرضي لكافية بن الحاجب , دراسة وتحقيق الدكتور حسن بن محمد بن ابراهيم الحفظي–

ادارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية .
١٩- شرح المفصل لموفق الدين ابن يعيش , طبعة إدارة الطابعة المنيرية .
٢٠- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج ابو الحسن النيسابوري , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٢١- الصحيفة الصادقية , تأليف باقر شريف القرشي , تحقيق مهدي باقر القرشي – ط٥ دار المعارف ٢٠١١ م .
٢٢- في النحو العربي قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي – ط٢ دار الرائد العربي – بيروت / لبنان ١٩٨٦ م .
٢٣- في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي – ط٢ دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ٢٠٠٥ م .
٢٤- الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر , تحقيق وشرح عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي– القاهرة .
٢٥- مدخل الى دراسة الجملة العربية للدكتور محمود احمد نحلة – دار النهضة العربية – بيروت / لبنان ١٩٨٨ م .
٢٦- المسائل العسكريات في النحو العربي لأبي علي الفارسي , دراسة وتحقيق الدكتور علي جابر المنصوري .
٢٧- معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي – ط١ مؤسسة التاريخ العربي – بيروت / لبنان ٢٠٠٧ م .
٢٨- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري , تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب – ط١ الكويت ٢٠٠٠ م .
٢٩- مفتاح العلوم ليوسف ابن ابي بكر السكاكي , ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور – ط٢ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ١٩٨٧ م .
٣٠- المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد المبرد , تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة– القاهرة ١٩٩٤ م .
٣١- من بلاغة القران للدكتور احمد احمد بدوي – شركة نهضة مصر ٢٠٠٥ م .
٣٢- منة المنان في الدفاع عن القران للسيد محمد محمد صادق الصدر .
٣٣- النحو الوافي لعباس حسن – ط٧ انتشارات ناصر خسرو– طهران .
٣٤- نظرات في التراث اللغوي العربي للدكتور عبد القادر المهيري – ط١ دار الغرب الاسلامي – بيروت / لبنان ١٩٩٣ م .
٣٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي , تحقيق احمد شمس الدين – ط١ منشورات محمد علي بيضون – بيروت / لبنان ١٩٩٨ م .

وان الله يهدى من يريد
AND BECAUSE ALLAH GUIDES WHOM HE INTENDS
AL HAJ 22 : 16

المنهج الرياضي في الدرس المعجمي عند الفراهيدي
ـــ تقويم وتجديد

The Mathematical Approach in Al-Farahidi›s Lexicon Lesson: Evaluation and Modernization

أ .م.د عادل عباس النصراوي
مركز دراسات الكوفة ـ جامعة الكوفة
Assist.Prof. Dr. Adel Abbas Al-Nasrawi
Centre for Kufa Studies , University of Kufa

ملخص البحث

لم يعرف العرب قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) المعجم اللغوي ؛ لأنّ دلالة الألفاظ ومعانيها محفوظة في صدورهم ؛ فقد كانوا يحفظون في ذاكرتهم ولا يسجلون ما يحفظون لكن بعد دخول الأعاجم في الإسلام واختلاطهم بهم ظهرت العجمة على ألسنة العرب فخيف على العربية من ضياع قواعدها واختلاف دلالة ألفاظها، فاتجه العلماء إلى المحافظة عليها وصيانتها من الإنحراف والإبتذال والضياع وشيوع اللحن فشمروا عن ساعد الجدّ في مواجهة هذا الخرق باتجاهين اثنين:

أحدهما: مواجهة اللحن الإعرابي المتعلق بخرق قواعد النحو والإعراب في الكلام العربي، والآخر: مواجهة اللحن اللفظي المتعلق ببنية الكلمة وصيغتها ودلالتها سواء في التركيب أم خارجه وهذا هو الذي يهمنا في البحث , وكان للخليل الباع الطولى في ذلك إذ اتبع نظاما لم يسبقه أحد في جمع الألفاظ وترتيبها فهو لم يتبع النظام الهجائي ولا الألفبائي بل اخترع طريقة رياضية لذلك مبنية على تقليبات الجذر اللغوي , ومخارج الأصوات وترتيبها بحسب موضع ولادتها وتقسيم الألفاظ بحسب الأبنية الى البناء الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي , وقد أفاد البحث من هذه المفردات في الكشف عن المنهج الرياضي الذي اتّبعه الخليل في عمله المتمثّل بمجموعة من المعادلات الرياضية التي تحسب عدد الألفاظ لكل بناء وبمجموعها تحسب عدد الجذور اللغوية في العربية , فضلا عن إمكان معرفة تسلسل كل جذر منها , وفصل المستعمل منها عن المهمل من الألفاظ .

Abstract

Arabs never knew the lexicon of language before Al-Khalil Ibn Ahmad Al-higra, because words and their meanings were kept in their ١٧٥,Farahidi hearts ; they kept things down to memories without recording them .When non-Arabs had embraced Islam and mingled with Arabs, non-Arabic accent appeared in the Arabic usage . Therefore, there was the feeling of anxiety that Arabic might loose its rules and the meanings of words would change. Scholars turned to preserve Arabic and maintain it from deviation, degradation, loss and the prevalence of incorrectness. Then they worked hard to face this .violation from two directions

One is confronting the parsing incorrectness which is associated with the violation of rules of grammar and declension in the speech of Arabs .The second is confronting the incorrectness of words which is associated with the structure of word , its from and meanings whether in the constituents parts or external ,which is the main concern of this research. Al-Khalil did the greatest effort in this regard when he advised an unprecedented system in collecting words and organizing them .He did not follow the alphabetical system, but invented a mathematical approach based on root alternations, articulations of sounds, organizing these sounds according to their production, categorizing words into bilateral and tripartite, Quartet and Quintet. The researcher makes use of these expressions in finding out the mathematical approach that were used by Al-Khalil, which was represented by a set of mathematical formulas which counts the number of words in each structure , the groups of roots, and the sequence of each root , and separating words which are in .use and those in disuse

المقدمة

لم يعرف العرب قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) المعجم اللغوي؛ لأنّ دلالة الألفاظ ومعانيها محفوظة في صدورهم؛ فقد كانوا يحفظون في ذاكرتهم ولا يسجلون ما يحفظون، لكن بعد دخول الأعاجم في الإسلام واختلاطهم بهم ظهرت العجمة على ألسنة العرب فخيف على العربية من ضياع قواعدها واختلاف دلالة ألفاظها، فاتجه العلماء إلى المحافظة عليها وصيانتها من الانحراف والابتذال والضياع وشيوع اللحن، والعرب لم تعرف اللحن بمعنى مخالفة التعبير الصحيح قبل أن يختلطوا بالأعاجم ويأخذوا بالتفرقة بين فصاحة المنطق وفساد اللسان (١)، فشمروا عن ساعد الجد في مواجهة هذا الخرق واتجهوا باتجاهين اثنين:

(أحدهما: مواجهة اللحن الإعرابي المتعلق بخرق قواعد النحو والإعراب في الكلام العربي، والآخر: مواجهة اللحن اللفظي المتعلق ببنية الكلمة وصيغتها ودلالتها سواء في التركيب أم خارجه) (٢).

الذي يهمنا هنا هو مواجهة اللحن اللفظي الذي يُعنى بملاحقة الألفاظ وصيغها ومعرفة دلالتها، إذ نجد بوادر هذا الاتجاه في اجابات عبد الله بن عباس (رض) عن سؤالات نافع بن الأزرق، واستدلالاته على معاني الألفاظ بشعر العرب، فكان يقول: (الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه) (٣).

لذا تُعدّ هذه المحاولة، الأولى في إنشاء نواة لمعجم عربي (وهناك آخر يعدّ ممن اختطوا طريق التأليف اللغوي، وكان من طلائع وضعة المعجم العربي ولعله سار على نهج ابن عباس أو سار على نهجه حقا، وذلك هو أبان بن تغلب بن رباح الجريري، أبو سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد وكنيته أبو أميمة، وتوفي عام ١٤١هـ، وكان قارئا فقيها لغويا إماما ثقة عظيم المنزلة، روىَ عن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وأبي عبد الله (عليهم السلام)، وسمع من العرب وألّف "غريب القرآن"، وذكر شواهده من الشعر) (٤).

ومن علماء العرب من كان يذهب إلى البادية ويعيش مع الأعراب، فيجمع الكلمات كيفما اتفق، فيسمع كلمة في المطر وأخرى في السيف، وثالثة في الزرع والنبات، فيدونها حسبما سمع من دون ترتيب، ومنهم من يجمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، كالمحدّث يجمع أحاديث الصلاة ويسميها كتاب الصلاة، وقد تُوّج هذا الاتجاه بتأليف كتب في المطر والخيل والسحاب، وغيرها، فألّف الأصمعي (ت٢١٣هـ) كتابا في النخل والكرْم، وكتابا في الشتاء، وآخر في الإبل وأسماء الوحوش، وألّف ابن الأعرابي(ت٢٣١هـ) كتابا في البئر(٥).

هذه المحاولات الجادة كانت النواة الأولى لبناء المعجم العربي حتى توّجت بعمل الخليل ابن أحمد الفراهيدي عندما ألّف معجمه (كتاب العين) ووضع أسسه على منهج رياضي، وبجهد عقلي عظيم في رسم منهجه، إذ هو منهج فريد في بابه، جديد في أصوله... لم يسبقه فيه عالم من قبل، فنهجه يقوم على أصول النظرية الارتباطية في اللغة، وهذه النظرية

تُستمد من المنطق الرياضي بوصفها:

١ـ طريقة في البحث والعرض.

٢ـ إنها علم لا موضوع له، وليس لها علاقة بالعالم الخارجي، ومعطياته(٦).

وإن المنطق هو وسيلة الفيلسوف والعالم في تقنين الموضوعات، وصياغتها على وفق أسس علمية لتكوين المعرفة الناضجة، فاختار أن يكون المنهج الرياضي طريقا يسلكه لتقنين عمله المعجمي، باليقين المطلق للرياضيات؛ لأن المذهب التجريبي ينقصه الاستقراء الكامل للواقع اللغوي، مهما بلغت دقته، فحاول أن يوفّق بين اليقين الرياضي المطلق والحقيقة اللغوية التي تعيش في المجتمع العربي، التي غلّفها الغموض، بسبب من عدم تسجيل اللغة في وثائق وحفظها، بل بقيت في صدور الرواة وسكان البوادي المعزولة عن العالم الخارجي.

وبهذا المنهج استطاع أن يحسب فيه كل جذور اللغة العربية، ما استعمل منها وما أهمل بتقليب أبنيتها، اعتمادا منه على مخارج أصواتها، فابتدأ من أعمقها مخرجا وهو صوت العين إلى آخرها وهو صوت الميم الشفوي.

والخليل بعمله هذا إنما أراد أن يدرس اللغة وفنونها على أساس علمي لا على أساس الجمع كيفما اتفق أو بحسب المعاني، فوجد أن اللغة هي ألفاظ ومعانٍ، وأن الألفاظ مجموعة من أصوات ، فبادر إلى تذوق الأصوات ومعرفة مخارجها في مدرج الفم والحلق ليتعرّف قوة هذه الأصوات وشدتها ورخاوتها وهمسها وجهرها، لأن لهذه الأمور أثرها في دلالة اللفظة ومعناها سواء كانت وحدها أم ضمن سياق عام يجمعها.

إنّ أثر صفات الأصوات ومخارجها على معاني الألفاظ يقودنا إلى ضرورة معرفة العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهذا ما يدفعنا دفعا إلى دراسة مسألة نشأة اللغة، ومن ثم معرفة رأي الخليل في ذلك، فقد اختلف أصحاب الرأي، فمنهم من قال: إنّ اللغة توقيفية موحاة إلى آدم، وآدم هو الواضع الأول للغات كلها، وقد جاء في التوراة: (وجَبَلَ الربُّ الإله من الأرض من كلّ حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية) (٧) .

وقد شاع هذا الرأي حتى قال به ابن عباس (رض) في تفسير قوله تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)،(٨) فكان يقول:(علّمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف فيها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الاسم وغيرها) (٩).

وقد مال بعض اللغويين إلى هذا الرأي، منهم ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، إذ يقول: ((إنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله ـ(جلّ ثناؤه) (١٠)، وذكر الآية، وكان ابن جني (ت٣٩٢هـ) في أحد رأييه يميل لذلك اعتمادا منه على وارد الأخبار المأثورة، بأنها من عند الله عزّ وجلّ ـ فقال:(فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه ، وأنها وحي)) (١١) ، وذهب الأشاعرة من المتكلمين إلى هذا الرأي كذلك.

ومنهم من ذهب إلى أنّ اللغة تواضع واصطلاح، وهو مذهب المعتزلة وبعض الأصوليين كالشيعة الإمامية (١٢)، وذهب آخرون إلى أنّ اللغة ليس لها واضع، وإنما هي ظاهرة اجتماعية أوجدتها المجتمعات لحاجتها إلى التفاهم والتعبير عما في نفس الإنسان اتجاه الإنسان، فكانت أول محاولة هي محاكاة الأصوات الطبيعية، ثم تطوّرت إلى القول بالمناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى شأنها شأن أي ظاهرة اجتماعية أخرى، وكان الخليل يميل إلى هذا الرأي، قال الدكتور مهدي المخزومي:((واستطيع أن أقول مطمئناً إنه هو صاحب هذا الرأي بين علماء العربية، لأني لم أقف لغيره ممّن سبقه على كلام فيه، ولم أزعم أنّ للخليل في هذا نظرية تامة التكوين، ولكنّي أزعم أنها كلمات ماثلة في ذهنه فكرة لم يتم لها النضج بعد)) (١٣)، وأورد أدلته على صحة ما ذهب إليه بإيراده أقوال الخليل في ذلك، منها قوله: ((صرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصرةً، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً، وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً)) (١٤)، وأيضاً: ((يقولون صلّ اللجام يصلّ صليلاً... فلو حكيت ذلك قلت: صلّ، تُمدُّ اللام وتثقلها، وقد خففتها من الصلصلة، وهما جميعاً صوت اللجام، فالتثقيل مدّ والتضعيف ترجيع)) (١٥)، وأورد الدكتور المخزومي مجموعة من الأدلة تؤيّد ما ذهب إليه من أن الخليل كان يذهب إلى المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى (١٦) .

ولعل طريقة الخليل في معرفة مواقع ولادة الأصوات وصفاتها هي التي قادته إلى القول بالمناسبة الطبيعية في العلاقة بين اللفظ والمعنى، وأن الحل الرياضي الذي سقناه في بحثنا (المنهج الرياضي في الدرس الصوتي عند الفراهيدي) يؤيّد ما ذهب إليه الخليل، إذ وجدنا أنّ العلاقة وثيقة بين صفات الأصوات ومخارجها مع دلالتها، في أغلب المفردات المترادفة، وإنّ إبدال صوت محل صوت آخر يؤدي إلى إيجاد فارق من مساحة صوتية في المترادف من الألفاظ خاصة، حتى أنّ منهجه الصوتي المعتمد على صفات الأصوات ومخارجها قد أوضح أدقّ الفروق الدلالية في الألفاظ التي يُقال عنها مترادفة، وكأنه يوحي إلينا أن لا ترادف تام في ألفاظ العربية.

وقد رصد علماء اللغة القدامى والمحدثون هذه العلاقة بين الصوت ومدلوله، واعترفوا أن في لغة الإنسان معانيَ تتطلب أصواتاً، وأنّ هناك من المدلولات ما عبّرت عنها اللغة بأصوات معيّنة وثيقة الصلة بالمعنى، فالصوت فيها ذو قيمة تعبيرية دالة (١٧)، وشخّصوا ما يُطلق عليه (أسماء الأصوات) من نحو القهقهة والغمغمة والنحنحة والقرقرة والتأوّه والشخير وغيرها. ذكر الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ترتيب الأصوات فقال: (إذا أخرج المكروبُ أو المريضُ صوتاً رقيقاً فهو الرنين، وإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الحنين، فإن زاد فيه فهو الأنين، فإن زاد فيه فهو الخنين، فإذا أزفر به وقَبُحَ الأنين فهو الزفير، فإذا مدَّ النَفَسَ ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردَّد نَفَسُهُ في الصدر عند خروج الروح فهو الحشرجة) (١٨).

بيد أنّ بعض اللغويين قد أنكروا الصلة بين

الصوت ودلالته، وشكّوا بالقيمة التعبيرية المعنوية للصوت المجرد، وذلك بسبب من الفرق في جرس الأصوات ودلالتها، فلو أصخنا السمع إلى كلمة (صلّ) أو (صرّ) التي ساقها الخليل(١٩)، فلا نجد بجرسهما ما يفصح عن المدلول المراد، ولما ميّزنا صوت الصاد أو اللام أو الراء فيهما كي يدلاّ على المعنى المطلوب، لكنهم قالوا بدلالة بعض الأصوات على معانيها، وربّما كان ذلك قليلاً نسبة إلى كل مفردات اللغة. وقد ساق المعارضون لفكرة العلاقة الطبيعية بين الصوت ودلالته، أدلة تنحصر في أمورٍ ثلاثة هي(٢٠):

١- إنّ الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة قد تعبّر عن عدّة معان، وهو ما يُسمى بالمشترك اللفظي.

٢- إنّ المعنى الواحد قد يُعبّر عنه بعدّة كلمات مختلفة الأصوات وهو ما يُسمى بالترادف.

٣- إنّ الأصوات والمعاني تخضع للتطوّر المستمر على توالي الأيام، فقد تتطور الأصوات وتبقى المعاني سائدة، كما قد تتغير المعاني وتبقى الأصوات على حالها.

هناك من سلك مسلكاً معتدلاً بين الرفض والقبول، منهم الدكتور إبراهيم أنيس حينما قال: (ونحن حين نتخذ طريقاً معتدلاً بين هؤلاء وهؤلاء ندرك كل الإدراك أنّ في اللغة معاني تتطلب أصواتاً خاصة، وأنّ هناك من المدلولات ما تُسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظ معيّنة، وربّما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التي تلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات) (٢١)، وعدّد بعض الوجوه التي تكون العلاقة الذاتية واضحة بين الأصوات ومدلولاتها في المفردة اللغوية كأصوات القهقهة والغمغمة وغيرها عند الإنسان، ورغاء الناقة وبغامها، وخرير الماء وهزيم الرعد وصرير القلم، وعدّ الدكتور أنيس الذين انتصروا لفكرة الارتباط الذاتي بين الأصوات ومدلولاتها قوماً من الشعراء والأدباء الذين يستشفّون في الكلمات أموراً سحرية ويتخيّلون في منطقها رموزاً وعلامات لا يراها اللغوي العملي (٢٢) .

بيد أن ما يراه الخليل ليس ببعيد عن الصواب، فهو لم يقل على سبيل القطع بهذه النظرية، وإنما قاده الى ذلك فكره الرياضي العملي، فإنّ محاكاة الأصوات الطبيعية تُعدّ مرحلة مبكرة لنشأة اللغة، ثم تطوّرت هذه الحالة بوصفها حالة اجتماعية متطوّرة، فعندما تطوّر الفكر الإنساني وظهرت الحاجة الملحّة إلى ألفاظ أخرى لتعبّر عن المعاني الجديدة التي برزت بسبب من التطوّر، بدأ الإنسان يطوّر هذه الألفاظ من المقطع ذاته ليزيد في المعنى بتكراره من نحو زلزل، كبكب، وصرصر، وغيرها، أو بإبدال صوت محل صوت آخر لينحرف بالمعنى الأصل إلى معنىً آخر قريب منه من نحو قطع وقطم وقطف وقطل، التي تعني القطع، أو خضم وقضم لأكل اللين واليابس من الطعام.

هذه الحالات المتطورة عن أصل اللفظ وبهذه الدقة من المعاني لم تكن اعتباطية في وضعها، وإنما هي حالة تتعلّق بالإنسان نفسه، وعليه يمكن القول انّ ما ذهب إليه الخليل في فكرته هذه أنّ أصل وضع اللغة

محاكاة الأصوات الطبيعية بشكله البدائي ثم تطوّرت يُصاحبها المنطق في وضع الألفاظ وبناء الكلمة لتدلّ على المعنى الذي يطلبه الإنسان، وأجدُ أنّ هذا الرأي هو الأقرب للواقع اللغوي.

أما مذهب الخليل في التقليبات، فإنّ الحل الرياضي الذي سقناه في الدرس الصوتي عنده (٢٣) يؤيّد ما ذهب إليه، وهو يقود بالدارس إلى وجود فروقٍ دلالية في الجذور اللغوية الناتجة عن التقليب والمؤلّفة من ذات الأصوات، وهو لذلك يُعدُّ كلّ جذر لغوي ناتج عن هذه التقليبات أصلاً قائماً بذاته، غير أنّه يرتبط بمجموعة عناصر التقليبات بمعنى عام يجمعها، وهذا ما أطلق عليه علماء اللغة الاشتقاق الكبير، وهو أخذُ لفظ من لفظ مع المحافظة على معنى عام - يجمعها ولا يشترط فيه الترتيب في الحروف من نحو (ج ب ر)، فأصواتها تدلّ على القوة والشدة كيفما كان ترتيبها في الكلمة، فيوجد هذا المعنى في جميع تراكيبها الستة وهي: جبر من جبرتَ العظم والفقر إذا قوّيتهما، الجبروت القوة، والجبر الأخذ بالقهر والشدّة(٢٤)، وجرب ومنه رجل مجرّب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنّه يحفظ ما فيه، والشيء إذا حفظ قويَ واشتدّ(٢٥) ، وبجره ومنه الأبجر وهو القوي السرة (٢٦)، وبرج ومنه البُرْج لقوته ومناعته، والبَرَج وهو نقاء بياض العين وصفاء سوادها، ومن الواضح أن ذلك يكسبها قوة (٢٧)، ورجب، ومنه رجبتُ الرجل إذا عظمتُهُ وقويت أمره، ومنه رجب لتعظيمهم إيّاه عن القتال فيه، ومنه كذلك الرَجبَة وهو ما تسند إليه النخلة لتدعيمها وتقويمها، والترجيب وهو ضم أعذاق النخلة إلى سعفاتها وشدّها بالخوص (٢٨)، وربجَ ومنه الرّباجي وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله، فهو يعظم نفسه ويقوي أمره (٢٩) .

وأصوات (ق د س) تدلُّ على القوة والاجتماع، وأصوات (ن ج د) تفيد القوة كيفما جاءت، ومنها أيضاً أصوات (ر ك ب) تدل على الاجهاد والمشقة، وأصوات (س ل م) تدل على المصاحبة والملاينة(٣٠) .

أما ما يسمى بالاشتقاق الأكبر الذي عقد له ابن جني في خصائصه باباً سمّاه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) (٣١) وذكر فيه ألفاظاً من نحو أزّ وهزّ، عسف وأسف، جرف وجلف، قرت وقرد، وغيرها إنما تبتني على فكرة الخليل في المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله(٣٢).

إذن فلا غرابة فيما فعله الخليل من اتخاذ المنهج الرياضي في درس اللغة، وهذا إنما بُني على المنطق الرياضي؛ لأن التغييرات الكيفية في الحركات والأصوات وتبدّل أماكنها هي تغييرات كميّة ينقلب عندها العلم الطبيعي المتمثل بوسيلة التواصل بين أفراد المجتمع، وهي اللغة إلى علم رياضي، ينزل من المبادئ والقيم والمثُل العليا إلى نتائج ملموسة، وهي الدلالات المتولدة من تقليبات الأصوات، وكذلك يسمح بتوقع الظواهر المستقلة الأخرى من خلال القياس، وهذا مبدأ غاليلو) (٣٣)، بيد أن الخليل قد سبق إلى ذلك بأكثر من سبعة قرون، فحوّل اللغة إلى مجموعة إشكالات رياضية منطقية، لأنه كان

على يقين تام أن اللغة تعتمد المنطق في التعبير عن الأشياء والأفكار فأوجد وشيجة من رابط بينها وبين الفكر.

لقد قدّم غاليلو لأكاديمية فلورنسا بحثا في عام ١٥٨٨م، عنوانه (دروس في شكل جحيم دانتي ومكانه وحجمه) حوّل فيه جحيم دانتي إلى مجموعة من المشكلات الرياضية) (٣٤) .

لذا إن أردنا أن نؤرخ للاشتقاق فينبغي أن نؤرّخ بالخليل وأعماله اللغوية، فهو زعيم للمدارس التي عرضت للاشتقاق، بل لم يكن عمل العلماء بعده في الغالب إلاّ شرحاً لما أب منها وتكميلاً لما فات(٣٥)ه.

إذن فقد سلك الخليل في جمع اللغة منهجين اثنين هما: السماع والقياس، أما السماع فقد تمثّل بأخذ اللغة وجمعها من القبائل العربية الساكنة في قلب الصحراء التي لم تتلوث ألسنتها بالعجمة، وأما القياس فقد تمثّل بالاشتقاق عموماً من التقليبات دونما وجود أي تأثير من ثقافة أجنبية.

وفي ضوء ما تقدّم يمكن أن نقول: إنّ الخليل كان رأساً لمدرستين في اللغة والنحو، هما مدرسة البصرة التي اعتمدت على القياس، ومدرسة الكوفة التي اعتمدت على السماع والتحرر من القياس، وهذا دليل أصالة في فكر الخليل، لا دليل أثر من ثقافة أخرى، كما ذهب إلى ذلك المستشرق جون . أ. هيود عندما رأى أنّ أثر اللغويين اليونانيين قد ظهر في العربية بقوله: (وربّما قد ظهر الأثر ذاته في اللغة العربية أيضاً، فهل ثمّة غلو إذا ما قارنّا بين البصريين (مدرسة البصرة) الذين اعتمدوا على القياس كزملائهم اليونانيين، وبين الكوفيين (مدرسة الكوفة) بدراستهم اللهجات بزملائهم اليونانيين من أصحاب السماع "التحرر من القياس" ألم يكن رأي أصحاب السماع "اللاقياس" يكمن وراء الزيارات المتكررة التي قام بها معجميون معروفون لقبائل عربية في البوادي كدليل في البحث عن الصواب وملحق لنظريات شيوخهم المتحذلقين) (٣٦).

إنّ وفود علماء العربية إلى بوادي نجد والحجاز وزياراتهم لقبائل تميم وأسد وهذيل وغيرها لم يكن بدافع من أثر أجنبي كما يدّعي هيود، وإنما كان بدافع الحفاظ على لغة القرآن الكريم وعدم تحريفه وإدخال الأعجمي فيه، فواصلوا الأيام بالأسابيع والشهور لتسجيل ما وقر في سمعهم من لغة العرب، فقد أخذوا عن الرجال والنساء والأطفال، وحتى المجانين منهم، وأما معرفة الخليل بكل هذه القيم اللغوية فلم تكن عن معرفة بإحدى اللغات الأجنبية كالفارسية واليونانية أو الهندية والصينية، بل كان منه ذكاء وفطنة، قال قرينه ومعاصره يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ): (إنّ الخليل كان يستدل بالعربية على سائر اللغات، ذكاء منه وفطنة) (٣٧)، فقد كان ذا عقل رياضي حاول أن يقنن كل أعماله على وفق هذا المنهج، فتقنينه أوزان الشعر العربي وتأليفه في الموسيقى، هي أعمال تتطلب عقلا رياضيا وتحليلا منطقيا لكل ما يقع عليه بصره أو يوقر في سمعه فيحلل ما يسمعه ويرجعه إلى أصوله على وفق منهج لا يزيغ بالقارئ عن جادة الصواب.

فالخليل لم يتّبع النظام الهجائي في تدوين أصول

الكلمات، كما تساءل المستشرق هيود (٣٨) ، وذلك لأن هذا النظام لم يكن مبنيا على أساس علمي بقدر ما كان طريقة لتمييز الحروف المتماثلة عن بعضها بالرسم، وهذا النظام لا يوحي لمتذّوق اللغة بأثر الأصوات على الدلالة ولا بأدائها الدلالي المبني على تناسق الأصوات في اللفظة، في حين أن مهمة المعجم بيان ذلك وتقديمها للقارئ سهلة المطلب وقريبة المنال ومتسلسلة في قوة الدلالة من لفظة إلى أخرى تتبعها، على أن المعجمات المبنية على النظام الألفبائي لا تجد التسلسل والترتيب في منزلة الدلالة بحسب تسلسل الجذور، بل لا نجد معنى هنا، ثم لا نجد ما يوافقه أو يقاربه فيما عليه من الدلالة ، غير أن نظام الخليل في التقليبات قد ضمن ذلك لمستعمل اللغة، وهيّأه له، لأن في تقليب الجذر تجد معنى عاما لهذه التقليبات مع وجود فارق في دلالة كل جذر عن الآخر، وربما توهم بعض المتحذلقين وقال بوقوع الترادف فيها.

كذلك فإن نظام التقليبات الذي اتبعه الخليل يعطي للقارئ صورة واضحة عن اللفظة من جهة دلالتها ومعناها وأثرها في السياق أو خارجه في خارطة الصفات للأصوات، ابتداء من أصغر وحدة صوتية يمكن أن تدخل في اللفظة كالحركة أو الصوت, أو كليهما معا.

إنّ اختيار عنصر الصوت في منهج الخليل لبناء المعجم العربي لم يكن وليد مصادفة أو أثرا من منهج خارج عن إرادة العرب، بل كان حاجة ملحة اكتشفها الخليل لغرض إبانة المعنى وتحديده بشكل دقيق، لأن الصوت اللغوي مهم في بناء اللفظة وتحديد سماتها الدلالية، وكأنه يشير إلى أن مجموع صفات الصوت فيها لا يمكن احاطة كاملة بسبب من أثر أصوات المفردة ذاتها في تركيبها وأثر أصوات المفردات الأخرى في السياق الذي يضمّها، وبهذا فهو يومئ إلى أن المعاني لا يمكن الإحاطة بها بنحو مطلق، وأنّ اللفظ الحاوي لها يجب أن يكون مرنا ليستوعب كل الدلالات المحتملة للفظة في السياق الذي يضمها، فأعطى للمعنى مرونة في التطور والاتساع وملاءمة الواقع السياقي ضمن وقوع المجاز في المفردات على غير عادة من ذهب إلى إلغائه، والاكتفاء بحقيقة المعنى مع أن للحقيقة أثرا في المعنى المجازي.

إذن نحن نتلمس فكرا لغويا متطورا يضمن حق اللغة ومستعملها، وأنّ الخليل إنما استعمل منهجه في التقاليب ليضمن كل هذه الدلالات ومستوياتها في اللغة، ولا نشكّ يوما لو اعتقدنا أن الخليل كان مصّرا على الأخذ بالمنهج الرياضي، لأنه كان دليله إلى كل ذلك، قال المستشرق هيود:(إنّ المقلوبات أو"نظام التقاليب" هي في واقع الحال لعبة الرياضي، وقد نشك في ذلك لو اعتقدنا بأن الخليل لم يستطع التحرر منها) (٣٩) ؛ لأنها لم تكن فكرة طارئة على النظام المعجمي، بل كانت من أصل الموضوع ـــ على صعوبتهاـــ وإنها تعطي للفكر اللغوي العربي بعدا إنسانيا واسعا وسبقا عالميا، إذ إن الخليل قد سبق الغرب الأوربي بقرون متعدّدة في تقنين الفكر اللغوي، على وفق هذا المنهج الدقيق، هو قابلٌ لأن يطبق على كلّ فنون اللغة، فضلا عن الفن المعجمي.

في ضوء ما تقدم، فإننا نستطيع القول بلا تردد إنّ معجم العين هو من صنع الخليل وإملائه، لأنّ ذلك لا يمكن أن يقوم به غيره على وفق هذا المنهج الرصين والمتعدد المشارب في الدلالة ودقة المعنى، قال الليث: (كنت أصير إلى الخليل بن أحمد، فقال لي يوما: لو أن إنسانا قصد وألّف حروف أ ب ت ث على ما أمثّله لأستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهيّأ له أصل لا يخرج منه شيء البتة. فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال:يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه ليس يُعرف في كلام العرب أكثر منه، قال الليث: فجعلت استفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياما ثم اعتّل وحججتُ فمازلت مشفقا عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج وصرتُ إليه فإذا هو قد ألّف الحروف كلها على ما هي في الكتاب، وكان يملي عليّ ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي:سل عنه، فإن صحّ فأثبته إليّ أن عملت الكتاب) (٤٠), وقد أثبت نسبة كتاب العين الى الفراهيدي عدد من العلماء منهم ابن المعتز (توفي سنة ١٩٤ هـ) من القدماء, وعبد الله درويش من المعاصرين, وبراونلتش من المستشرقين(٤١).

أما مذهبه في الأبنية، فإنه لم يكن غريبا عن منهج اللغة، فقد وجد أن اللغة هي مجموعة أبنية رئيسة يزاد عليها بعض الأصوات الصامتة أو المتحركة، فتتوالد منها ألفاظ أخرى تحوم في دلالتها حول الدلالة الأصل في البنية المعهودة، وهذه من الميزات التي تشترك فيها العربية مع أخواتها اللغات السامية فإنّ (أهم ما يميّز فصيلة اللغات السامية من غيرها من فصائل اللغات الأخرى أنها تعتمد اعتمادا كبيرا على الأصوات الصامتة لا على الأصوات المتحركة، أو بمعنى: يرتبط المعنى الرئيس للكلمة في ذهن السامعين بالأصوات الصامتة فيها، أما الأصوات المتحركة فهي لا تعبّر إلا عن هذا المعنى وتعديله) (٤٢) ؛ لأن في ذلك زيادة في مبنى اللفظة، وهذه الزيادة لابد من أن يصاحبها زيادة في معنى أو دلالة، وإلا فإن وجودها يكون عبثا أو عبئا، وهذا ما يجوز في اللغة؛ لأنها وعاء الفكر.

قسّم الخليل أبنية الألفاظ إلى الأبنية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية قال الليث: (قال الخليل: كلام العرب مبنيّ على أربعة أصناف، على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فالثنائي على حرفين نحو: لم، هل، لو، بل، ونحوها من الأدوات والزجر(٤٣). والثلاثي من الأفعال نحو قولك: ضرب خرج، دخل، مبنيّ على ثلاثة أحرف، ومن الأسماء نحو: عمر، وجمل، وشجر مبنيّ على ثلاثة أحرف، والرباعي من الأفعال نحو: هلمج، وقرطس مبنيّ على أربعة أحرف، ومن الأسماء نحو: عبقر وعقرب وجندب، وشبهه، والخماسي من الأفعال نحو: اسحنكك واقشعر واسنحفرّ واسبكّر مبنيّ على خمسة أحرف، ومن الأسماء سفرجل وهمرجل...) (٤٤). وأنّ الألف في الأفعال الخماسية هي ألف وصل، وليست من أصل البناء، وأدخلت لأجل الوصول إلى حرف البناء وهو ساكن، والعرب لا تبتدئ بالساكن فاحتاج الناطق إلى ألف متحركة كي

يصل إلى الساكن من حروف البناء.

وأكّد الخليل أن ليس للعرب بناء من الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، وأن أي زيادة عليها هي ليست من أصل الكلمة (٤٥)، وذهب إلى أن الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف، حرف يبتدأ به، وحرف يُحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه(٤٦).

اعترض الدكتور حسين نصار على ما أورده الليث عن الخليل عندما عدّ الراء الثانية أصلية فحكم على الفعلين: (اقشعرّ واسبكّر) خماسيين، وعدّها- أي حسين نصار- غلطة كبرى، اذ لم يذهب إلى ذلك لا بصري ولا كوفي، وأورد أدلته في ذلك(٤٧). وعلل وجود المضاعف في الثلاثي والرباعي إلى أن الإنسان البدائي عندما بدأ يتطور لم تكفِهِ الأصوات التي تتألف من مقطع واحد في الدلالة على ما يريد، فاضطر أن يضيف إلى هذه المقاطع زيادات للتفرقة بين المتشابه منها ولتوسيع مجال الاختلاف والابتكار(٤٨).

بيد أن أكثر المستعمل في هذه الأبنية هو البناء الثلاثي، ثم الثنائي، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى أصل اللغات السامية، فالعربية لم تكن بعيدة عن أخواتها، غير أن هذه الحالة أكثر وضوحا منها في العربية، قال بروكلمان: (ترجع الكثرة العظيمة لأبنية الاسم في اللغات السامية إلى ثلاثة أصول من الأصوات غير أنه يوجد أيضا بين الثروة اللغوية القديمة أسماء ذات أصلين من تلك الأصوات) (٤٩)، وهذا مذهب بعض اللغويين المحدثين من نحو الأب أنستانس ماري الكرملي، صاحب كتاب"نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها"، والأب مرمرجي الدونمنيكي مؤلف" المعجمية العربية في ضوء الثنائية والألسنية السامية" وغيرهما.

هذا الرأي ليس ببعيد عن فكر الخليل، وينبغي أن نشير هنا إلى قلة البناء الثنائي في العربية قياسا إلى الأبنية الأخرى، وذلك يعود إلى قلّة شيوع هذا البناء بسبب من قدمه، إذ إنّ الأقوام القديمة كانت تميل إلى المقاطع الثنائية القصيرة لقلة حاجتها إلى غيرها، بيد أن التطور الذي وقع على اللغة بسبب من التطورات الاجتماعية بوصف اللغة ظاهرة اجتماعية، يصيبها ما يصيب المجتمع، قد أخذ بها إلى الحاجة إلى مقاطع إضافية للتعبير عن حاجتها، فنشأت الأبنية الأخرى.

بيد أن البناء الثلاثي كان أكثرها ألفاظا لأنه أسهلها مأخذا، وقد أرجع الخليل ما جاء من الأسماء على حرفين إلى الثلاثي، وقال: (الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف، حرف يُبتدأ به، وحرف يُحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه) (٥٠)، وقال: (وقد يجيء أسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل: يدٍ ودمٍ وفمٍ، وإنما ذهب الثالث لعلّة أنها جاءت سواكن وخِلْقتها السكون مثل ياء يدي، وياء دمي في آخر الكلمة) (٥١)، في حين أن الرباعية والخماسية مما يثقل النطق على اللسان ويطيل زمانه، وهذا أخذ بيد العربي إلى التقليل من الكلام وزمانه، وهو من حسن البيان وبلاغة الكلام في النطق العربي.

إنّ تعدّد الأبنية العربية من مزايا العربية، ولم

تكن من بنات أفكار الخليل، بيد أنه بفكره الرياضي الوقاد قد أفاد منها في منهجه في وضع معجمه ورسم منهجه ليزيده ضبطا على ضبط عندما استعمل الترتيب على أساس مخارج الأصوات لتعلق دلالة الألفاظ بصفات أصواتها ومخارجها وترتيب المعاني المتوخاة من الجذر اللغوي وتقليباته، ثم ليحصرها مضبوطة بالأعداد من صيغ أبنيتها.

إذن كان منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في صناعة المعجم قد بُني على ثلاثة أعمدة تمثلت بمخارج الأصوات, وتسلسلها في مدرج الفم والحلق، والتقليبات للجذر اللغوي واعتماد محل كلّ لفظ منها أصلا قائما بذاته، فضلا عن وجود معنى جامع لكل دلالاتها والأبنية بتمثيلاتها الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية الضامنة لعدد الألفاظ وحصرها.

إنّ الخليل قد أوضح في ركائزه الثلاثة بكتاب "العين" مجموع الدلالات العامة المتوخاة في الجذور اللغوية، فضلا عما يضفي عليها من دلالات أخرى تجليها صفات الأصوات من الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق وغيرها.

وجعل هذه الدلالات متسلسلة في معانيها ومتناسقة في أدائها الدلالي، غير مبتعدة عن بعضها، وربما أوحى بذلك إلى ضرورة وضع مقياس سهل المأخذ لإحصاء الجذور اللغوية وتقليباتها وعلاقتها بما يليها؛ لأنه كان يرى أن المعاني للألفاظ بحسب التسلسل والمخارج تتناغم مع بعضها بسبب من تقاربها وترتيبها بما يسهل على مستعمل المعجم الإمساك بالمعاني على ترتيب واضح وتسلسل متناغم،حتى يجعل اللغة على نسق واحد والدلالات على نظم مرتب.

واستطاع كذلك بهذه الركائز الثلاث حصر جميع الألفاظ المتكونة من أصواتها، فضلا عن عدّها وترتيبها من دون إهمال لفظ مستعمل في لغة العرب، فضمن فيها تسجيل كل جذور لغة العرب المستعملة ومشتقاتها ودلالاتها، فكان مصدرا لكل من جاء بعده، ولعلّ أغلبهم من نحو ابن دريد والصاغاني والفيروز أبادي، لم يستكملوا في معاجمهم كل جذور لغة العرب المستعملة، والدارس لهذه المعاجم يمكن أن يستدرك على من سبقه بعض الألفاظ والجذور اللغوية، لأنهم لم يتبّعوا منهجا دقيقا في حصر الألفاظ كما اتبع الخليل المنهج الرياضي الإحصائي الدقيق.

ربما لأنّ أغلبهم كان لا يستسيغ تفعيل المنطق الرياضي في تقنين اللغة وترتيبها، ولاسيما في المعجم، لأنهم يرون أن اللغة واقع اجتماعي يتفاعل مع طبيعة المجتمع والحياة الاعتيادية، فلا تقاطع في استعمال المنهجين: البنيوي الشكلي الذي يبرع فيه استعمال المنهج الرياضي، فضلا عن المنهج الوظيفي الذي يتعامل مع اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، فالمنهجان متكاملان، لذا وقعت القطيعة في استعمال منهج الخليل الرياضي قديما مدة قرنين من الزمان تقريبا، وصرّح ابن دريد بذلك إذ كان يرى أن الخليل قد نسج كتاب العين مشاكلا لثقوب فهمه وحدة ذكائه، حتى حسده قوم فذموه كالنظّام (٥٢)، وبقي الحال إلى يومنا هذا دون تفعيل الجانب الرياضي في اللغة الذي وضع أسسه الخليل باستعانته بالمنطق من دون

أن يستثمره من جاء بعده، في حين سبقنا الغرب إلى هذا مستثمرين الجهد العربي الذي وضعه علماؤنا القدامى.

منهج الخليل الرياضي في جمع الألفاظ وترتيبها:

اتبع الخليل طريقة رياضية فذة لم يسبقه إليها أحد في حصر الجذور اللغوية وجمعها وترتيبها، جامعا فيها ما استعملته العرب منها وتاركا ما أهملته، من دون تكرار حرف في أي من الأبنية و الألفاظ؛ لأنه منهج يستلزم أن تحصر فيه ما تكرر من الحروف كذلك، من نحو: عع، حح، أو: جج وغيرها، أو ما تكرر فيها من المقاطع، مثل: زلزل، جلجل، كركر، وغير ذلك فأهمل هذه المقاطع من معجمه.

ومن منهجه أيضا أن جعل حروف العربية ثمانية وعشرين حرفا مغفلا الهمزة؛ لأنها منقلبة عن أحرف العلة، فقال: (وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة، فإذا رفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح) (٥٣)، أي أن الهمزة منقلبة عن أحرف العلة هذه، بسبب من لينها، فهي إما أن تكون ياء أو واوا أو ألفا.

لذا عدّ حروف المعجم العربي (٢٨) حرفا، وهذا ما يَعْضُد القول بأنّ الخليل قد فرّق بين الأصوات والحروف، ولو كان الحرف عنده صوتا لكان عدد حروف معجمه (٢٩) حرفا، لكنه عندما فرّق بينهما ضمّ الهمزة إلى حروف العلة، وعدّها منقلبة عنها فجاءت حروف معجمه (٢٨) حرفا لا غير.

على أنّه لم يبدأ معجمه بالهمزة، ولعلّ السبب يعود إلى ما ذكرنا؛ لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، كالألف تماما، فقد ذكر ابن كيسان (ت٢٩٩هـ)، فقال: (سمعتُ من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبدلة، ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء، فوجدتُ العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف) (٥٤).

وقد توهم بعض اللغويين في أن الخليل قد عدّ حروف المعجم العربي (٢٩) حرفا، عندما قال الليث: (قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز و مدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف) (٥٥)، وكون الأحرف الأربعة هوائية المخرج إذ إنّ الهمزة تختلف عنها كونها نبرة تخرج من الصدر, كما ينقل سيبويه عن أستاذه الخليل (٥٦)، فإن هذه الخاصية تتصف بصفات تلك الأصوات الثلاثة، فتكون كأيّ صوت منها عندما يُضغط عليها، وهذا مما حدا بالخليل أن يمزج حرف الهمزة بهذه الحروف، فتكون جزءا منها.

إذن كان الخليل قد بنى نظامه في عدّ الجذور اللغوية وحصرها على أساس الحروف الثمانية والعشرين وهي:

(ع ح هـ خ ع/، ق ك/، ج، ش، ض/ص س ز/، ط د ت/ ظ ذ ث/، ر ل ن/، ف ب م/، و أ ي)، ولم يجعل للهمزة بابا خاصا بها، في حين جعل الباب الأخير من أبواب العين خاصا بالأحرف المعتلة.

عدّ الألفاظ وجمعها:

بعد أن قرر أن تكون أحرف المعجم العربي (٢٨) حرفا، بدأ الخليل بعدّ جذور لغة العرب وحصرها على وفق هذا العدد من الأحرف بمستعملها ومهملها (وذكر حمزة الأصبهاني في كتاب الموازنة فيما نقل عنه المؤرخون قال: ذكر الخليل في كتاب "العين" أنّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار، اثنا عشر ألف ألف وثلاثة مائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر: الثنائي سبعمائة وستة وخمسون, والثلاثي تسعة آلاف ألف وستمائة وخمسون، والرباعي، أربعمائة ألف وواحد وتسعون ألف وأربعمائة، والخماسي أحد عشر ألف ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ألف وستمائة) (٥٧)، أي (١٢,٣٠٥,٤١٢) جذرا لغويا مستعملا ومهملا في كل الأبنية من غير تكرار حرف ـ كما ذكرنا ـ وأن عدد جذور الثنائي (٧٥٦) جذرا، وللبناء الثلاثي (١٩,٦٥٠) جذرا، وللرباعي (٤٩١,٤٠٠) جذر، وللبناء الخماسي (١١,٧٩٣,٦٠٠) جذر.

إنّ عملية إحصاء هذه الجذور المليونية كانت عسيرة جدا آنذاك، وذلك لافتقادهم الوسيلة الملائمة للعدّ والإحصاء، بيد أن عبقرية الخليل وعقليته الرياضية قد أهّلته إلى الوصول لمثل هذه النتائج الدقيقة، مع خلو هذه الألفاظ من تكرار حرف في اللفظة، ويكون ذلك من عملية الضرب الحسابية لكل حرف على حسب تسلسل الحروف الأخرى، أي حصر الألفاظ المؤلفة من حرف العين مثلا مع ما يليها من الحروف الأخرى من دون استعمال حرف العين أو غيره مكررا من نحو: (ح ح، هـ هـ،ي ي)، وعلى النحو الآتي:

١	ع	ح
٢	ع	هـ
٣	ع	خ
:	:	:
٢٧	ع	ي

ثم يتكرر هذا الترتيب مع الحرف الذي يليه، وهو حرف الحاء وعلى النحو الآتي:

١	ح	هـ
٢	ح	خ
٣	ح	غ
:	:	:
٢٧	ح	ي

وهذا النظام الذي وضعه الخليل للحروف لم يترك

أي لفظة مستعملة أو مهملة، ويمكن ترجمة هذه العملية الحسابية لعدّ الجذور اللغوية على وفق الصيغ الإحصائية لكل الأبنية بما يأتي:

$$\frac{\text{ن!}}{\text{(ن-ر)!}}$$

إذ إن»ن» يمثل عدد حروف العربية الثمانية والعشرين.

أما»ر» فهو يمثل نوع الصيغة البنائية فقيمة:

ر=٢ للبناء الثنائي.

ر=٣ للبناء الثلاثي.

ر=٤ للبناء الرباعي.

ر=٥ للبناء الخماسي.

وأما العلامة (!) فهي مضروب العدد، مثلا مضروب العدد(٤) هو:

٤!= ٤×٣×٢×١=٢٤ دون إجراء عملية الضرب بالصفر؛ لأن النتيجة ستكون صفرا.

ولأجل معرفة عدد الجذور اللغوية للأبنية على وفق الصيغة الإحصائية السابقة سيكون:

عدد جذور البناء الثنائي=$\frac{\text{٢٨!}}{\text{٢٨!}}$ = ٧٥٦= جذرا لغويا.

عدد جذور البناء الثلاثي=$\frac{\text{٢٨!}}{\text{(٢٨-٢)! ٢٦!}}$ = ١٩٦٥٦= جذراً لغوياً.

عدد جذور البناء الرباعي=$\frac{\text{٢٨!}}{\text{(٢٨-٣)! ٢٥!}}$ = ٤٩١,٤٠٠= جذراً لغوياً.

عدد جذور البناء الخماسي=$\frac{\text{٢٨!}}{\text{(٢٨-٤)! ٢٤!}}$ = ١١,٧٩٣,٦٠٠= جذراً لغوياً.

وعليه فسيكون العدد الكلي للجذور اللغوية مساويا لما يأتي:

العدد الكلي للجذور اللغوية=٧٥٦+١٩٦٥٦+٤٩١,٤٠٠+١١,٧٩٣,٦٠٠ = ١٢,٣٠٥,٤١٢ جذراً لغوياً.

وهذا موافق لما ذكره الأصفهاني، إلا في البناء الثلاثي فإن العدد يزيد بستة جذور عما ذكره، في حين جاء العدد الكلي موافقا لما في المعادلات، وهذا الخطأ في عَدّ جذور الثلاثي ربما كان بسبب من تصحيف وعن غير عمد ولا يزعزع من رصانة النظرية ودقتها في إحصاء عدد الألفاظ العربية؛ لأن النتيجة التي ذكرها الأصبهاني موافقة للناتج الكلي للمعادلات الإحصائية.

ويمكن حساب عدد الجذور الناتجة عن الحروف العربية بطريقة أخرى، وذلك بإجراء عملية حسابية بسيطة تتمثل بضرب عدد الحروف الثمانية والعشرين في البناء الثنائي بعدد مرات ما يثنيّها وهي سبعة

وعشرون مرة، وأما في الأبنية الأخرى فإنها تتمثل بضرب العدد المتراكم مما سبقها بما يثلثها في البناء الثلاثي، وبما يربعها في البناء الرباعي وبما يخمسّها في البناء الخماسي.

ففي البناء الثنائي تكون عدد الحروف الكلية (٢٨) حرفا، وعدد حروف ما يثنيّها (٢٧) حرفا من دون تكرار الحرف ذاته، فيكون:

عدد جذور البناء الثنائي: ٢٨×٢٧=٧٥٦ جذراً لغوياً.

أما في البناء الثلاثي فإن العدد المتراكم فيها هو عدد الأبنية الثنائية البالغة(٧٥٦) بناء أو جذرا، فيكون عدد جذور البناء الثلاثي مساويا للقيمة المتراكمة من البناء الثلاثي مضروبة بعدد مرات ما يثلث كل الجذور الثلاثية وهي(٢٦) جذراً لغوياً.

اذن عدد جذور البناء الثلاثي =٧٥٦×٢٦=١٩,٦٢٦ جذرا.

أما البناء الرباعي فإن العدد المتراكم فيها سيكون ذاته الذي في البناء الثلاثي وهو ١٩,٦٥٦ جذرا لغويا مضروبا بعدد ما يربعها وهو الباقي من الحروف (٢٥) حرفاً.

اذن عدد جذور البناء الرباعي =١٩,٦٥٦×٢٥=٤٩١,٤٠٠ جذراً لغوياً.

أما البناء الخماسي فإن عدد جذوره سيكون من عدد جذور البناء الرباعي مضروبا في عدد الحروف الباقية التي تخمسّ البناء الخماسي وهي(٢٤) حرفاً، أي أن:

عدد جذور البناء الخماسي =٤٩١,٤٠٠×٢٤=١١,٧٩٣,٦٠٠ جذراً لغوياً.

وهذه النتائج موافقة لما ذكرها أبو حمزة الأصبهاني. بيد أن هذه الطريقة الإحصائية الفذة في حصر الألفاظ اللغة العربية وجمعها لم تكن متيسرة آنذاك إلا لمن أُعطِيَ موهبة في الحساب والإحصاء، فضلا عن موهبة وقدرة عاليتين في استشفاف اللغة، مع صبر وأناة في جمعها وإحصائها، إذ إن الذين جاءوا من بعده لم يتمكنوا من وضع معيار دقيق كالذي وضعه الخليل، وإنّ الذين عابوا على كتاب»العين» ترتيبه وجمعه لم يضعوا كتابا مثله في نظامه وترتيبه، وإنما اشتطّ أكثرهم طرقا أخرى كانت قاصرة في استيعاب كل لغة العرب.

إنّ الخليل باستعماله هذه الطريقة الإحصائية يؤكد بلا شك أو ريب، أن كتاب»العين» له، وليس من عمل غيره، لأن الأصل في وضع المعجم إنما يكون بطريقة الجمع والحصر للألفاظ، أما المعاني فهي موجودة في الأسواق يتداولها الناس، وإنّ عدم جمع كل الألفاظ المستعملة في العربية في المعجم يعدّ عيبا كبيرا، لذا كَثُرَ الاستدراك على المعجمات التي أهملت بعض الألفاظ العربية المستعملة،في حين أن الخليل في نظامه هذا قد حصر كل الألفاظ، مستعملها ومهملها من دون أن تفلت منه لفظة أو كلمة، وهذا تمام العمل.

ترتيب الألفاظ بحسب مخارج الحروف:

بعد أن نظم الخليل معجمه على أساس مخارج الأصوات، فابتدأ بأعمقها مخرجا وهو حرف العين حتى أرفعها مخرجا، وهو حرف الميم، ورأى أن

هذا غير كافٍ لضبط عدد الألفاظ وجذورها، فعمد إلى تنظيم الكلمات تبعا لحروفها الأصلية، من دون الزوائد قطعا، ثم ذهب إلى تبويب الكلمات وترتيبها فأخضعه للنظام الثلاثي فالرباعي ثم الخماسي، وهو أكبرها كمية، ثم أخذ يقلّب كل بناء منها بحسب أعمق الحروف مخرجا إلى أدناها، فحصل على لفظتين من الثنائي وستة ألفاظ من الثلاثي، وأربعة وعشرين من الرباعي، ومئة وعشرين لفظة من الخماسي، وعولجت الكلمات هذه بحسب أبنيتها في موضع واحد، فمثلا نجد الكلمات: ع ب د، ع د ب، د ب ع، د ع ب، ب ع د، ب د ع، فعالجها في محلها بقطع النظر عما نطقت به العرب فعلا وعما لم تنطق به فسمى النوع الأول مستعملا، والآخر مهملا، فرتّب هذه التقليبات بحسب عمق موقع الحرف الأول فيها ثم الذي يليه وهكذا في كل الأبنية، جامعا معانيها في بابها، لتكون قريبة من المستعمِل، وسهلة المأخذ من دون عناء.

هذا العمل أوحى إليّ بطريقة رياضية، وأحسبها كانت ماثلة في ذهن الخليل إلا أنه لم يعملها، وذلك قد تبعد هذه المعاني المتقاربة من تقاليبها عن بعضها، إلا أنها تنظم تسلسل الألفاظ بحسب المخارج، أو بحسب الترتيب الألفبائي أو الأبجدي، فيضمن لكلٍّ تسلسلها الخاص به ضمن هذا الكم الكبير من الألفاظ والكلمات، فضلا عن ذلك فإنها تعطينا دليلا آخر على صحة ما ذهب إليه الخليل، وما سقناه من دليل رياضي في صحة عدد الكلمات وإحصائها فأوجدنا طريقة رياضية بسيطة لكل بناء من الأبنية الأربعة في العربية تحدد تسلسل الجذر اللغوي وموقعه في هذا الخضم من الألفاظ والكلمات في المعجم العربي.

هذا العمل يمكن أن يكون مشروعا لكتابة معجم جديد يُحدد نظامه حسب مخارج الألفاظ أو الترتيب الألفبائي أو الأبجدي، وقد اتبعتُ في هذا المنهج الخطوات الآتية:

١ـ وضع رقم لكل حرف من حروف العربية اعتمادا على موضع ولادة الحرف في مدرج الحلق واللسان والفم، على وفق الترتيب الآتي:

ع =١، ح =٢، هـ=٣، خ=٤، غ=٥، ق=٦، ك=٧، ج=٨، ش=٩، ض=١٠، ص=١١، س=١٢، ز=١٣، ط=١٤، د=١٥، ت=١٦، ظ=١٧، ذ=١٨،ث=١٩،ر=٢٠، ل=٢١، ن=٢٢، ف=٢٣، ب=٢٤، م=٢٥، و=٢٦، أ=٢٧، ي=٢٨

٢ـ وضع المعادلات والصيغ الخاصة لمعرفة تسلسل كل جذر لغوي ولكل حالة من حالات الأبنية العربية على وفق الطريقة الآتية:

هي أن الحرف الأعمق مخرجا سيأتلف مع ما يليه من الحروف الأخرى، أي أن كل حرف من الحروف الثمانية والعشرين سيأتلف بعدد الحروف التالية له، وكما نوضحه في البناء الثنائي:

١	ع	ح
٢	ع	هـ
٣	ع	خ
:	:	:
٢٧	ع	ي

ومن ثم يأتي الحرف الثاني وهو(الحاء) وفق النظام الآتي:

١	ح	هـ
٢	ح	خ
٣	ح	غ
:	:	:
٢٧	ح	ي

حتى آخر لفظ في هذا الترتيب سيكون قد ائتلف مع كل الحروف الأخرى، وأن آخر لفظ في هذا الترتيب من غير تكرار الحرف, هو(ي و).

ولمعرفة تسلسل أي لفظ ثنائي في هذا النظام سيكون من معرفة ترتيب الحرف الأول من اللفظ الثنائي مطروحا منه واحد ومضروبا في عدد مرات ائتلاف ذلك الحرف مع غيره والبالغة (٢٧) مرة مضافا إليها ترتيب الحرف الثاني وفق المعادلة الآتية:

تسلسل الجذر في البناء الثنائي=(ت١ -١)×٢٧ + ت٢

إذ إن (ت١) يرمز إلى رقم الحرف الأول من الجذر حسب الترقيم الذي مرّ سابقا, (ت٢) يرمز إلى رقم الحرف الثاني من الجذر.

فالجذر الأخير من البناء الثنائي هو(ي و)، فينبغي أن يكون تسلسله الأخير في نظام الخليل وهو(٧٥٦)، وكما يأتي:

وبما أن رقم الحرف(ي) في الترتيب الصوتي =٢٨، ورقم الحرف (و)=٢٧ إذن تسلسل الجذر (ي و)=(٢٨-١) ×٢٧ +٢٧=٧٥٦.

أما البناء الثلاثي فإن تنظيمه سيكون بما نوضحه في أدناه:

ع	ح	هـ
ع	ح	خ
:	:	:
ع	ح	ي

ثم يأتي التسلسل الآتي:

ع	هـ	خ
ع	هـ	غ
:	:	:
ع	هـ	ي

وبعدها سيكون للحرف لما بعد(الهاء)، وهو(الخاء):

ع	هـ	خ
ع	هـ	غ
:	:	:
ع	هـ	ي

ولمعرفة تسلسل أي جذر ثلاثي تتّبع المعادلات

الآتية:

تسلسل الجذر في البناء الثلاثي=(ت١ -١)×٢٧×٢٦ +(ت٢ -١)×٢٦ + ت٣.

إذ إن (ت٣) يمثل رقم الحرف الثالث في الجذر اللغوي.

وعليه فإن آخر كلمة في البناء الثلاثي من دون تكرار حرف فيها هي(ي أ و).

وترتيب الحرف(ي)=٢٨، والحرف(أ)=٢٧، والحرف(و)=٢٦.

إذن تسلسل (ي أ و)=(٢٨-١)×٢٧×٢٦ +(٢٧-١)× ٢٦ +٢٦=١٩٦٥٦.

وبالطرقة نفسها يمكن إيجاد تسلسل الجذور في البناء الرباعي وفق المعادلة الآتية:

تسلسل الجذر في البناء الرباعي=(ت١-١)×٢٧×٢٦×٢٥ +(ت٢ -١)×٢٦×٢٥ +(ت٣ -١)×٢٥ + ت٤.

وأن آخر جذر في هذا البناء هو(ي أ و م)، وإن رقم الحرف (م)=٢٥.

اذن تسلسل(ي أ و م)=(٢٨-١)×٢٧×٢٦×٢٥ +(٢٧-١)×٢٦×٢٥ + (٢٦-١)×٢٥+٢٥=٣٩١,٤٠٠

ونستعمل الطريقة نفسها في معرفة التسلسل للجذور اللغوية في البناء الخماسي وفق المعادلة الآتية:

تسلسل الجذر في البناء الخماسي=(ت١-١)×٢٧×٢٦×٢٥×٢٤ + (ت٢-١)×٢٦×٢٥×٢٤ +(ت٣-١)×٢٥×٢٤ +(ت٤-١)×٢٤ +ت٥.

وأن آخر جذر في هذا البناء هو:(ي أ و م ب)، وأن رقم الحرف(ب)=٢٤.

إذن تسلسل الجذر:(ي أ و م ب)=(٢٨-١)×٢٧×٢٦×٢٥×٢٤ +(٢٧-١) ×٢٦× ٢٥×٢٤+(٢٦-١)×٢٥×٢٤ +(٢٥-١)×٢٤ + ٢٤=١١,٧٩٣,٦٠٠.

وهكذا يتم معرفة تسلسل كل جذر لغوي في المعجم العربي، وبهذه الطريقة الرياضية أيضا لم تفلت أية لفظة أو جذر، وكذلك بوساطتها نتمكن من معرفة المستعمل والمهمل منها، أو ما نطقت به العرب وما لم تنطق به، ثم أن هذه الطريقة تهمل ما تكرر من الحروف في الجذر اللغوي، علما بأنه يمكن معرفة المكرر وتسلسله في هذا النظام، إذا أراد المتتبع معرفة ذلك.

هذا النظام المستعمل وفق النظام الصوتي لتسلسل الحروف يمكن تطبيقه على النظام الألفبائي والأبجدي كذلك، بعد وضع رقم لكل حرف حسب هذين الترتيبين، واتباع المعادلات ذاتها المستعملة في النظام الصوتي، لأن هذه المعادلات عامة تصلح لكل الأنظمة المبيّنة أعلاه، إذ لا يختلف فيها سوى الأرقام المخصصة لكل حرف التي يزوّدها بها النظام المستعمل من حيث الترتيب والتنظيم.

ولتحليل هذه الطريقة في إيجاد التسلسلات نقول: إنّ الفكرة قائمة على ما يأتلف فيها من الحروف مع غيرها بحسب النظام المتّبع، ففي البناء الثنائي، فإنّ كل حرف سوف يأتلف مع ما يليه من الحروف من دون تكراره، لذا ستكون الائتلافات لكل الحروف (٢٧) حرفا مضروبة بعدد ما يليها ومضافا إليها رقم الحرف

الثاني،وبذلك نكون قد ضمنّا عدم تكرار أي حرف منها.
أما في البناء الثلاثي، فهو يعتمد على سابقه من الجذور الثنائية مضافا إليها حرفا ثالثا، ولهذا سيتكرر الحرف الأول من البناء الثلاثي في مجموع الجذور الثلاثية مع الحرف الثاني بمقدار(٢٧) مرة، ومع الحرف الثالث بمقدار(٢٦) مرة، وأما الحرف الثاني منه فإنه سيتكرر مع ما يليه بمقدار(٢٦) مرة، في حين لا يتكرر الحرف الثالث إلا مرة واحدة. والطريقة ذاتها ستكون مع البنائين الرباعي والخماسي، وبهذا الترتيب التراكمي للكمياتـ سيكون كل البناء عدا الثنائي يعتمد في حسابها على ما سبقها، فيكون السابق معيارا وأساسا لعدد الجذور في البناء الذي يليه من دون أن يبذل صانع المعجم فيه عناء في عدّ الجذور وإحصائها، ومن ثم معرفة مستعملها ومهملها، وأما حشو هذه الجذور بالمعاني والدلالات، فإنّ مصادرها كثيرة وموارداها واسعة.
وفي ضوء ما تقدم فإن ترتيب المعجم وتنظيمه وإحصاء عدد مفرداته هو الأهم في العمل المعجمي، لهذا كانت الريادة في عمل الخليل في هذا العمل الرياضي، وهذا ما اكّده الخليل نفسه عندما كان يملي ما حفظ من المعاني على الليث، وما شك في معنى منها يقول له: (سل عنه، فإن صحّ فاثبته) (٥٨)؛ لأن المعاني متوفرة، بيد أن طريقة التنظيم والترتيب هي الأصل في جمع اللغة وعمل المعجم العربي.
في ضوء ما تقدم يمكن ردّ المؤاخذات التي لحقت كتاب»العين» من فكرة التنظيم والترتيب فقط من دون الحاجة إلى أدلة أخرى، فضلا عن الأفكار التي أوحى بها الخليل في كتابه لمن أراد البحث والتقصي في شأن اللغة من حيث النشأة والدلالة والاشتقاق وغيرها من الفنون والعلوم التي تجدها بالدراسة الممعنة والدقيقة، التي أودعها الخليل في طيات كتابه، والاضاءات التي بين السطور والرؤى التي تتقافز بين عبارة وأخرى، وربما استوعب أكثر فنون اللغة وعلومها, لذلك كان هو الرائد في البحث اللغوي وقد عجز من جاءه بعده في إدراك ما أدركه الخليل لذا طعن بعضهم فيه لجهلهم بما عَلِم.
لكن مع هذا كله نجد أن السهام قد وجّهت إلى كتاب»العين» ناقدة أو مستنكرة نسبته إلى مؤلفه الخليل، من الدراسة والبحث والتقصي في منهجه وأسلوبه ومادته اللغوية، وخاصة من قبل علماء عصره، فيما كان المحدثون اقلّ مواجهة له من غيره، وربما يعود ذلك إلى التطور في الدراسات اللغوية، ودخول المناهج اللغوية الحديثة من أوربا ،والتوسع في دراسة الأصوات والألسنية الحديثة، وموازنة خصائص الدرس اللغوي العربي بمثيلاته من خصائص الدرس اللغوي الأجنبي، التي أسبغت على الدرس اللغوي عامة والعربي خاصة صفة التحليل وإرجاع المعاني والدلالات إلى أصولها وبيان أثر اللغات الأجنبية في العربية أو بالعكس، فضلا عن التطور التكنولوجي وإدخال عناصره وآلاته في الدراسة اللغوية الحديثة، التي كانت غائبة عن أذهان علماء العربية القدماء، لذا نجد أن الدرس اللغوي الحديث يميل إلى كون كتاب «العين» من تأليف الخليل اعتمادا على المنهج

الذي اتبعه وعدم تأثره بنتاج غير العرب في ذلك، كاللغة السنسكريتية أو الفارسية أو الهندية لهذا أجدني غير مضطر لعرض الرؤى والنقدات التي تعرّض لها كتاب العين لأبيّن مدى إصابة هذه النقود لجوهر حقيقة الكتاب مادة ومنهجا وأسلوبا.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج ندرجها بما يأتي:

١ـ لم يصل العمل المعجمي ذروته إلا عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ إنّ ما سبقه كان مجرد محاولات جزئية لا ترقى أن تكون عملا معجميا دقيقا.

٢ـ إستعمال المنهج الرياضي في جمع ألفاظ اللغة كان طريقا غاية في الدقة والتنظيم والترتيب، إذ لم تفلت وفق هذا النظام أي لفظة، فضلاً عن فرز المستعمل منها من المهمل.

٣ـ المنهج الرياضي وتقليبات الأبنية أوحى ذلك إلى الخليل ومن بعده من علماء العربية بمبدأ الاشتقاق الأكبر، إذ إنّ المعاني ستكون متقاربة عند تقليب الجذور الناتجة عن أحرف معينة، وقد سمّاها ابن جني بـ(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني).

٤ـ إستعمال الخليل لنظام الأصوات في العمل المعجمي قاده إلى أن ينظر إلى نشأة اللغة ونموّها من الواقع اللغوي، إعتمادا منه على علاقة الصوت بالدلالة.

٥ـ إنّ طريقة جمع اللغة من قبل اللغويين الآخرين كانت قاصرة عمّا اتبعه الخليل في طريقته الرياضية في جمع اللغة وترتيبها ولم تتسع لكل مفردات العربية.

٦ـ إنّ المنهج الرياضي يؤيّد نسبة كتاب»العين» إلى الخليل من دون شك أو ريب.

٧ـ تضارب الروايات حول عدم نسبة كتاب»العين» تؤيد القول بصحة نسبته إليه.

٨ـ ضرورة تفعيل البعد الفلسفي في دراسة اللغة الذي وضع أسسه الخليل باستعماله المنطق الرياضي، واستثماره لأجل فهم جوهر اللغة وعدم الوقوف على ظواهرها التي تحجب عنّا حقائق البنية الشكلية للغة.

الهوامش

١- ظ: دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح:١٢٧.

٢- الجهود اللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني، د. عادل عباس النصراوي:٤١.

٣- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٢٤٢/١.

٤- مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار:٤٨، وانظر: مصادره.

٥- ظ: الجهود اللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني، د. عادل عباس هويدي:٤٣، المعجمية العربية، هيود:٢٠.

٦- ظ: بحوث في المعجمية العربية، المعجم العربي/د. عبد الله الجبوري:٤٥.

٧- سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

٨- سورة البقرة:٣١.

٩- الصاحبي، ابن فارس:٣١.

١٠- م.ن:٣١.

١١- الخصائص، ابن جني:٤٨/١.

١٢- ظ: أصول الفقه، المظفر: ٣٥/١ .

١٣- الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي: ٨٦ .

١٤- كتاب العين، الفراهيدي: ٥٢/١ .

١٥- م. ن: ٥١/١ .

١٦- ظ: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي: ٨٨ - ٩٠ .

١٧- ظ: الثقافة السريانية وعلاقتها بالعربية - موضوع: (دور أصوات النطع والأسل وأشباهها في نشوء اللغة)، بنيامين حداد: ٢٧٠ .

١٨- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي: ٢٠٧ - ٢٠٨ .

١٩- ظ: العين، الفراهيدي: ٥٠/١ - ٥٢ .

٢٠- ظ: من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس: ١٢٣ .

٢١- ظ: من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس: ١٢٣ .

٢٢- ظ: م.ن: ١٢٧ .

٢٣- ظ: المنهج الرياضي في الدرس الصوتي، د. عادل عباس النصراوي، بحث منشور في "مجلة مركز

دراسات الكوفة، العدد (٢٤) لسنة ٢٠١٢م.

٢٤- ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١٦٦/٢ جبر .

٢٥- ظ: م. ن: ٢٢٩/٢ - جرب .

٢٦- ظ: م. ن: ٣١٨/١ - بجر .

٢٧- ظ: م. ن: ٣٥٩/١ - برج .

٢٨- ظ: لسان العرب , ابن منظور: ١٣٩/١ - رجب .

٢٩- ظ: م. ن: ١٠٣/١ - ١٠٥ - ربج.

٣٠- ظ: فقه اللغة، د. علي وافي: ١٧٥ - ١٧٦ .

٣١- الخصائص، ابن جني: ١٤٧/٢ .

٣٢- ظ: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي: ٩٥ .

٣٣- ظ: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم:٢٤.

٣٤- ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية، د. لويس عوض:٢٧٥.

٣٥- ظ: م. ن: ٩٢ .

٣٦- المعجمية العربية،هيود:٢٧.

٣٧- طبقات الشعراء، ابن المعتز:٩٧، ظ: المعاجم العربية، د. عبد الله الدرويش:٢.

٣٨- ظ: المعجمية العربية، هيود:٧٧.

٣٩- المعجمية العربية،هيود:٧٧.

٤٠- معجم الأدباء، ياقوت:٥١/١٧-٥٢، ظ: المزهر، السيوطي:٧٧/١.

٤١- ظ : طبقات الشعراء ، ابن المعتز : ٩٧، المعاجم العربية ، د.عبد الله درويش : ٦٨ .

٤٢- فصول في فقه اللغة،د. رمضان عبد التواب:٤٥.

٤٣- الزجر: هي أسماء الأفعال مثل:صه.ظ: كتاب العين، الفراهيدي:٤٣/١(مقدمة المحقق)، هامش رقم(١).

٤٤- كتاب العين، الفراهيدي:٤٣/١(مقدمة المؤلف).

٤٥- ظ:م.ن:٤٤(مقدمة المؤلف).

٤٦- ظ:م.ن:٤٤(مقدمة المؤلف).

٤٧- ظ: المعجم العربي، د. حسين نصار:٢٢٩/١.

٤٨- ظ: المعجم العربي، د. حسين نصار:٢٣٠/١-٢٣١، فصول في فقه اللغة،د. رمضان عبد التواب:٢٧٠.

٤٩- فقه اللغات السامية، بروكلمان:٩٣، و١٠٩، ظ: اللغات السامية، نولدكه:٩-١٠.

٥٠- كتاب العين، الفراهيدي:٤٤/١(مقدمة المؤلف).

٥١- م.ن:٤٥/١(مقدمة المؤلف).

٥٢- ظ: محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني:٨٦/١.

٥٣- كتاب العين، الفراهيدي:٤٧/١(مقدمة المؤلف).

٥٤- المزهر، السيوطي:٩٠/١.

٥٥- كتاب العين:٥٣/١(مقدمة المؤلف).

٥٦- ظ: الكتاب، سيبويه:٤٨٥/٤.

٥٧- المزهر، السيوطي:٧٤/١-٧٥.

٥٨- معجم الأدباء، ياقوت:٥٢/١٧، ظ: المزهر، السيوطي:٧٧/١.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢- اصول الفقه, الشيخ محمد رضا المظفر, منشورات منتدى النشر في النجف.

٣- بحوث في المعجمية العربية (المعجم اللغوي)- الدكتور عبد الله الجبوري، منشورات المجمع العلمي مطبعة المجمع العلمي، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤- تأريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، دار الكتاب الإسلامي ـ مطبعة ستار، ط١(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٥- تاريخ الفلسفة الحديثة، د.يوسف كرم.

٦- الثقافة السريانية وعلاقتها بالعربية، ندوة هيأة اللغة السريانية للسنتين ١٩٩٧-١٩٩٨م. منشورات المجمع العلمي، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر- بغداد، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٧- ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية، د. لويس عوض

٨- الجهود اللغوية والنحوية عند ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، الدكتور عادل عباس هويدي النصراوي، العتبة العلوية المقدسة، الرسائل الجامعية ٣٥، العراق، النجف الأشرف، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

٩- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٠م.

١٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

١١- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أبو الحسن أحمد بن فارس (توفي سنة ٣٩٥هـ , ١٠٠٤م) – حققه وقدّم له الدكتور مصطفى الشويمي – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

١٢- طبقات الشعراء، ابن المعتز، دار المعارف بمصر.

١٣- فصول في فقه اللغة/ د. رمضان عبدالتواب – الشركة الدولية للطباعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة السادسة – ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤- فقه اللغات السامية ـ كارل بروكلمان ـ ترجمه عن الألمانية الدكتور رمضان عبد التواب ـ مطبوعات جامعة الرياض ـ ١٣٩٧هـ _ ١٩٧٧م

١٥- فقه اللغة ـ تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ لجنة البيان العربي ـ الطبعة السادسة ـ ١٣٨٨هـ _ ١٩٦٨م.

١٦- فقه اللغة وسر العربية – أبو منصور إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٤٢٩هـ - ١٠٣٨م) – إنتشارات دار التفسير - مطبعة نكين ـ الطبعة الأولى – ١٤٢٦هـ

١٧- الكتاب ـ تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الجيل

بيروت ـ ط١
١٨- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح الأستاذ اسعد الطيب، مطبعة باقري ـ قم ـ الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٩- الكتاب المقدّس (كتاب الحياة) ـ ١٩٨٩م.
٢٠- لسان العرب ـ للامام العلامة ابن منظور (٦٣٠هـ ـ٧١١هـ) ـ نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه ـ مكتب تحقيق التراث ـ دار احياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ (١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م)
٢١- اللغات السامية ـ تيو دور نولدكه ـ ترجمه عن الالمانية الدكتور رمضان ـ مكتبة دار النهضة ا لعربية ـ المطبعة الكمالية.
٢٢- المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، للعلامة السيوطي، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
٢٣- المعاجم العربية، تأليف د. عبد الله درويش، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٤- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر، ط٣ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
٢٥- المعجم العربي، د. حسين نصار، الموسوعة الصغيرة، (٨٠)، منشورات دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
٢٦- المعجمية العربية، نشأتها ومكانتها في تاريخ المعجمات العام، للمستشرق الانكليزي جون أ.هيود، ترجمه وقدم له وعلّق عليه د. عناد غزوان، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٢٧- مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢٨- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٨، (د.ت).
٢٩- المنهج الرياضي في الدرس الصوتي، د. عادل عباس النصراوي، بحث منشور في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (٢٤) لسنة ٢٠١٢م.

مصطلح الجاهلية بين التأصيل اللغوي والاستعمال القرآني

The term Jahiliyyah between its Linguistic Origin and the Quranic Usage

الباحثان

م . د . مرتضى عبد النبي علي

م . أحمد عبد الله نوح

تدريسيان في قسم اللغة العربية / كلية التربية القرنة / جامعة البصرة

Dr. MurtadhaAbdelulnabi Ali

Mr.Ahmed Abdullah Noah

Department of Arabic , College of Education of Qurna, University of Basra

ملخص البحث

هذا البحث يتناول مادة (جَهِلَ) في التركيب القرآني ؛ لما لهذه اللفظة من خصوصية ومكانة متأتية من صيغها المتعددة في النص القرآني , بين الفعلية والاسمية والمصدر وصيغة المبالغة وغيرها , فكان من الضروري تتبع دلالة هذه اللفظة عند اللغويين وأصحاب المعاجم من جهة , ودلالاتها في القرآن من جهة أخرى , فاللفظة في الاستعمال القرآني يعتريها الكثير من التغيير على مستوى الدلالة , أو البنية , فضلاً عن أنّ السياق يؤدي دوراً فاعلاً في توجيه المعنى العام للنص واللفظة بوجه خاص .

وبعد , فهذه محاولة لدراسة لفظة من ألفاظ القرآن الكريم , لعلنا نكون قد أسهمنا في طرح بعض دلالاتها , فإنّ وفقنا فلله الحمد والمنة , وإلا فحسبنا أننا حاولنا , والله من وراء القصد , إنّه نعم المولى ونعم النصير.

Abstract

This research deals with the topic Jahil (Ignorance) in the Quran structure since this word has a distinguished quality and place due to the various forms that it has in the Quranic text, which varies from verbal, nominal, infinitive , Hyperbole,etc. Therefore , it is necessary to investigate the meanings of this word on the part of linguists , and lexicographers on one hand, and on the part of the Holy Quran on the other hand. Word in the Quranic usage undergoes a lot of change in meaning or form , beside the context which plays a great role in directing the meaning of the text in general and the word meaning in particular.This study is an attempt to study one word of the Holy .Quran .We hope that we have managed to show some of its meanings

المقدمة

تحتلّ الدراسات القرآنية مكانة واسعة من بين الدراسات اللغوية عند الباحثين القدامى والمحدثين , فالقرآن يعدّ المصدر الأول للغة الغربية , الذي يهرع إليه الدارسون , لينهلوا من معينه الذي لا ينضب,ليس على مستوى اللفظة فحسب,بل على مستوى العبارة والتركيب , فمنذ القديم ظهرت مؤلفات تتناول تفسير القرآن , وبيان معانيه, وتفسير غريبه, وإعرابه , وناسخه ومنسوخة , فضلاً عن كتب البلاغة والإعجاز القرآني , وغيرها كثير .

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إنّ من أبرز هذه المؤلفات ما تناولت اشتقاق الألفاظ القرآنية , وبيان معاني المفردة داخل التركيب القرآني ,ذلك لأنّ القرآن له استعماله الخاص للفظة , وهو يضع المفردة موضعها المناسب لا تصلح أخرى بديلاً عنها ، ولو كانت مرادفه لها .

وبحثنا المتواضع هذا يتناول مادة (جَهِلَ) في التركيب القرآني ؛ لما لهذه اللفظة من خصوصية ومكانة متأتية من صيغها المتعددة في النص القرآني , بين الفعلية والاسمية والمصدر وصيغة المبالغة وغيرها , فكان من الضروري تتبع دلالة هذه اللفظة عند اللغويين وأصحاب المعاجم من جهة , ودلالاتها في القرآن من جهة أخرى, فاللفظة في الاستعمال القرآني يعتريها الكثير من التغيير على مستوى الدلالة , أو البنية , فضلاً عن أنّ السياق يؤدي دوراً فاعلاً في توجيه المعنى العام للنص واللفظة بوجه خاص .

وبعد , فهذه محاولة لدراسة لفظة من ألفاظ القرآن الكريم , لعلنا نكون قد أسهمنا في طرح بعض دلالاتها , فإنّ وفقنا فلله الحمد والمنة , وإلا فحسبنا أننا حاولنا , والله من وراء القصد, إنّه نعم المولى ونعم النصير.

الجاهلية اصطلاح مستحدّث , ظهر بظهور الإسلام , و قد أطلقت على حال قبل الإسلام تمييزاً و تفريقاً لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة(١).

و قد سبق للنصارى أن أطلقوا على العصور التي سبقت المسيح (الجاهلية) أي (أيـــام الجاهلية) أو (زمـــان الجاهلية) استهجاناً لأمر تلك الأيام , و ازدراءً لجهل أصحابها لحالة الوثنية التي كانوا عليها , و لجهالـــــــة النـــــاس إذ ذاك و ارتكابهم الخطايا التي أبعدتهم في نظر النصرانية عن العلم و عن ملكوت الله (٢).

فلفظة (الجاهلية) إذن نعت إسلامي , من نوع النعوت التي تطلق في العصور السابقة على حركة ما أو انقلاب , أطلقه المسلمون على ذلك العهد(٣).

و لا بدّ من الرجوع إلى بعض المعاجم اللغوية والنظر فيها ؛ ليتسنّى لنا الوقوف على دلالة (جَهِلَ) من الناحية اللغوي .

فقد ذكر الزبيدي في تاج العروس : جَهِلَه كـــسَمِعَه جهلاً و جهالة ضد عَلِمَه , و الجهـــــــل التقدم في الأمور المبهمة بغير علم .

و الجهل على قسمين : بسيط و مركب , فالبسيط عدم العلم بما من شأنه أن يُعلَم , والمركب اعتقاد جازم غير مطابق للواقع , قاله ابن الكمال .

و قال : أصحاب الجهل البسيط كالأنعام لفقدهم ما به يمتاز الإنسان عنها , بل هم أضلّ لتوجهها نحو كمالاتها , و يعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصه عند محاورتهم .

و الجهل المركب إنّ قَبِلَ العلاج ففي ملازمة الرياضات ليطعم لذة اليقين ثم التنبيه على مقدمة بالتدريج .

و جَهِلَ عليه أظهر الجهل كتجاهل أرى من نفسه أنّه جاهل , و هو جاهل و جهول و المجهلة : كالمرحلة ما تحملك على الجهل من أمرٍ أو أرضٍ أو خصلة , و منه الحديث : " الولد مبخلة مجبنة " , و في رواية . مجهلة , و جَهَّلَه تجهيلاً نسبه إليه , و استجهله استخفه , قال النابغة الذبياني(٤):

دعَاكَ الهوى و استجهلتك المنازلُ

و كيف تصابي المرء و الشيب شاملُ ؟

و من المجاز : استجهلت الريحُ الغصنَ , أي حركته فاضطرب .

و الجاهل : الأسد الذي يخرق الفريسة , و هجيهل اسم امرأة .

و من المجاز : ناقة مجهولة إذا كانت لم تحلب قطّ أو غُفلٌ لا سمة عليها .

و جَهِلَت القِدر : اشتدّ غليانها , نقيض تحلّمت و هو مجاز .

و ناقة مِجهالٌ : في مسيرها , و هو مجاز .

و الجهولة : مصدر كالطفولة .

و استجهله : عدّه جاهلاً (٥)

وفي هذا يقول إمام البلاغة والبيان الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام -) : " الناس ثلاثة : إما عالم ربّانيّ , أو متعلم على سبيل نجاة , أو همج رعاع يميلون مع كلّ ريح , و ينعقون مع كلّ ناعق "، وفي هذا التعريف وصف دقيق لحال الإنسان

الجاهل الذي يميل مع كلّ ريح و كأنّه الغصن الذي استجهلته الريح كما قيل في المجاز , أي كما في التأصيل اللغوي .

و ذكر ابن فارس في مقاييسه (جَهِلَ) : الجيم , و الهاء , و اللام أصلان : أحدهما خلاف العلم و الآخر الخفة و خلاف الطمأنينة , فالأول الجَهْل نقيض العلم , و يقال للمفازة التي لا علمَ بها مجهلٌ , و الثاني قولهم للخشبة التي يُحرّك بها الجمر مِجْهَل , و يقال : استجهلت الريحُ الغصنَ إذا حركته فاضطرب (٦)

و جاء في المنجد : جَهِلَ جَهْـلاً و جهالة , حمُقَ و جفا و غَلُظ فهو جاهل , و عليه تسافه , جاهلة : سافهه عكس جاهله .

جهل جهلاً و جهالة : ضد عَلِمَ , جهّل : رماه بالجهل , تجاهل : أظهر الجهل و ليس به , استجهل : عده جاهلاً , و المجهلة : ما يحملك على الجهل .

و الجاهلية : حالة الجهل و الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام(٧).

و ذكر ابن منظور في لسان العرب إنّ : جَهِلَ : الجهلُ نقيض العلم , و قد جهله فلان جهلاً و جهالةً و جَهِلَ عليه و تجاهلَ : أظهر الجهل عن سيبويه . الجوهري : تجاهلَ : أرى من نفسه الجهلَ و ليس به , و استجهلَه عدّه جاهلاً و استخفّه أيضاً . و الجهالة : أن تفعَل فعلاً بغير العلم , و رجل جاهل و الجمع جُهْلٌ و جُهُل و جُهّال و جُهلاء عن سيبويه . و الجاهلية : زمن الفترة و لا إسلام ؛ و قالوا الجاهلية الجَهْلاء , فبالغوا . و قولهم : كان ذلك في الجاهلية الجَهْلاء , و هو توكيد للأول و اشتقّ له من اسمه ما يؤكد به كما يقال وتدٌ واتد , و همج و هامج ... (٨)

وأورد الفيروز آبادي في القاموس المحيط : جَهِلَه , كسَمِعَه , جَهْلاً و جهالة ضد عَلِمه , و عليه أظهر الجهل كتَجَاهلَ , و هو جاهل و جَهول , ج : جُهَّلٌ بالضمّ و كرُكّع , و جُهّال و جُهلاء , و هو جاهل منه , أي : جاهل به , (و مَجهلَة) كمَرْحلة : ما يحملك على الجهل . و جَهَّلَه تجهيلاً : نسبه إليه , و أرضٌ مجْهِل , كمقعد : لا يُهتَدى فيها . و استجهله : استخفَّه , و الجاهل الأسد . و جَهلٌ امرأة , و ناقة مجهولة : لم تُحلَب قط , أو لا سمةَ عليها , و الجاهلية الجهلاء : توكيد(٩).

بعد هذه الوقفة عند المنظور اللغوي لمادة (ج ه ل) يمكن لنا أن نقف على دلالة المادة ذاتها ـــــ جـــ هـــ ل ـــــ في المنظور الديني ؛ لنرى دلالة الاقتران و الافتراق بينهما لنخلص إلى دلالة لفظ "الجاهلية" التي كثُر المراء و الجدال فيها .

فقد ذكر الراغب في مفرداته ؛ جَهِل : الجهل على ثلاثة أضرب الأول : و هو خلوّ النفس من العلم , هذا هو الأصل ,و قد جعل ذلك بعض المتكلمين معنًى مقتضياً للأفعال الجارية على غير النظام ، و الثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه ، والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يُفعَل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمّداً , و على ذلك قوله : " قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "[البقرة : ٦٧] , فجعلَ فهل الهزو جهلاً , و قال عزّ و جلّ : " فَتَبَيَّنُوا أَنْ

تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ "(الحجرات : ٦) و الجاهل تارة يُذكر على سبيل الذم و هو الأكثر و تارة لا على سبيل الذم نحو : " يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ "(البقرة : ٢٧٣) أي من لا يعرف حالهم و ليس يعني المتخصص بالجهل المذموم , و المَجْهَل الأمر و الأرض و الخَصْلة التي تحمل الإنسان على الاعتقاد بالشيء خلاف ما هو عليه , و استجهلت الربحُ الغصنَ حرّكته كأنها حملته على تعاطي الجهل و ذلك استعارة حسنة(١٠).

و مما أورده الطريحي في مجمع البحرين , الجهل : خلاف العلم , يقال : جَهِل فلان جهلاً و جهالة , قيل : أجمعت الصحابة على أن كلّ ما عصى الله فهو جهالة , و كلّ من عصى الله فهو جاهل .

و قيل : الجهالة : اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية .

و في الحديث : " خلقَ الله الجهلَ من البحر الأجاج ظـــلمانياً , فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل , فلم يقبل , فقال له : استكبرتَ فلعنه " , و قد جَهِلَ فلان جهلا و جهالة , و تجاهل , أُرِيَ من نفسه ذلك و ليس به , و استجهل الرجل , عده جاهلاً و استخفّه أيضاً .

(و الجهل تارة يطلق على ما يقابل العقل , و أخرى على فعل ما لا ينبغي إلا من الصغير , و بعض مراتب الشبان) (١١).

و ربّما يكون المراد من الجهل غير المعنى المعروف الذي هو ضدّ العقل أو العلم و في هذا يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : " يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ " و قوله : " الجاهل" و لم يرد به الجهل الذي هو ضدّ العقل و إنما أراد الجهل الذي ضد الاختبار ؛ يقول : " يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف " (١٢)

و بهذا يتبيّن لنا أن ثمّة اقتراناً في أصل المعنى لمادة " جـ هـــ ل " إذ يلتقي المعنيان للغوي و الديني في تقرير حقيقة الجهل الأصلية و هي أنه ضد العام أو خلو النفس من العلم بالإضافة إلى خصوصية كل من المعنيين في تقرير الزيادة على الأصل في المعنى .

الجاهلية :

الوضع اللغوي لهذه اللفظة على جهة التحقيق و التدقيق متأتية من الجاهل + ياء النسبة + التاء = الجاهلية ، و هو ما يسمّى نحويّاً بـ(المصدر الصناعي) : و هو اسم تلحقه ياء النسبة مُردفة بالتاء للدلالة عن صفة فيه , و يكون ذلك في الأسماء الجامدة : كالحجرية و الإنسانية ...

و في الأسماء المشتقّة : كالعالمية و المصدرية و الحرية و غيرها .

و حقيقته الصفة المنسوبة إلى الاسم , و ليس كل ما لحقته ياء النسبة مردفة بالتاء , مصدراً صناعياً ؛ بل ما كان منه غير مراد به الوصف . فإن أريد به الوصف كان اسماً منسوباً لا مصدراً(١٣).

و الجاهلية : حالة الجهل الوثنية في بلاد العرب بل الإسلام (١٤) و في مجمع البحرين ؛ و الجاهلية الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله و رسوله و شرائع الدين و المفاخرة بالآباء و

الأنساب و الكبر و التجبر و غير ذلك (١٥) ، وبهذا نتبيّن أنّ الجاهلية لغة ليس مصدراً للفعل (جَهِلَ) كما ذهب إليه الدكتور جواد كاظم في بحث له بعنوان (الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية) (١٦) بل هي مصدر صناعي كما تقدّم .

أما في الاصطلاح : فهي لفظ مستحدث في الإسلام أُطلق على الفترة السابقة لظهوره (١٧), و (يطلق لفظ الجاهلية على عهد ما قبل الإسلام , و قد تفنن المتعصبون من المسلمين و من غير المسلمين في ذمّها و إطلاق شتّى النعوت التي يُراد بها الانتقاص و التهوين من أمر ذلك العهد حتى ليخيّل للناظر في أقوالهم (أنّ) إنّ الباطل كان سمة العصر و الضلال طابعه) (١٨) ويكمن لنا أن نقف مع الدكتور يحيى الجبوري قليلاً الذي استكثر على العصر الجاهلي أو الفترة السابقة للإسلام أن تكون سمتها الضلال و طابعها العام الحكم بالباطل و التحاكم إلى الطاغوت و تناسى تصريح القرآن الكريم الناصح الذي لا يغش و الصديق الذي لا يضلّ و ثقل الله الأكبر بتوصيف تلك الفترة و ذلك العهد بأنهم " يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ "(آل عمران : ١٥٤) , و أنهم يحكمون بغير حكم " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ "(المائدة : ٥٠) بل إنهم يريدون ترك التحاكم إلى الله و يرغبون بالتحاكم إلى الطاغوت " يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ " (النساء : ٦٠) , " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " (المائدة : ٤٤) , " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (المائدة : ٤٥) , " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "(المائدة : ٤٧) و أي ضلال و أي جهل أشدّ و أعظم من قتل الأولاد و وأد البنات خشية الإملاق و إساءة الظن بالله و خشية العار و الأوهام التي لا تمس إلى منطق العقل و نور العلم , " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ " (الإسراء : ٣١) , " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ " (النحل : ٥٧ و ٥٨) , " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ "(التكوير : ٨ و ٩) و هذا قليل من كثير كما سنبين ـــ إن شاء الله ـــ خلال سير البحث برسم سمات المجتمع الجاهلي و إمكانية اتسام المجتمع بتلك السمات و الأوصاف في شرق الأرض و غربها في ماضيها و حاضرها و مستقبلها .

و على هذا يمكن القول عن ذلك العهد أو الزمان : (إنّه الزمان الذي كثر فيه الجهال) (١٩)، و مما يثير الدهشة و الاستغراب وربما العجب أيضاً اضطراب موقف الدكتور يحيى الجبوري في تحديد مفهوم الجاهلية و تحديد معالم عهدها فتراه يؤاخذ على الذين سبقوه ممن أدلوا بدلوهم في تحديد المصطلح و تبيين معالم ذلك العهد و الحقبة الزمنية التي سبقت نشر معالم الدين الحنيف على يد أشرف الخلق أجمعين المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد ـــ صلى الله عليه و آله الطاهرين ـــ و يصفهم بالمتعصبين تارة والمتفننين في اختيار أقسى الألفاظ و أوحشها لرجم الجاهليين بالسفه و الغضب و الأنفة ... ليصف حياة العرب في ذلك العهد بأنها

مصداق للكلمة (جاهلية) فهي أنفة و خفة و حمية و مفاخرة و سفه (٢٠)٠

فيأتي في الصفحة التالية مباشرة ليثبت لنا معنى الجاهلية من جهة أخرى بغير الدين , فيقول : (و يذهب معنى الجاهلية من جهة أخرى بغير الدين إلى تلك الحالة الخلقية التي كانت حاضرة في نفوس العرب و الأعراب منهم بصورة خاصة , جماعها الغلو في تقدير الأمور و الإسراف و سرعة الغضب ... فالكلمة إذن تنصرف إلى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم و ليس ضد العلم) (٢١) .

و لنا أن نستفهم من الدكتور الجبوري : من أين اكتسب الحقّ في تخصيص معنى الجهل و قصره بمقابلة الحلم و ليس ضد العلم ؟ ! ألم يعلم بأنّ الأصل في معنى الجهل هو خلو النفس من العلم) ! (٢٢) ٠

نعم قد يقابل الجهل غير العام بالحلم و لكن لا يصار لذلك إلا بعد عدم إمكان إرادة المعنى الأول(٢٣) العلم كما في قوله تعالى : " فلا تكونَنَّ مِنَ الجاهلين "[الأنعام : ٣٥] ، فقد (ذكر جمهور المفسرين أنّه الجهل بمعنى (الحلم) (٢٤)

و هناك من يرى أنّ الجاهلية تعني حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله , ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزلَ الله (٢٥) .

و هناك من يرى أنّ المراد من الجاهلية هي كلّ ملّة باطلة و حكم جائر , الذي يكون منشؤها العناد اللجاج والإعراض عن الحكم الحقّ اتباعاً للهوى(٢٦).

و هكذا نرى بعد هذا العرض البسيط لمواقف تبدو متباينة و مختلفة نوعاً ما في تحديد مفهوم الجاهلية و تحديد معالمها و بيان السلوك الجمعي للمجتمع في ذلك الحين , و في هذا يكون أنّ (القرآن الكريم يسمّي عهد العرب المتصل بظهور الإسلام بالجاهلية , و ليس إلا إشارة منه أن الحاكم فيهم يومئذ الجهل دون العلم و المسيطر عليهم في كلّ شيء الباطل , و سفر الرأي دون الحقّ) ، و لعله سفه الرأي من مقابلة الجهل كالحلم و إصابة أو الخطأ الانطباعي

و لعلنا لا نغالي أو نجانب الصواب إذا ما قلنا (وأولُ من استخدم لفظ الجاهلية القرآن الكريم حين وردت هذه اللفظة أربع مرات فقط في السور المدنية و ليست المكية) (٢٧).

و في عموم القول إن المراد من معنى الجاهلية ما يتمثّل في الذهن من مفهوم ديني , فعهد الجاهلية كان قائماً على الشرك و الوثنية و فيه ضلال و ظلم و ظلمات , أما العهد الإسلامي فعلى نقيضه , و هو هداية و نور , و مصداق ذلك قول الله تعالى : " لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ "(الحديد : ٩) ، وقد وردت (الجاهلية) في القرآن الكريم و يراد بها الحطّ من القيم الخلقية والاعتقادية لذلك العهد(٢٨).

و مما تقدّم يظهر أنّ تساؤلاً يجول في خواطر الدارسين و الباحثين من الأولين و المعاصرين مفاده ؛ لماذا سُمّيت تلك الحقبة الزمنية أو ذلك العهد الذي سبقت ظهور الدين الإسلامي و اتصل باندلاع لسان فجره المنير و تبلّج صباحه المشرق تلك الطلعة البهية لنبي الرحمة و هادي الأمة الرسول المسدد المصطفى

الأمجد المحمود الأحمد أبي الزهراء محمد صلى الله عليه و آله بهذه التسمية و هذا الوصف الجامع المانع الذي يُعَدّ (أوجز كلمة وأوفاها لإفادة جمل هذه المعاني ما سمى القرآن هذا العهد بعهد الجاهلية) ؟!

للباحثين تفسيرات ثلاثة للإجابة عن هذا التساؤل : الأول : لعدم معرفتهم القراءة والكتابة , و الثاني : لعدم إلمامهم بالعلوم , الثالثة : لعدم معرفتهم بالدين الصحيح .

و بطبيعة الحال فإنّا لسنا معنياً بمناقشة هذه الآراء و توجيهها بالنقد و التحليل و ذلك لأنّ هناك من سبقني في هذا المجال و أجاد في ذلك فمن شاء فليراجع .

فقد اضطرب مفهوم الجاهلية في كثير من كتابات الكتّاب و الباحثين , و راح من الناس يخلط في هذا المفهوم و يضيف إليه ما ليس له , بما ليس فيه , حتى غدت صورة الجاهلية في الأذهان صفة للجهل و الجور والبدائية .

مادة (جَهِلَ) دراسة في تشكيلاتها التركيبية :

لم تتخذ مادة (جَهِلَ) صورة تعبيرية واحدة في الاستعمال القرآني , بل اتخذت صورتين مختلفتين في نظمهما و تشكل علاقاتهما في التركيب القرآني , و هاتان الصورتان هما :

أولاً : الصورة الفعلية و تشكيلاتها :

نلحظ أنّ مادة (جَهِلَ) لم تأتِ على صورة الفعل إلا بصيغتي المخاطب المضارعتين (تجهلون , و يجهلون) المسندتين إلى (واو الجمع) و قد تجرنا بصفة ذلك الجمع الذي تطبّع بتلك الطباع الوحشية التي لا يكون عنها حتى وحش الغاب من قتل الأولاد أفلاذ الأكباد ووأد البنات التي هي حسنات كما في الحديث على النصب و السلب و الحكم و التحاكم إلى الطاغوت و ترك الحكم بما أنزل الله و إظهار الفساد في البر و البحر بشرب الخمر و الفجور بالمحصنات والسفور و في ذلك من الصفات التي عمّت .

و من ذلك ما جاء في قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ " (الأنعام : ١١١) نلحظ أنّ الفعل جاء بصيغة المضارع المسند إلى واو الجمع , ليدل على الحاضر و إمكانية الاستمرار في حالة الجهل السارية في عروقهم و ذلك لاستفحال حالة العناد و اللجاج و تغطية الآذان على ميّتٍ بأمر من الأمور لا يؤمن به و لا يصدقه ؟ !

و مما تجرد الإشارة إلية أن مثل هذه الصيغة صيغة المخاطب الغائب لم ترد إلا في هذا الموضع من الذكر الحكيم , كما أن صيغة الماضي لم ترد في القرآن الكريم على الإطلاق .

(وفي هذا دلالة على أنه لو علم الله أنه لو فعل بهم من الآيات ما اقترفوها لآمنوا أنّه يفعل ذلك بهم , و أنه يجب في حكمته ذلك ؛ لأنه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج من معنًى و تعليله بأنّه إنما لم يُظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا و ذلك يبين أيضاً فساد قول من يقول : يجوز أن يكون في معلوم الله ما إذا فعله بالكافر آمن ؛ لأنّه لو كان ذلك معلوماً لفعله , و لآمنوا و الأمر بخلافه) (٢٩)

و يشهد لذلك قول الباري جلّ ذكره : " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ " (الإسراء : ٥٩) , (و ظهر أيضاً أنّ المراد بقوله : " و ليكن . . . " جهلهم بأمر المعاد , و أن الحساب و الجزاء إلى الله لا إلى غيره), (٣٠) و يوجّه الفخر الرازيّ من الآية بقوله : (قال أصحابنا : المراد , يجهلون بأن الكل من الله و بقضائه و بقدرته و قالت المعتزلة : المراد أنهم جهلوا أنهم يبقون كفاراً عند ظهور الآيات التي طلبوها و المعجزات التي اقترحوها , و كان أكثرهم يظنون ذلك) (٣١).

أمّا ما ورد في الذكر الحكيم من الصيغة الفعلية الثانية " تجهلون " ما جا في سورة الأعراف : " قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ "(الأعراف : ١٣٨) , الملاحظ أنّ هذه الصيغة تجهلون وردت أربع مرات في الذكر الحكيم في مواضع مختلفة فقد (يستفاد من هذه الآية بوضوح أنّ منشأ الوثنية هو جهل البشرية بالله تعالى من جانب , و عدم معرفتهم بذاته المقدسة و أنّه لا يتصوّر له شبيه أو نظير أو مثيل , و من جانب آخر جهل الإنسان بالعلل الأصلية لحوادث العالم الذي يتسبب أحياناً في أنْ ينسب الحوادث إلى سلسلة من العلل الخرافية و الخيالية و منها الأصنام , و من جانب ثالث جهل الإنسان بما وراء الطبيعة , و قصور فكره على درجة أنّه لا يرى و لا يؤمن إلا بالقضايا الحسّيّة . هذه الجهالات تضافرت و تعاضدت , و صارت على مدار التأريخ منشأ للوثنية و عبادة الأصنام) (٣٢) ٠

و في سورة هود قال تعالى : " . . . وَ لَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ "(هود : ٢٩)

(معناه أراكم تجهلون أنّهم خيرٌ منكم لإيمانهم بربهم و كفركم) (٣٣) ٠

و في سورة النمل قال تعالى : " أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ "(النمل : ٥٥) (أي تفعلون أفعال الجهّال , قال ابن عبّاس : تجهلون القيامة و عاقبة العصيان) (٣٤) و هكذا نرى القرآن الكريم يعبّر عن إتيان المعصية , و طاعة و تحكيم الغريزة و مخالفة الطريق الشرعي المرسوم للبشرية بأنّه جهل مستمر ؛ لذلك جاء التعبير بصيغة المخاطب المسند إلى واو الجمع ليوحي بسمة ذلك المجتمع و إمكانية اتصاف أيّ مجتمع في شرق الأرض و غربها بصفة الجهل إذا ما انحدر و تسافل إلى مثل ذلك المستوى من الانحطاط الخلقي ووالتحرش الجنسيّ , و هذا ما نراه اليوم واضحاً في الحضارة المدنية سواء أكانت الغربية منها أم الشرقية !!!

و آخر الموارد من الصيغ الفعلية ما جاء في سورة الأحقاف , إذا قال تعالى : " قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ " (الأحقاف : ٢٣) (إضراب عما يدلّ عليه الكلام من نفيه العلم عن نفسه , و المعنى : لا علم لي بما تستعجلون به من العذاب و لكني أراكم قوماً تجهلون فلا تميّزون ما ينفعكم ممّا يضرّكم و خيركم من شرّكم حين تردّون دعوة الله و تكّبون بآياته و تستهزئون بما يدعوكم به من العذاب) (٣٥) (و

جهلهم هذا هو أساس تعاستهم و شقائهم , فإنّ الجهل المقترن بالكبر و الغرور هو الذي يمنعهم من دراسة دعوة رسل الله , و لا يأذن لكم في التحقيق فيها ... ذلك الجهل الذي يحملكم على الإصرار على نزول عذاب الله ليهلككم , و لو كان ليكم أدنى وعي أو تعقّل لكنتم تحتملون على الأقل وجود احتمال إيجابي في مقابل كلّ الاحتمالات السلبية , و الذي إذا ما تحقّقَ فسوف لا يبقى لكم أثَر) (٣٦).

ثانياً : الصورة الاسمية و تشكيلاتها :

نلحظ أنّ لفظة (جَهِل) تتخذ الصورة الاسمية في ثمانية عشر موضعاً قرآنياً و على وفق مؤديات وظيفية مختلفة الوجود في تركيب القول القرآنيّ , و هذا الظهور الاسمي لمادة (جَهِل) يفوق بكثير التصوير الفعلي لها ليدلنا على التعبير القرآني للصيغ الاسمية و تشكيلات متعددة و مختلفة , فنراه تارة يأتي بلفظ المفرد " .. يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ . . " و تارة بلفظ الجمع " . . . أيّها الجاهلون " و أخرى بلفظ المبالغة " جهولاً " و غيرها من الصيغ و من جهة التعريف و التنكير , فتارة يأتي باللفظ منكّراً " إذ أنتم جاهلون " و في أغلب الأحيان يأتي مُعَرّفاً . أمّا لفظ " الجاهلية " فلا يأتي إلا مضافاً إلى غيره ليدلّ على حالة من التلبّس التي تؤديها حالة التمازج بالإضافة , و إلى غير ذلك مما سيتبين خلال البحث :

١- جاء في قوله تعالى : " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف " أي الجاهل بحالهم (٣٧), و قوله "الجاهل" لم يرد في الجهل الذي هو ضد العقل , و إنما أراد الجهل الذي هو ضدّ الاختيار ؛ يقول : يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف و إنّما يحسبهم أغنيا لإظهارهم التجمّل , و تركهم المسألة (٣٨) .

و زنة جاهل فاعل , و قد جاء اسم الفاعل " الجاهل " معرّفاً بالألف و اللام الدالة على الاستغراق - لترشدنا إلى اتصاف جميع من الناس بأمور الفقراء و حالهم بالجهل , و الجهل ذمٌّ و نقص .

٢- صيغة اسم الفاعل المسند إلى واو الجمع :

و قد وردت الحالتين أحدهما عارية من الألف و اللام كما في قوله تعالى :((قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)) (يوسف : ٨٩) و كما يظهر في صبغة "جاهلون" و هي عارية من الألف و اللام لتدلّ على حالة اتصف بها إخوة يوسف ألحقوا الكثير من الأذى بيوسف و أخيه و في هذا الخطاب بهذه الصيغة نكتة أدبية رائعة تتمثل بلطف الخطاب من النبي يوسف (عليه السلام) مع إخوته و تعبيره إذ أنتم جاهلون بأنهم كانوا على هذه الحالة و ليشعرهم بعدم بقائهم عليها و ذلك من خلال قطع اللفظة عن ألف و لام التعريف , إذ لو كان التعبير ـــ الجاهلون ـــ لأشعرهم ببقائهم في حيرة الجهل و الضلال , و ذلك تلطّفاً منه ـــ عليه السلام ـــ لعلهم يرجعون إلى الله و يتوبون من ذنبهم الذي اقترفوه بحقّ أخيهم النبي يوسف ـــ عليه السلام ـــ و في ذلك يقول المفسر الشيخ الطوسي (قدس سره) : (إنكم فعلتم هذا في حالٍ كنتم فيها جاهلين جهالة الصبيّ لا جهالة المعاصي , و ذلك يقتضي أنهم الآن على خلافه , و لولا ذلك لقال : و أنتم جاهلون) (٣٩), و قيل : شبّان و معناه فعَلِمَ ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبيّ و

في عنفوان الشباب حين يغلب على الإنسان الجهل و لم ينسبهم إلى الجهل حال الخطاب (٤٠) يمكن لنا أن نقف مع الشيخين الطوسي و الطبرسي رحمهما الله قليلاً عند قولهما جهالة الصبي لا جهالة المعاصي : إننا نرى أنها جهالة معصية و ارتكاب جريرة عن عمد و ذلك لقوله تعالى : " اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ"(يوسف : ٩) ألا تدلّ الآية المباركة على أنّ نياتهم كانت معللة بأنهم متى ما أزاحوا يوسف عن وجه أبيهم يخل لهم وجه أبيهم , و جهالة الصبيّ إنما لعدم العلم أو لغلبة اللذة و الشهوة المادية على الجوانب الفعلية , أمّا فعلهم هذا فهو عن معصية و جهالة بعواقب الأمور وقدر يوسف و منزلته عند الله و عند أبيهم , و أيضاً إنهم ليسوا كلهم بأعمار الصبا , بل بعضهم بلغ مبلغ الرجال , لذلك ترى أحدهم يقترح عليه مقترحاً أهون من القتل : " قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ " (يوسف : ١٠) لذلك نحن نلمس من قطع اللفظة عن التعريف لفظاً في الخطاب و تسامياً عن العقاب من النبي يوسف ـــــ عليه السلام ـــــ و لا يدلّ على أنهم ليسوا على حالة الجهل التي كانوا عليها و إلا لماذا كاد الله ليوسف في أن يأخذ أخاه " ... كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ... " (يوسف : ٧٦) و يرجعهم إلى أبيهم خائبين مقصّرين في حفظ أخيهم ؛ لذلك جاء في قوله تعالى : " فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "(يوسف : ٨٠) انظر إلى قول كبيرهم : " وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ " التفريط فيه شيء من العمدية و القصدية .

على هذا يكون التعبير القرآني على لسان النبيّ يوسف عليه السلام و خطابه إخوته ؛ تلطّفاً منه إليهم و إشعاراً لهم بأنكم مذنبين وعليكم الرجوع إلى الله من باب الموعظة لهم و تقديم النصيحة لعله ينجح في هدايتهم وإصلاح أمرهم كما قال تعالى على لسان المعترضين على المصلحين : " ...لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " (الأعراف : ١٦٤) .

و ربّما يرد عليك أنه تقدم في القول القرآني في قوله تعالى : " أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (يوسف : ١٢) ألا تدلّ لفظة يلعب أنهم كانوا صبيان أو في عمر الصبا لأنّ الأغلب في اللعب يكون من الصبيان ؟! نقول بتتبع ألفاظ اللعب في القرآن الكريم نجد أن هناك من يصفهم القرآن الكريم باللاعبين و هم لهم من العمر ما ليس بعمر الشباب و ربما يصل إلى حد الشيخوخة ألا ترى أنّ الخالق جلّ ذكره يتحسر على العباد الذين لا يرعوون و يستمعون و يستمعون الذكر و هم يلعبون , فقال تعالى : " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (يس : ٣٠) و كذلك في سورة الأنبياء قال تعالى : " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ

مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ "(الأنبياء : ١ , ٢) فهو يصف عموم الناس بأنهم يلعبون و لاهية قلوبهم و هم في غفلة و هم معرضون و لم يخصَّ الصبيان من الناس باللعب و اللهو .

ب- قال تعالى : " . . . وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "(الفرقان : ٦٣)

كما نرى لفظ " الجاهلون " قد جاء بصيغة الجمع المرفوع و قد سُبِق بماضٍ و أُتبِع بماضٍ لا للإشعار باستمرارية حالة الإعراض من المؤمنين عن الجاهلين و أنّ ديدنهم كان و ما زال و يجب أن يستمرَّ على هذه الحالة التي يعتبرها القرآن الكريم ميزة مميزة لحال المؤمنين عن غيرهم .

جـ - قال تعالى : " قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ " (الزمر : ٦٤)

(إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء و يكون مالكاً لمقاليد السموات و الأرض , و ظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضرّ و لا تنفع , و مَن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة و اشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة , فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه , فلهذا السبب قال " أيها الجاهلون " و لا شكَّ أنّ وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع) (٤١)

هذه دلالة تمثل آخر المواضع التي وردت في الذكر الحكيم على زنة "فاعل" مسند إلى واو الجمع , و كذلك تمثل أشد المواضع تأثيراً و تلبساً بالمخاطب كما هو المعلوم من صيغة الخطاب إذ تقدّمها ظهور حرف النداء بـ(هاء) التنبيه ثم جاء بالصيغة المعرّفة بـ (ألف و لام التعرف) ليظهر لنا من ظاهر الآية الشريفة عظم الأمر الذي دعوا إليه و هو عبادة غير الله العلي القدير لذلك قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ "(النساء : ٤٨) لذلك كان خطابهم بصفة الجهل للإشارة إلى أنّ أمرهم إياه بعبادته بذلك مع ظهور آيات وحدته في الربوبية و الإلوهية ليس إلا جهلا منهم) (٤٢) لذا وصفهم بأبلغ وصف و هو قوله عزّ من قال على لسان نبيّه عليه السلام : " أيها الجاهلون " أي أنتم الجاهلون غاية الجهل الذي يدلّ على تلبسهم بهذه الصفة و تمكنها في عقولهم و جواهرهم , فلم يأت التعبير القرآني بغير الصفة الاسمية على زنة الفاعلية التي تفهم من خلالها الثبوتية و الاستمرارية في حالة الجهل التي لا تفارقهم لذا آثر التعبير بهذه الصيغة "أيها الجاهلون" غاية الجهل و أبعده غوراً في معرفة الله الواحد الأحد و عبادة غيره من الأصنام التي لا تملك لنفسها و لا لغيرها نفعاً و لا ضراً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً , لذلك نرى الله تعالى شأنه يشدد على الذين يشركون به و يدعو إلى عبادة غيره و يجزيهم باليأس من مغفرة الله و رحمته التي وسعت كلّ شيء , فقد قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " (النساء : ١١٦) فهل ترى مبالغة أقوى و توبيخ أبلغ من وصفهم بأنهم هم الجاهلون الضالون ضلالاً بعيداً ؟! .

٣- كذلك وردت صفة اسم الفاعل الجمعي في حالة

النصب في مورد واحد فقط في قوله تعالى : " وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ " (القصص : ٥٥) أي لا نطلبهم بالمعاشرة و المجالسة) (٤٣) (أي لا نطلب مجالستهم و معاونتهم و إنما نبتغي الحكماء و العلماء , و قيل : معناه لا نريد أن نكون من أهل الجهل و السفه عن مقاتل و قيل : لا نبتغي دين الجاهلين و لا نحبه عن الكلبي) (٤٤)

٤- صيغة اسم الفاعل الجمعي في حالة الخفض

وردت مثل هذه الصيغة في أربعة مواضع في الذكر الحكيم ثلاثة فيهن مجرورة بحرف الجر (مِن) و واحدة فقط جُرّت بـــ(عن) ، أما الثلاثة فيها :

أ- قال تعالى : " قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "(البقرة : ٦٧) لقد استفاد المفسرون من التعبير بهذه الصيغة الجزئية من الجاهلين بسب الهزء و الاستهزاء أمور منها :

إن نفس الهزء يسمى جهلاً و جهالة (٤٥)

إن الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل , و منصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء , فلم يستعذ موسى (عليه السلام) من نفس الشيء الذي نسبوه إليه لكنه استعاذ من السبب الموجب له , و الحاصل أنه أطلق سبب السبب على المسبب مجازاً (٤٦)

الجهل تارة يطلق على ما يقابل العقل , و أخرى : على فعل ما لا ينبغي فعله إلا من الصغير و بعض مراتب الشيطان و هو ملازم للمعنى الأول (٤٧)٠

يمكن أن يستدلّ بمثل هذه الآية المباركة على عصمة الأنبياء ؛ لأن الاستهزاء و السخرية قبيحان لا ينبغي صدورهما منهم خصوصاً إذا كانا في مورد أحكام الله (٣٨)

ب-قوله تعالى : " فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ "(الأعراف : ٣٥)

إنما هو نهي محض عن الجهل , و لا يدلّ ذلك على أنّ الجهل كان جائزاً منه (صلى الله عليه و آله) بل يفيد إنما كونه قادراً عليه ؛ لأنه لا يأمر و لا ينهى إلا بما قَدِرَ المكلف عليه , المراد ها هنا فلا تجزع و لا تحزن لكفرهم و إعراضهم عن الإيمان و إنهم لم يجمعوا على التصديق بك فتكون بذلك بمنزلة الجاهلين الذين لا يصبرون على المصائب و يؤثمون لشدة الجزع (٤٩) و يراد به الجهل في المقام عن ما يقابل غير العلم كالحلم و هذا ما ذكره جمهور المفسرين ؛ لأن الجزع في مواطن الصبر مما يوجب القرب إلى الجاهلين (٥٠) .

كما أنّ قوله تعالى : " فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ "(الأنعام : ٣٥) فيه الإشعار بحسن تربيته تعالى لرسوله العظيم ـــ صلى الله عليه و آله ـــ حين أرشده عزّ و جلّ إلى الابتعاد عن المشقة و ما يوجب حزنه و الحرص الحاد على إسلامهم , إنما الأمور تسير وفق القواعد و الأحكام التي جعلها عزّ و جلّ في دار الاختبار و الاختيار (٥١)٠

ج - قوله تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ "(الأعراف : ١٩٩) الجاهل : السفيه الذي إنْ كلّمَه سَفِهَ عليه و آذاه بكلامه(٥٢) ٠

د- قوله تعالى : " ... فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "(هود : ٤٦) فإنّ معناه إني أنصح لك في القول أنْ لا تكون بسؤالك ذلك من الجاهلين ؛ لأنه سأل ما ليس له به علم , و من الدليل أيضاً على أنه عليه السلام لم يسأل ذلك تعقيب قوله : " فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" (٥٣)٠

و بما توحي صيغة اسم الفاعل الجاهلين على نسبة النبي نوح عليه السلام إلى تلك الزمرة الجاهلين و العياذ بالله و ذلك لما لتلك الصيغة من الثبوت و الاستقرار ! و إنّما ورد النهي العود و التكرار ! (فيرد بأنّه لو كان المراد من النهي عن السؤال أن لا يتكرر منه ذلك بعدما وقع مرة لكان الأنسب أن يصرح بالنهي عن العود إلى مثله دون النهي عن أصله كما وقع في نظير المورد من قوله تعالى : " يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا... "(النور: ١٧) (٥٤).

ه- قوله تعالى : " وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ " (يوسف : ٣٣)

٥- وردت مادة (جـ ه ل) بصيغة المبالغة (فعول) مرة واحدة في اللفظ القرآني في قوله تعالى : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " (الأحزاب : ٧٢) ليدلنا على أمر مهم و صفة تزيد نمواً في كيان هذا الإنسان يوماً بعد يوم إذا ما ابتعد عن الصراط المستقيم , فكان التعبير القرآني (إعراض وسط بين الحمد و غايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده و تحمله أي أنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل أي بحسب غالب أفراد الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعتراضهم السابق دون من عداهم من الذين يبدلون فطرة الله تبديلاً) (٥٥) .

٦- كما تقدم في التأصيل اللغوي لمادة (ج ه ل) أنّها توزن على (جهلاً و جهالة) و لم ترد في الذكر الحكيم بالصيغة الأولى جهلاً على الإطلاق , و إنما وردت بالصيغة الأخرى جهالة في أربعة مواضع و كما يأتي :

أ- قوله تعالى : " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " (النساء : ١٧)

ب-قوله تعالى : " وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(الأنعام :٥٤) ت - قوله تعالى : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " (النحل : ١١٩)

هذه المواضع الثلاثة التي وصفت اقتراف عمل السوء بجهالة آثرت أن أذكرها مجتمعة ثمّ أفصل القول في معنى الجهالة و دلالتها و ميزتها التي انمازت بها عن سار تصريفات و أوزان الجهل التي وردت في القرآن الكريم .

و هنا يجب أن نرى ماذا تعني الجهالة ؟ هل هي الجهل و عدم المعرفة بالمعصية, أم هي عدم المعرفة بالآثار السيئة و العواقب المؤلمة للذنوب و المعاصي ؟ (٥٦)

إذ قيل في معنى بجهالة أربعة أقوال :

١- قال مجاهد , و قتادة و ابن عباس و عطاء : هو أن يفعلوها على جهة المعصية لله تعالى ؛ لأنّ كل معصية لها جهالة لأنه يدعو إليها الجهل , و يزينها للعبد و إن كانت عمداً .

٢- بجهالة : أي بحال كحال الجهالة التي لا يعلم صاحبها ما عليه في مثلها من المضرة .

٣- قال الفراء : لا يجهلون أنّه ذنب و لكن لا يعلمون كنه ما فيه كعلم العالم (٥٧)٠

٤- بجهالة : أي و هم يجهلون أنها ذنوب و معاصي اختاره الجبائي , قال : يعملونها بجهالة إما بتأويل يخطئون فيه أو بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها , قال الرماني : هذا ضعيف ؛ لأنّه تأويل بخلاف ما أجمع عليه المفسرون (٥٨)٠

يمكننا القول : (إنّ كلمة الجهل و ما يشتق منها و إن كانت لها معانٍ مختلفة , و لكن يستفاد من القرائن أن المراد منها هو طغيان الغرائز و سيطرة الأهواء الجامحة و غلبتها على صوت العقل و الإيمان , و في هذه الصورة فإن المرء حينما يقع تحت تأثير الغرائز الجامحة ينتفي دور العلم و يفقد مفعوله و أثره , و فقدان العلم لأثره مساوٍ للجهل عملاً لذلك فإن الشخص في مثل هذا وإن كان عالماً بالذنب و الحرمة يسمى جاهلاً ؛ لأن علمه مستتر وراء حجب الأهواء والشهوات (٥٩) .

و مما تجدر الإشارة إليه أنَّ الجهالة في المنظور القرآني متأتية من الجهل مقابل العلم و هذا عليه أغلب المفسرين و إن اختلفوا في موضوع عدم العلم , هل في المعصية ذاتها أم في عواقبها ؟ (٦٠)، لذلك (فأذعنوا بأن من اقترف هذه السيئات المذمومة لهوىً نفساني و داعية شهوية أو غضبية خفي عليه وجه العلم و غاب عن عقله المميز الحاكم في الحسن والقبح و الممدوح والمذموم و ظهر عليه الهوى عندئذٍ يسمى حاله في علمه و إرادته "جهالة " , و إن كان بالنظر الدقيق نوعاً من العلم , لكن لمّا لم يؤثر ما عنده من العلم بوجه قبح الفعل و ذمه في ردعه عن الوقوع في القبح و الشناعة أُلحِق بالعدم فكان هو جاهلاً عندهم العقلاء حتى إنهم يسمون الإنسان الشاب الحدث السنّ قليل التجربة جاهلاً لغلبة الهوى و ظهور العواطف و الإحساسات السيئة على نفسه (٦١) .

و على هذا تكون الجهالة قيداً توضيحيا لكل معصية تصدر عن الهوى و غلبة الشهوة و الغضب ؛ و لذا لو سكنت ثائرة الغضب و خمد لهيب الشهوة و رأى جزاء عمله عاد إلى العلم و زالت الجهالة و ندِم على فعله (٦٢) و على هذا الأساس فإنّ (كل من عمل سوءاً فهو جاهل إذا عمله) (٦٣)٠

و قيل أيضاً في معاني الجهالة : إنّه جهل في الاختيار أي إنّه (إنما قال الجهالة لأنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جُهّال , فهو جهل في الاختيار) (٦٤)٠

ث-و هناك مورد أخير من موارد ذكر اقتراف السوء بجهالة ورد في سورة الحجرات , و هو أيضاً يوجه بمقابلة العلم إلا أنّه يخصّ الإساءة إلى الآخرين و ليس على نفس الإنسان فحسب , قد قال تعالى : "

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (الحجرات : ٦) أي حذراً من أن تصيبوا قوماً في أنفسهم و أموالهم بغير علمٍ بحالهم و ما هم عليه من الطاعة و الإسلام (٦٥) .

و على هذا يمكن أن (يستفاد من قوله تعالى "بجهالة " أنّ كلّ ذنب يصدر عن جهالة قابل للعفو و الغفران من الله تعالى , و بهذا القيد يخرج كلّ ذنب عن لجاج و عناد مع الحق و استكباراً على الله تعالى لغلبة الشهوة و استيلاء الهوى و لكن ذلك لا يسلب نسبة الفعل إلى الفاعل ؛ لأنه صدر عن علم و إرادة) (٦٦) و إلى مثل هذا المعنى أشار القاضي عبد الجبار في معرض رده على شبهة من عمل السوء و لا يعرفه بقوله : (إن كل عامل السوء و المعصية يوصف بأنه عمله بجهالة و إن كان عالماً به , و المراد بذلك أنه عمل ذلك على غير ما يقتضيه عقله فإنّ الذي يوجبه العقل التحرز من ذلك و على هذا الوجه يوصف كلّ من يقدم على المعاصي بأنه جاهل) (٦٧)٠

بعد هذا التطواف في أمّهات كتب التفسير ومعاني القرآن و إعراب ألفاظه و معجمات اللغة , و بعد تتبع موارد توصيف اقتراف عمل السوء بهذه الصفة و على هذه الحالة الجهالة نجد من الواضح جداً أنّها الجهالة تمثل صفة طارئة و سيئة و عارضة في سلوك الإنسان السوي الذي يصفه القرآن الكريم بالإيمان .

فنقرأ مثلاً في قوله تعالى : " وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (الأنعام : ٥٤) , و نجد كذلك أنّها الحالة الوحيدة التي يعفى عنها بالتعبير القرآني و يُغفر لصاحبها و يوعَد بقبول التوبة بعد الإنابة و الرجوع إلى الله تعالى وإصلاح ما أفسده سواء أكان بين الإنسان و ربه أم بين الإنسان و أفراد جنسه و ذلك بتخصيص و حصر مورد التوبة لأصحاب هذه الصفة الطارئة من صفات الجهل و الجاهلية , فنقرأ في قوله تعالى : " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " (النساء : ١٧)

ثم نجد القرآن الكريم يعبر في وعد آخر من وعود قبول الذين يعملون السوء بجهالة بإمهالهم و منحهم الفرصة للرجوع و التوبة و ذلك بإيثار اللفظ القرآني التعبير بأداة العطف (ثم) التي تفيد التراخي كما هو معلوم و معروف نحوياً , فجاء الوعد الإلهي بقوله تعالى : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ "(النحل : ١١٩) , و كما نرى الآية المباركة لم تكتفِ بتوجيه الإنسان المقترف السوء بجهالة بالتوبة و الرجوع فحسب بل اشترطت أمراً آخر و هو الإصلاح فقالت : " و أصلحوا" .

و هذا ما نجده واضحاً و جلياً في مناجاة الإمام علي ابن الحسين السجاد (عليه السلام) المعروفة بدعاء أبي حمزة الثمالي إذا يقول (عليه السلام)

: " إلهي لَمْ اَعْصِكَ حينَ عَصَيْتُكَ وَاَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جاحِدٌ، وَلا بِاَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلا لِوَعيدِكَ مُتَهاوِنٌ، لكِنْ خَطيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لي نَفْسي، وَغَلَبَني هَوايَ، وَاَعانَني عَلَيْها شِقْوَتي، وَغَرَّني سِتْرُكَ الْمُرْخى عَلَيَّ، فَقَدْ عَصَيْتُكَ وَخالَفْتُكَ بِجَهْدي " (٦٨) فتبين بذلك أن الجهالة في باب الأعمال إتيان الذنب عن الهوى و ظهور الشهوة و الغضب من غير عناد مع الحقّ , و من خواص هذا الفعل الصادر عن جهالة أنه إذا سكنت ثورة الغضب و خمد لهيب الشهوة باقتراف السيئة أو بحلول مانع أو بمرور زمان أو ضعف القوى بشيب أو غير ذلك عاد الإنسان إلى العلم و زالت الجهالة و بانت الندامة (٦٩) أما إذا لم يكن الذنب عن جهل و غفلة بل كان عن إنكار لحكم الله سبحانه و عناد و عداء فإن ارتكاب مثل هذا الذنب ينبئ عن الكفر و لهذا لا تقبل التوبة منه إلا أن يتخلى عن عناده و إنكاره و تمرده (٧٠) .

إذاً نخلص إلى أنّ كلّ ذنب يصدر عن جهالة قابل للعفو و الغفران من الله تعالى و ذلك لأن (من أتى بالمعصية مع الجهل بكونها معصية يكون حاله أخفّ ممن أتى بها مع العلم بكونها معصية وإذا كان كذلك لا جرم خص القسم الأول بوجوب قبول التوبة وجوباً على سبيل الوعد و الكرم) (٧١)٠

الخاتمة

وقف الباحثان عند مادة (ج هـ ل) في القرآن الكريم ، وتتبعا موارد ذكرها فيه ، فوجدا أنّ هذه المادة وردت في أربع وعشرين آية من القرآن الكريم ، ولم تتخذ صورة تعبيرية واحدة في الاستعمال القرآني ، بل اتخذت صورتين مختلفين في نظمها وتشكل علاقاتها في التركيب القرآني، وهاتان الصورتان هما :

١- الصورة الفعلية : وهي الأقل وروداً في القرآن الكريم

٢- الصورة الاسمية : وهي التي وردت في ثمانية عشر موضعاً قرآنياً وعلى وفق مؤديات وظيفية مختلفة في تركيب القول القرآني .

وهذا الظهور الاسمي يفوق بكثير الوجود العقلي لهذه المادة ؛ ليدلنا التعبير القرآني للصيغ الاسمية الدالة على الثبوت وعلى شيوع هذه الظاهرة السلوكية ، وليشعرنا بعظم خطرها ، ليس على ذلك المجتمع فحسب ، بل ربما في أي فترة زمنية وحتى وإن كانت في وقتنا الحاضر أو المستقبل إذا ما اتصف بصفات ذلك المجتمع ومسلك سلوكياته نفسها التي لم ينفك المجتمع يفاجئه سواء أكان شرقياً أم غربياً عن الاتصاف ببعض صفات ذلك المجتمع مما حدا ببعض الباحثين والدارسين أن يطلق تسمية جاهلية القرن العشرين أو غير ذلك من التسميات على جاهلية العصور المتأخرة أو المجتمعات المتحضرة ، كما أشعرنا إلى التأصيل اللغوي والاصطلاحي وأيضاً الاشتقاقي لأبرز عنوان ألا وهو (الجاهلية)

التي انفرد الإسلام بتسمية تلك الحقبة الزمنية وتلك السلوكيات المنحرفة بهذا الاسم الذي لم يسبقه إلى ذلك أحد كما المعلوم عند المحققين من علماء التاريخ والأدب

الهوامش

١ - تأريخ العرب قبل الإسلام : ١ / ٢٧

٢ - المصدر نفسه : ١ / ٢٨

٣ - المصدر نفسه : ١ / ٤٢

٤- ديوان النابغة الذبياني : ٩٣

٥- تاج العروس من جواهر القاموس : ١٤ / ١٢٩ - ١٣١ , و ينظر : أساس البلاغة : ١١٨ .

٦ - مقاييس اللغة : ١ / ٤٩٠

٧ - المنجد : ١٠٨

٨ - المصدر نفسه : ١٠٨

٩ - القاموس المحيط (جهل) : ٩٠٢ .

١٠ - المفردات ألفاظ القرآن (جهل) : ١٠٧

١١ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١ / ٣١٠

١٢ - التفسير الكبير : ٧ / ٧١

١٣ - جامع الدروس العربية : ١٣٢

١٤ - المنجد : ١٠٨

١٥ - مجمع البحرين : ٣ / ٢١٦ ـ ٢١٧

١٦ - الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية : ١

١٧ - المصدر نفسه , و ينظر : لسان العرب : ١١ / ٣٠

١٨ - الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي : ٢٥

١٩ –خزانة الادب وغاية الارب : ١ / ١٥

٢٠ – ينظر: الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي : ٢٦ , و ينظر فجر الإسلام : ٦٩

٢١ - المصدر نفسه : ٢٧

٢٢ - ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (جهل) : ١٠٧

٢٣ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٣٣

٢٤ - المصدر نفسه : ١٣ / ٢٣٣ , و ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣ / ٥٤١ , و مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣ /٢٠٥

٢٥ - الجاهلية فترة زمنية ام حالة نفسية : ٢٦ , و ينظر : جاهلية القرن العشرين : ١١

٢٦ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١١ / ٢٨٧

٢٧ - الجاهلية فترة زمنية : ١

٢٨ - الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي : ٢٩

٢٩ – التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٦٠

٣٠ - الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ١٩٩

٣١ - التفسير الكبير : ١٣ / ١٢

٣٢ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٥ / ١١٨

٣٣ - التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ٥٤٤

٣٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٢٨

٣٥ – الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٢١٦

٣٦ – الأمثل في تفسير القرآن : ١٦ / ١٨١

٣٧ – الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٤٠٤

٣٨ - التفسير الكبير : ٧ / ٧١

٣٩ – التبيان في تفسير القرآن : ٦ / ١٨٨

٤٠ - مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥ / ٢٦١

٤١ - التفسير الكبير : ١٤ / ١٢٣

٤٢ - الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٩٠

٤٣ –المصدر السابق: ١٦ / ٣١٥

٤٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٥٨

٤٥ - التفسير الكبير : ٣ / ١٠٩

٤٦ –المصدر السابق : ٣ / ١٠٩

٤٧ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١ / ٣١٠

٤٨ –المصدر السابق : ١ / ٣١٠

٤٩ - التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ١٣٢- ١٣٣

٥٠ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ١٣ / ٢٣٣

٥١ – المصدر السابق : ١٣ / ٢٤٣

٥٢ – التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ٧٤

٥٣ – الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ١٩٩

٥٤ – الميزان في تفسير القرآن :١٠ / ٢٢٧

٥٥ - تفسير أبي السعود : ٤ / ٣٣٦

٥٦ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣ : ٩٤

٥٧ - معاني القرآن للفراء : ١ / ٢٥٩

٥٨ - التبيان : ٣ / ١٤٥

٥٩ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣ / ٩٤ , ٤ / ١٨٧

٦٠ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٣ / ١٤٥ , التفسير الكبير : ٨ / ٥ , الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٣٣٥ , الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣ / ٩٤

٦١ - الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٤٥

٦٢- مواهب الرحمن : ٧ / ٣٣٣

٦٣ - معاني القرآن للفراء : ٢ / ١١٥

٦٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣ / ٢٣

٦٥ –المصدر السابق : ٩ / ١٣٣

٦٦ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ٧ / ٣٣٣

٦٧ - تنزيه القرآن عن المطـــاعن : ١٦٩

٦٨ - مفاتيح الجنان : ٢١٦

٦٩ – الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٤

٧٠ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣ / ٩٤

٧١ - التفسير الكبير : ٨ / ٤ - ٥

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- أساس البلاغة : جار الله محمود بن عمر الزمخشري , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , بيروت - لبنان ٢٠٠٠ م .

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي , دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي – دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٤ م

٤- تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

٥- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر الطوسي, تح : احمد العاملي , المطبعة العلمية , النجف , ١٩٦٣م

٦- التفسير الكبير : فخر الدين الرازي , قدم له : خليل محيي الدين, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ١٩٩ م .

٧- تنزيه القرآن عن المطاعن : عبد الجبار بن أحمد عبد الجبار الهمذاني المعتزلي ت ٤١٥ هـ ، دار النهضة الحديثة ، (د . ت) .

٨- جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د . ت) .

٩- جاهلية القرن العشرين : محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

١٠- الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية (بحث) : د . جواد كاظم منشد النصر الله ، ٢٠٠٦ م .

١١- الجاهلية مقدمة في الحياة العربية – لدراسة الأدب الجاهلي ، يحيى الجبوري ، مطبعة المعارف ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٨ م

١٢- خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبو بكر بن عبد الله الحموي الأزراري ، تحقيق : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ م .

١٣- ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , دار المعارف , بمصر, (د . ت) .

١٤- فجر الإسلام : احمد أمين , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة , ط٧ ، ١٩٥٥م .
١٥- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١١هـ) اعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان, (د . ت) .
١٧- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، ط ١ – بيروت (د . ت) .
١٨- مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) ، تحيق : السيد أحمد الحسيني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، النجف ، ١٣٨٦هـ .
١٩- مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن, الطبرسي (من أعلام القرن ٦) , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان , ١٩٩٤م .
٢٠- معاني القرآن :الفراء , أبو زكريا يحيى بن زياد,عالم الكتب, بيروت , ط٣ ، ١٩٨٣م .
٢١- مفاتيح الجنان : عباس القمي ، منشورات الفجرين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م .
٢٢- مفردات ألفاظ القرآن :الراغب الأصفهاني , تح : صفوان عدنان داودي , دار القلم, دمشق , ١٩٩٧ م .
٢٣- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الاسلامية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
٢٤- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السبزواري , عبد الأعلى الموسوي, مطبعة الآداب , النجف ,١٩٨٧ م .
٢٥- الميزان في تفسير القرآن : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي , تحقيق : الشيخ أياد باقر سلمان, قدّم له : السيد كمال الحيدري , دار إحياء التراث , بيروت , لبنان , ط١, ٢٠٠٦م .

بسم الله الرحمن الرحیم
قل هو الله احد

التجريب اللفظي في الشعر العربي الحديث في العراق

Verbal Experimentation in Modern Arabic Poetry in Iraq

د. سامي ناجي سوادي

قسم اللغة العربية - كلية التربية

جامعة رابرين - السليمانية

Dr .Sami Naji Sawadi

Department of Arabic Language College of Education

University Rapran - Sulaymaniyah

ملخص البحث

شغلت الحداثة الأجيال الشعرية العربية المعاصرة، إذ أخذت تهتم بما يُترجم ويُنقل من الأدب الغربي، فظهرت محاولات لتجديد النص الشعري والخروج به من دائرة النصية التراثية التي اعتمدت عمود الشعر لعدة قرون، وقد تعددت المحاولات التجريبية للخروج بالنص الحديث نحو الإبداع والتجديد، بدءاً من مستوى الشكل العام للنص والكتابة والترتيب اللفظي والتركيبي إلى المستوى الدلالي والتوظيف الرمزي والاشتغالات الأخرى .

فاهتمت الدراسة برصد التجريب اللفظي الذي لحق النص الشعري في الشعر العربي الحديث في العراق، فوقفت على توظيف الألفاظ المحكية والعامية في محاولة التقرب من دعوة إليوت الذائعة الصيت ومناداته بتوظيف المحكي والعامي في النص الشعري، ثم تبع ذلك العديد من المحاولات التي لا تخرج كثيرا عن تلك الدعوة والتي تحاول فض الحاجز بين النص والمتلقي ممّا تصيّر من الشعر نصا مقروءا من قبل الجميع فلا يخص متلقيا من دون آخر، وهذا ما كانت تتطلع له الأجيال الشعرية الحديثة، فقد رافق شهوة الكتابة توظيف الألفاظ والتراكيب الصوفية الفكرية فضلا عن الألفاظ الأجنبية والعلمية والفنية التي أخذت تتداول في اللغة العامة والمحكية في الصحف والمجلات وفي مجمل نواحي الحياة

Abstract

Contemporary Arab poets were preoccupied by Modernism for generations, and they were affected much by translation from western literature. Hence, many attempts appeared to innovate, make some novelty, and break the shackles of classical rigid styles that were adopted for centuries. Actually, these attempts were numerous and diverse starting from the form of the text, .diction, style and structure to semantic, symbolic and other levels

This study traces the verbal experimentation; of inserting words taken from the daily spoken language, used in modern Iraqi poetry. In doing so, poets tried to come closer to Eliot's noted call to use the daily spoken language, vernacular and colloquial in poetic text. These attempts were followed by others that aimed to break the barrier between the text and the recipient; to make it readable and enjoyable to everyone. This unquenchable desire for writing went hand in hand with employing the mystical verbal structures and diction, and even foreign, scientific and technical words used in newspapers, .magazines and daily life, as well

المقدمة

شغلت الدراسات اللغوية حيزا من الاهتمام والمتابعة، وتعددت الجوانب الدراسية للغة من من قبيل الشكل والمعنى، وتفرعت المناهج النقدية تبعا لذلك، مع طروحات دي سوسير اللسانية في القرن التاسع عشر، وبدأت اللغة تأخذ مع الحداثة الشعرية مكانة مهمة بين مكونات النص الشعري، بعد ان أصاب العمود الشعري الموروث الكثير من التغيرات الصوتية التي تخص الوزن والقافية، مما صب التأثير على اللغة المركزة التي تكوّن تلك النصوص، وفي العراق كثر الاهتمام بالمغامرات التركيبية اللغوية، منذ حركة رواد الشعر الحر وما قاموا به من استدعاء الموروث تارة، والتجديد والتحديث بالمفردات والتركيبات تارة أخرى، لتأتي أجيال ما بعد الرواد من قبيل جيل الستينيات والسبعينيات والثمانينيات حتى يومنا هذا، بمحاولات يمكن ان نصفها بالأكثر جرأة في التطلع الى لغة شعرية تتميز بالفرادة والجدة .

يشتمل البحث على رصد وتتبع التجريب اللفظي في ظل الحداثة الشعرية في العراق، منذ حركة الشعر الحر والشعراء الرواد وما بعدها من تجريب لدى الاجيال الشعرية وما عرف به الستينيون حيث صار " التجريب مبدأ من مبادئهم، وكان يحلو لكل منهم أن يوصف بأنه شاعر تجريبي . فالتجريبية تعني الطليعية، تعني المغامرة وارتياد الآفاق المجهولة وقد جرب الستينيون في كل شيء .."(١) ومع ذكر ما يعضد تنوع المفردات والتراكيب التي زخرت بها قصائد شعراء الحداثة، مع الأخذ بالحسبان أهمية تنوع تلك المجاميع الشعرية ولشعراء شتى، منذ جيل السياب والخمسنيات والاجيال اللاحقة لهم، في محاولة المسح العلمي للتنوع التقني للبعد التركيبي اللغوي بين الشعراء والأجيال الشعرية، إن صحت التسمية بالمجايلة والأجيال الشعرية .

اللغة في الحداثة الشعرية

أدرك رواد الحداثة أنّ المشكلة الشعرية مرتبطة بمشكلة اللغة ارتباطا وثيقا، رافق ذلك اصرار على ايجاد لغة جديدة قادرة على السحر الايحائي والطلسم الغامض اللذين يمنحان الروح انتصارا ومجدا عن طريق الشعر(٢)، لذا فقد اعتمدت قصيدة النثر على ركيزتين هما : اللغة والخيال، واحتلت اللغة المرتبة الأولى في عصر الحداثة، لم تكن ارثا مقدسا لا يصلح الخروج عنه، ولم تعد وسيلة نقل بين المبدع والمتلقي، بل تحولت الى كيان مبدع بذاته، يحاول الشاعر ايصالها بما فيها من حمولات دلالية للمتلقي عبر توظيفها الجديد في نصه الأدبي، بمعنى تحرك المستوى الدلالي للغة، بتحرك الاستعمال والانزياح في ذلك التركيب اللغوي، فلم تعد عامة كما كانت عليه قبل عصر الحداثة والتحول الفكري العالمي، بل صيرتها الحداثة الى فردية الابداع وخصوصيته، فلكل مبدع لغته الخاصة التي تختلف عن لغة غيره، وهذا الاختلاف لا يحصل إلّا بالمغامرة التركيبية، وهو ما كنّا نطالعه في شعر أبي تمام من مغامرات لغوية جعلت ابن الاعرابي يقول في شعر الطائي : لو كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل(٣)، مع الأخذ بالحسبان كل الفوارق الزمنية والاجتماعية

والحضارية بين العصرين .

فالشعر خروج عن اللغة المعيارية، وتفجير الإمكانات الكامنة فيها، فلم تكن اللغة شعرية إلّا بتمزيق ذلك النظام المتعارف عليه لغويا، فهو هدم، وتمزيق توليدي لإجل بناء جديد، وهذه أهم دعامات النص الشعري الحديث(٤)،فـ " تحرير الكلمات من المواضعة الاصطلاحية code وإعادة تركيب الكلام لتدخل هذه الكلمات في شبكة من العلاقات تجبر الحشد الدلالي على البروز وذلك من خلال كسر القوانين وتجاوز السنن codes لتأسيس آفاق جديدة مليئة بالروؤى والاحتمالات"(٥) وهذا مايعطي النصوص الأدبية قيمتها الفنية، وهنا، لا ننسى أنّ توجه الشعر نحو قصيدة النثر لا يعني خلو ذلك النص من الشعرية والقدرة الفنية، كأنها تتعامل مع نص نثري ليس له من الايقاع الصوتي ما يذكر، فالشعرية تتحقق بتحقق الانزياحات في القول منظوما كان أم غير منظوم (٦) .

ولغة شعر الحداثة في العراق لا تختلف كثيرا عن لغة الحداثة في الشعرية العربية عموما، فقد تنوعت المفردات والتراكيب التي لم تكن مناطق شعرية في النصوص الأدبية الموروثة، وتبعا لما تقدم يمكن أن تتجلى اللغة في الشعرية العراقية بخصائص مهمة منها :

- لغة الحياة اليومية – المحكية .
- المفردات والتراكيب الصوفية .
- المفردات الأجنبية وترجمة النصوص الشعرية .
- المفردات والمصطلحات العلمية والفنية .

لغة الحياة اليومية – المحكية

استجابت الشعرية العربية الحديثة أعقاب الحرب العالمية الثانية لدعوات إليوت الشعرية والنقدية، فيما يخص استعمال اللغة المحكية والمعادل الموضوعي واستعمال التضمين في الشعر، وتباينت الآراء ومستويات الإدراك لتلك الدعوات، فكانت قصيدة (الأرض اليباب) لإليوت مواطن استكشاف للكثير من الشعراء العرب، فضلا عمّا أصاب المجتمعات العربية من تغيير نتيجة الثورات السياسية المتلاحقة، فانعكست على الحالة الشعرية لتلك الشعوب، فتعمل الثورة بالشعر ما تعمله بنواحي الحياة الأخرى، السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، فكانت الاستجابة للغة المحكية والتثوير اللغوي في الشعر أهم تلك الاستجابات، وتباينت الآراء في اللغة المحكية والعامية، إذ دعا بعضهم للاستفادة من اللغة المحكية من دون قيد أو شرط وبعضهم ذهب إلى شرطية الاستعمال على وفق قرب تلك المفردات من اللغة الفصحى الأصل، ومرد الاختلاف في مفهوم الشعبية يختلف هو أيضا من بلد لآخر، حتى تلك اللغة العامية فمنها ما يقترب من الفصحى في بلد عربي ومنها ما يبتعد كل البعد في بلد عربي آخر، لذا أصاب لغة الشعر في عصر الحداثة الشعرية العربية عموما، والعراقية على وجه الخصوص، تثويرا لغويا لم يشهده التاريخ الشعري العربي، فالشعر في القرن العشرين لا يستطيع أن يجد شكله " إلّا في الشعر الحر أو قصيدة النثر، وهما وحدهما يستطيعان استقبال مفردات حديثة وواقعية، وتسمية الأشياء باسمائها،

كما انهما يفتحان لنا شعر القطارات والمحطات....، وشعر الحانات الحقيرة ....، وشعر البواخر .... لنمضِ، ويمكن أن نبحث عنه وكأنه وسيلة تأثير شاعرية خاصة "(٧)، ولعل إدخال عناصر من اللغة النثرية والعامية في الشعر، عبر الألفاظ تارة، وبناء الجملة تارة أخرى، كانت أحدى النقاط الحاسمة في عملية تحلل نقاء الأنواع الأدبية وتحلل حصريتها اللغوية(٨) . وهناك من يجد أنّ تأثر العرب بإليوت " كان اصطناعيا وأنّ ضرره أكثر من فائدته، وأدت محاولات الشعراء والنقاد العرب في محاكاته – ما عدا استثناءات قليلة – إلى التكلف والحذلقة والادعاء وحرفت انتباه المقلدين عن واقعهم المعاش "(٩)، ففاضل العزاوي ينظر الى القصيدة الحديثة بلغة مضادة للبلاغة اللفظية وكونكريتية بسيطة مثل لغة النثر وسط علاقات جديدة بين الكلمات في الجملة الشعرية المؤدية للإيحاء قبل البوح والمباشرة(١٠)، وهو واحد من الآراء التي التفت حول دعوة إليوت " فمنهم من دعا إلى الاستفادة من ألفاظ عامية فصيحة الأصل، وتحسين الفاظ عامية لادماجها في النص الشعري في النص الشعري كما هي الحال لدى صلاح عبد الصبور وخليل حاوي، ومنهم من دعا إلى كتابة الشعر باللهجة العامية كما ينطقها المثقفون لمواكبة حركة الحياة مثل: يوسف الخال مؤسس مجلة شعر، وهناك من رفض المذهبين معا انطلاقا من أن الشعر غير الحياة وان اللغة الشعرية غير اللغة العادية مثل أدونيس "(١١)

وعند السياب البادرة الأولى في استعمال المحكي في الشعر العربي، وإن كان على محدودية الاستعمال إلّا أنّه ممن بادر بتوظيف المحكي في الشعر العربي الحديث :

أبسط بالسؤال يدا نديه

صفراء من ذل وحمى : ذل شحاذ غريب،

بين العيون الأجنبيه

بين احتقار، وانتهار، وازورار، او (خطيه)

والموت أهون من (خطيه)(١٢)

لم يعلن السياب اعجابه باليوت بين اقرانه الشيوعيين لأنه ماركسي لئلا يقع بشيء من الحرج لأنه ممن يقبل البرجوازية، ربما كانت هذه احد العوامل التي جعلت جنوح السياب نحو المحكية على قدر محدود يختلف عما نطالعه عند عبد الوهاب البياتي الذي اختلف تماما عن السياب في هذا الجانب، فيقول البياتي مضمنا مثلا عاميا في شعره فيقول :

من قلّة الخيل

شدوا على الكلاب

سروجهم وانتخبوا السحاب(١٣) .

وقد كان يعيب السياب على البياتي أسلوبه في توظيف المحكي والعامي في الشعر ممّا خلق سجالا نقديا بين الشاعرين، ومن التوظيف العامي توظيف الأمثال والمقولات الشعبية المحكية في الشعر قول البياتي :

يانائمين

ورجلكم بالشمس

رؤسكم في الطين(١٤) .

صاحب فهم الرواد لدعوة إليوت كثيرا من

الاعراضات والمداخلات ولعل أهمها رأي سامي مهدي الذي يعترض على فهم حركة الرواد والتحول الحقيقي للشعر بقوله: " ولقد كان في مقدمة ما يتطلبه انجاز (التحول الشعري) من الستينيين : الكتابة بلغة جديدة، ذلك أنّ التحول الشعري الحقيقي إنّما يبدأ من اللغة وليس من أوزان الشعر كما فهم الرواد .....، ذلك أنّ التغيير الذي أدخلوه على البنية الايقاعية كان لابد أن يقودهم الى تغير ما في لغتهم، ولكن محاولتهم هذه اخفقت بسبب انهماكهم في الكتابة عن العالم الخارجي "(١٥)، لذا حاول الستينيون النأي عن منحى الشعر الخمسيني لغة وبناءً، ومن نصوصهم قصيدة (أقنعة البوذي) لفاضل العزاوي التي كتبها بعد أقل من عام على أعلانه التمرد على الشعر الخمسيني وشعر السياب خاصة(١٦)، ومن التجريب اللغوي وادخال المفردات العلمية واللغة المحكية في الشعر لدى فاضل العزاوي، قوله:

كيمياء الحياة فيما ١/٣ اطفاله يموتون من البلهاريزيا والسل(١٧)

وفي قصيدة لكزار حنتوش يقول فيها :

بالأمس رأيتك ترفع كفاً قد تصرع فحل الجاموس
" ها خوتي ... ها ... ودوه يبلعنه وغص بينه "
ها اني أعجن روحي الآس ..
دقات الهاون تعلو ..
هل يسمعها مستر بوش
بعد ثلاثة أيام ستجيء
هل أحضر لك البقدونس
والبصل الأحمر
واللوبياء
وكويت السروال البني(١٨)

مقطع شعري وطني ساخر، تزدحم فيه اللغة المحكية والعامية في آن، مع دخول الأهزوجة الشعبية، وبالالفاظ العامية المستعملة لدى عامة الوسط الذي يتعايش معهم حنتوش، وكأنّه أدرك ما لا يدركه أغلب الشعراء، وهو ما يذكره د. صلاح عبد الصبور بقوله: " لقد كان امرؤ القيس لا يعرف الفرق بين اللفظ العادي واللفظ الشعري، فهو يحدثنا في معلقته عن شحم ناقته ولحمها، كما يحدثنا عن بعر الارام وحب الفلفل وينقل إلينا صورة صحراوية نابضة بالحياة :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ترى بعر الارام في عرصاتها وقيعانها كأنّه حب فلـــــفل

ولكن ذوق التخلف الذي يعنى بالزينة أكثر مما يعنى بالصدق هو الذي خلق ما نسميه القاموس الشعري "(١٩)

ومن التضمين وتوظيف المحكي ما لا يشكل خرقا واضحا في البنية اللغوية المتفق عليها (الفصحى) والمستعملة في الحياة اليومية من قبيل كلمة (لمّي) التي كثيرا ما يرددها العامة في حديثهم فيقول كاظم الحجاج :

ياقريتنا
لمّي أبناءك
أيّا ما كانوا

أو في أيّ مكان
ياقريتنا
مجد الرمانة حبُّ الرمان(٢٠) .

يثير الشاعر ياسين طه حافظ كثيراً من التساؤلات الشعرية – النقدية، وما ينبغي أن تكون عليه العملية الابداعية بعد لقائها مع الواقع المعيش وكيف تصدر عنه وتتفاعل معه(٢١) :

كيف ينهض الشعر بالحياة الجديدة ؟
يشاهدها، يتأملها، ينعطف بها
كيف تنهض الحياة الجديدة بالشعر ؟
تستوقفه، تلهمه، ثم تفجره(٢٢) .

ومن التوظيف العامي ما يصل بالشاعر إلى استعمال الشتائم المتداولة إلى الحد الذي يعيبه الكثير من المتلقين إلّا أنّ الشاعر يوظف ذلك، لأنه يستنطق الواقع الصامت، وهو ما ينبغي أنْ يقوله الشعر في زمن اليوتوبيا المصطنعة، وهذا ما جعل مظفر النواب يبدأ ديوانه بعتبة اعتذار وتسويغ في آن :

اغفروا لي حزني وخمري وغضبي
وكلماتي القاسية ..
سيقول البعض ..
بذيئا ..
لا بأس
أروني موقفا أكثر بذائة مما نحن فيه(٢٣) .

المفردات والتراكيب الصوفية

تضمنت القصيدة في الشعر العربي الحديث الكثير من الألفاظ الصوفية التي وظفت في أشعارهم تلك التي أخذت تقترب من نصوص الصوفية الاسلامية وغير الاسلامية، عبر الأفكار تارة، والالفاظ والتراكيب تارة أخرى، ولا يعني التصوف في الشعر الحديث مذهبا وعقيدة دينية يتخذها هذا الشاعر او ذاك، كتلك التي عُرف بها المتصوفة الأوائل، ويصفها الحلاج بالتفصيل :

تاء التقى صاد الصفا واو الوفاء
فـــاء الفتوّة فاغتنم يـــا صاح
من قـــام فيـــــه بحقـــه وحقوقه
وخلا عن الحدثان والأشبـــاح
تتشعشع الأنـــــوار من أسواره
كتشعشع المشكاة في المصباح(٢٤)

فقد يتصوف الشاعر المعاصر هرباً من واقع مادي واجتماعي وسياسي مأزوم، فهو يحاول العثور على عالم أكثر روحانية وصفاء ونقاء وطهرا، فلم يكن تصوفه إلّا حزناً وغربة واغتراباً لما يعانيه الفرد العربي في ظل النكبات المتلاحقة التي يعيشها(٢٥)، ولعل نيرفال أول من حاول اقتحام الأبواب الصوفية والانفتاح على ما وراء العالم المرئي، وقد اتبعه في ذلك بودلير بمحاولاته الروحية المناظرة للعالم المرئي، لأنّ اللغة في نظره أداة بحث ميتافيزيقية بحتة(٢٦)، وهو ما اتصفت به النصوص الشعرية الحديثة ولعل قصيدة النثر في مقدمة تلك النصوص، ولا يبتعد الحديث عن علاقة هذه القصيدة بالنصوص الصوفية وهو ما يراه أدونيس بقوله : " في الأساس أخذنا قصيدة النثر من النص الغربي، ويجب أن نعلن هذا ونعرفه، كما أخذ بودلير قصيدته من أدغار ألن بو .... لكن بعد الاطلاع والقراءة يجب أن نقول أنّه

كان لدينا جذر يمكن أن نستند اليه وكنّا نجهله، وهذا الجذر هو بالدرجة الأولى النص الصوفي "(٢٧)، ولعل الرابط الأهم في ذلك هو تلك العلاقة التي تمثل اللغة والتصريف اللغوي مركز الاهتمام الصوفي إلى جنب الذات الشاعرة والمبدعة للقول الشعري إذ " تقترن خيبة المتصوفة في الغالب بشيئين : اللغة والذات، اللغة بالنسبة لهم حجاب وعائق، لأنّ الحقيقة هي اللانهائية الممكنة خارج الحروف والكلمات . والذات عائق لأن المُريد يريد أن يخرج منها ليُباطن الحقيقة ويحتضنها "(٢٨)، ولا تتحقق شعرية النص الصوفي إلّا بتوافر مسافة التوتر والفجوة الحادة، وما إنْ تتحول تلك التجربة إلى الحلول حتى يتحول ذلك النص إلى حالة أخرى يمكن القول عنها إنّها تجربة مذهبية بحتة وليست كتابة أو تجربة شعرية(٢٩) .

وتتمثل المفارقة الصوفية في شعر عبد الكريم كَاصد، عبر الألفاظ والتراكيب المتوازية، شأنه شأن الاستعمال الصوفي لها، لادراكه ما تتمتع بها المفارقة عند المتصوفة من قوة كامنة، لتعزيز الجمال، أو الشعرية في لغتهم، أو لايقاف المتلقي ليتأمل ويفكر في ماهية القول، والتأثير فيه، ومن التجني القول بإنها من الاساليب البلاغية ولا شيء غير دلك(٣٠) .

لا تحجب حبك فتنفضح
ولا تبده فتحتجب
لا راحة لنا في دنوّ
ولا بُعد
... كلما أريته ناري
أراني الجنة التي لا تسعني

هيهات هيهات
لا راحة أهبها
ولا هبة تريحني
... البوح محنة
والكتمان محنة(٣١) .

فـ (الحجاب والافضاح - الدنو والبعد - النار والجنة) كلها مفارقات لفظية لغوية تعكس المفارقة الصوفية التي أشرنا اليها، ثم يتحول النص إلى المفارقة التركيبية بما يشبه الإيقاع الموسيقي عبر (لا راحة أهبها ولا هبة تريحني – البوح محنة والكتمان محنة)، بين التوازي اللفظي والتركيبي يتكون إيقاعا متفاوتا في المقطع الشعري، وهذا النص يقترب إلى حد ما لنص آخر لـ ت . س. اليوت :

لكي تصل إلى مالا تعرفه
عليك أن تسير في طريق هو طريق الجهل
لكي تصل إلى ما لست أنت
عليك أن تسير في طريق تكون فيه لست أنت
إنّ الشي الذي لا تعرفه هو الشي الوحيد الذي تعرفه
ما تملكه هو مالا تملكه
وحيثما تكون أنت، فإنّك لا تكون أنت(٣٢) ...

ومن المفارقة بين لفظين: هما بحقيقتهما مبدأ الصوفية القائم على أنّ سعادة الروح نتيجة حتمية لشقاء الجسد، فما بعد الشقاء إلّا سعادة، وهذا التركيب ضمنه عبد الكريم كَاصد في شعره:

جاءتني وقالت : أسعدك من أشقاك(٣٣) .

ومن المفارقة مفارقة ثوابت المعاني، والوحدة

والاندماج بالذات لتكون كلية، أو هي واحدية الوجود والانعزال عن الآخر، مثل قول كاظم الحجاج :

إنّي رجلٌ

يخجلُ

مني !(٣٤) .

فالالتفاف حول الذات أو انفصال ذاتين بجسد واحد تعزز الصورة الصوفية، وتتضح معالمها في التركيب اللغوي والحواري الذي وظفه كاظم الحجاج بحالة شعرية تدعو لكشف العلاقة والاندماج :

لأنّي نحيل

لم أكلف الرب طينا ليخلقني !

صاح بي : يا أنا هو

ففتحت عيوني

أيّما وطنٍ تشتهي ؟ قال :

فقلتُ : الجنوب(٣٥) .

وهو يستدعي النص الصوفي القائم على التوحد والذي عدّ من شطحات الصوفية للحسين بن منصور الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا(٣٦)

والذي يقترب من قول الشاعر :

تمازجت الحقائق بالمعاني

فصرنا واحدا روحا ومعنى

فـ " الوحدة التي لا تمايز فيها ولا اختلاف ... لم تكن سوى وحدة الذات نفسها، أناه الفردية الخالصة، واحدة بين بلايين من الأنا الفردية الخاصة وليست روح الكل "(٣٧)، ثم إنّنا نطالع الكثير من الألفاظ الصوفية في شعر عبد الرحمن طهمازي :

العارف انفرطت مفاصلُه وطغى عليه على ما أرادا

وهناك أخزاه الفضول

كيف استمعت الى (يُقال)

وما نصت الى (يقول)

البرعمُ ازدادتْ شهيتهُ فودّعها ولم يطوِ الوسادا

بعد اندثار الرعد ضاق بثوبه الورق الرقيقْ

وهوى

وما آراه ظلٌّ في البريقْ

الجمرةُ التفَّتْ وبين رمادها انعدمتْ وأكملت الرمادا

بيدي مردتُ قشورها المتفطراتْ

أملاً

فلم أجد النواةْ(٣٨) .

للنص المتقدم شبكة دوال تستند إليها التأويلات الممكنة، ومن تلك التأويلات ما يراه الغانمي من بُعدٍ صوفي للنص، فكلمة (العارف) هو ذلك المتصوف الذي يغيب عن ذاته لصالح معرفة الحق، وعبارة (انفرطت مفاصله)، فـ (فصل) يعرفها ابن عربي بأنّها : تميزك عن محبوبك بعد حال الاتحاد، أما عبارة (ما أرادا)، فـ (الإرادة) من المصطلحات التي الحَّ عليها المتصوفة، ويعرفها ابن العربي : بلوعة في القلب، ويعرفها الشريف الجرجاني : بجمرة من نار المحبة في القلب مقتضيةلاجابة دواعي الحقيقة، وفي المقطع الثاني يضعنا الشاعر أمام برعم متلفلف باكمامه ازدادت شهيته إلى شيء ما لم يصرح به الشاعر، أمّا المقطع الثالث فقد بدأ بالجمرة وهي ما تكوّن باطن الإرادة، أو باطن المُريد، كما ذكرنا

سابقا(٣٩) .

وبعد ذلك كله، لا بدّ لنا من الوقوف على حقيقة تكمن في " ان انهماك الشعراء في استجلاء تفاصيل هذا التراث أسهم في تعطيل مناطق مهمة من حواسهم إلى نمط قرّب حياتهم من الكسل في اكتشاف ماحولها وما هي بصدده ... فكانت كتاباتهم استنساخاً طفيفاً للتخارج البلاغي للغة المتصوفة وقاموسها وهو على كل حال استنساخ تجريدي محض ... لقد كان القاموس الصوفي في شعر الثمانينات وسيلة لوقاية الموقف من الانتهاك، لكنه بتحوله إلى غاية، سيجعله بكل تأكيد وسيلة للهروب من أي موقف "(٤٠)، بما فيها تلك المواقف السياسية التي كانت تخيم على البلاد من انظمة دكتاتورية خانقة للرأي والفكرة، فجاءت الأفكار الصوفية واستلهام كتابات الحلاج وابن عربي والبسطامي والنفري وجلال الدين الرومي ورابعة العدوية وابن الفارض وغيرهم من المتصوفة الذين عرفهم الأدب العربي قديما .

المفردات الأجنبية وترجمة النصوص الشعرية

تهتم الكتابة هنا بالمهمل – المرئي والملموس – من دون الترفع البروجوازي، الذي عرف به النص الكلاسي المعتمد على اللغة العالية المترفعة على عامة الجمهور، فتجد حركية اللغة والتصرف التركيبي من أهم سمات النص الحداثي، وهو ما خصّبته الحركات الفنية المناهضة للجمود النصي المكبّل للشعرية العالمية والعربية، ولعل دخول الألفاظ الأجنبية – أماكن ومصطلحات علمية وماركات تجارية – أبرز تجليات الحداثة الشعرية التي أصابت الكيان اللغوي للنص الشعري، ويشترط في التوظيف اللغوي للمفردات الأجنبية - كما كانت بالألفاظ العامية - وضعها وسط سياقات جديدة كلية، لخلق فجوة ومسافة توتر بين اللغة الجماعية والابداع الفردي، وهو ما عاينه موكاروفسكي بدراسته للوظيفة الجمالية للغة الشعر، وقد ميّز بين بعدين للغة : سيكلولوجي، وعقائدي، والشعرية ماهي إلّا عملية قائمة بينهما، فـ " اللغة الشعرية دائماً تعيد إحياء موقف الإنسان من اللغة ومن علاقة اللغة بالواقع، وتجلو بطرق جديدة التأليف الداخلي للعلامة اللغوية وتكشف امكانيات جديدة لاستخدامها "(٤١)، ويبدو إنّ الشعراء العرب أدركوا هذه الأهمية فأثروا النص الشعري بتلك الألفاظ التي تعكس معرفتهم بتلك اللغات التي تعايشوا معها تارة، أو اطلاعهم على آداب تلك اللغات تارة أخرى، فنجد أسماء وسائل النقل والأطعمة والمشروبات والأماكن وهو ما يخص التعايش والتمازج الاجتماعي بتلك الشعوب والمجتمعات الأجنبية، فضلا عن دورها السايكلوجي الذي يملي على الشاعر الشعور بالغربة والانزواء بعيدا عن وطنه الذي ربما يوظف أسماء أماكن ومأكولات وألفاظا عراقية في نصوص أخرى في محاولة استرداد ذكرياته المسلوبة في أرض المهجر، ولعل أغلب ممّن يوظف المفردات الأجنبية هم شعراء يعيشون في الغرب وتكاد تكون مقبولة عندهم على العكس من توظيفها لدى شعراء لم يغادروا أسوار أوطانهم .

ومن ذلك ما جاء لدى شعراء الستينيات وما

بعدهم من تجريب لفظي بإدخال المفردات الأجنبية قصيدة لفاضل العزاوي :

كنت أرى قاسم يجلس في مقهى
ويدخن أحلاما (king size) بالفلتر)(٤٢) .

وللعزاوي نص شعري يعتمد على البنى السردية فيذكر الأمكنة وأسماء الأعلام الغربية فيقول :

في (فندق زيَا) ينسى المستشرق
زوجته، يشرب في البار نبيذ التفاح
معتمرا قبعة من قش حائل
يضطهد الصيف – أجاثا كريستي – تكتب عن بابل

قصتها البوليسية(٤٣) .

ومن الجيل السابق للعزاوي قصيدة سعدي يوسف التي وظف فيها أسماء الأعلام والأمكنة الغربية في الشعر إذ يورد عنوانا كاملا في لندن، ولا تهتم الدراسة هنا بما تعنيه النصوص إلّا ما تحاول تلك الألفاظ إرساله من دلائل إلى المتلقي، ففي مجيء العنوان في النص الشعري يغني النص بالمصداقية الفنية وما مرّ به سعدي في بحثه عن الثوري الألماني :

ولماذا لا أكتب عن كارل ماركس
قرأت بمكتبة المتحف أشعاري
(حيث تكوّن رأس المال)
وبحثتُ طويلا في لِسْتَر سُكْوير Leicester square
لعلّي ألقى منزلَه،
وفي سوهو soho أيضا

وأخيراً أخبرني يوجين كامينكا Eugene kaminka

عن آخر عنوانٍ للثوري الألماني، بلندنَ : ٩
grafton terrace
Maitland Park
Hampstead Road
.Haverstock Hill(٤٤)٠

ولدى سعدي يوسف أسلوبه في كتابة نصوصه الشعرية ما يتعدى التوظيف اللفظي إلى ترجمة القصيدة كاملة في صفحة أخرى من أعماله الشعرية ومثال ذلك قصيدته (إلى دوستينا لافرن - To dostenalavergn) المكتوبة عام ٢٠١١، نجده يعيد كتابة نصه الشعري إلى اللغة الانكليزية بعد أن جاء باللغة العربية :

إن مضينا عميقا مع البحر
في الفجر ..
ماذا سنخسر غير الذي قد ينوء به البحر من هول أغلالنا ؟
فلنكن في شواطيءإيجه
ليلا
نهارا (٤٥) .

If we went deep to the sea
At dawn
What we will loose but our heavy fetters?
Let us be a long Aegean shores
Night

.And day(٤٦)٠

الالفاظ والمصطلحات العلمية والفنية

يتصف الشعر بسياحة وجدانية عبر انزياحاته التركيبية وصوره الشعرية التي تنأى بالقول عن المباشرة والشرح العلمي إلّا أنّ الحداثة وتجريبها اللفظي في الشعر العراقي الحديث أخذت تهتم بتوظيف الألفاظ والمصطلحات العلمية لتؤكد مشاركة الشعر للحياة العامة التي انبثق منها وللسبب نفسه الذي دعا لتجريب الألفاظ العامية والأجنبية والصوفية إلى حد ما، فجاءت المصطلحات بتقرير تارة وشعرية تارة أخرى بحسب الاستعمال والتوظيف:

كيمياء الحياة فيما ١/٣ اطفاله يموتون من البلهاريزيا والسل(٤٧)

ومن التوظيف العلمي ما قام به عبد الأمير جرص من توظيف المعادلة الرياضية في الشعر، فالرموز والحروف أخذت وظيفة المفردات في النص الشعري :

الموت : ديناصور الأشياء الجميلة
بالمناسبة أنتِ حبلى بديناصور
حبلى
بكلّ ما ينقرض
حبلى
بالانقراض نفسه
هذه حقيقة علمية
انظري ..
كيف أصبحت س = ص
بينما (ع)٣ = ق
هذه حقيقة(٤٨)

وتحتشد المفردات غير العربية والمصطلحات الفنية العالمية في نص حديث لسنان انطوان (phantasamagoria) يقول فيه :

مطرٌ أزرق
يحاور أوركسترا صامتة
في صباح بعيد
يتعثّر المايسترو
على سلالم موزارت
تندلع الفراشاتُ
من أوتارك الصوتية
وتغزو ذاكرتي(٤٩)

فاللغة الجديدة أهم ما شغل الشاعر العربي الحديث، إذ وجد في اللغة ضيقا عما يعج بالحياة من أحداث لا يستطيع الشعر التعبير عنها ومجاراتها وسط لغة تراثية جامدة وهذا ما دعا الشاعر عبد الأمير جرص للقول :

في رأسي كلمات ، ليست في رأسك
إنّني أحسد التشكيليين والموسيقيين
أحسد كلَّ من يتحدث بغير اللغة
أود لو اكتب الشعر
بالإشارة(٥٠) .

بهذا يبقى التجريب اللفظي واللغوي قائما في الشعر بعد أنْ تعددت مجالات الحياة التي يعكسها الأدب عموما والشعر على وجه الدقة، فيبقى الشاعر تواقا للتجديد والتجريب اللفظي والتركيبي للنهوض

بفنية النص الشعري ليستوعب الحياة بما فيها من تناقضات ومبتكرات علمية وفكرية تتطلب من الشاعر جهدا حثيثا لذلك فضلا عمّا يتطلبه التجريب من شجاعة وترقب لأنّه يشق مساره وسط تقاليد فنية راسخة ممّا يصعب تقبل فنيته الجديدة لدى المتلقي .

الهوامش

١- الموجة الصاخبة شعر الستينات في العراق، سامي مهدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤، ص٣١٨ – ٣١٩ .

٢ - ينظر: قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا، سوزان بيرنار، ترجمة : د. زهير مجيد مغامس، مراجعة: د. علي جواد الطاهر، ط١، دار المأمون للطباعة، بغداد – ١٩٩٣، ص٦٥- ٦٦ .

٣ - تحولات اللغة في شعرية الحداثة – قصيدة النثر بلغت شيخوختها في شبابها، أ.د. محمد عبد المطلب، جريدة فلادليفيا الثقافية، ع ٥، عمان – ٢٠٠٩، ص٦٨ .

٤ - ينظر : في بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، ط١، سراس للنشر، تونس – ١٩٨٥، ص٢٤ .

٥ - بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، ص٢٧ .

٦ - ينظر : الشعرية، تودوروف، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط٢، دار توبقال، المغرب – ١٩٩٠، ص٢٤ .

٧ - قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا، سوزان بيرنار، ص١٤٥ .

٨ - ينظر : أدب امريكا اللاتينية – قضايا ومشكلات، سيزار فرناند ث مورينو، ج٢، ط١، ترجمة : احمد حسان عبد الواحد، مراجعة : د. شاكر مصطفى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت – ١٩٨٨، ص١٠٣- ١٠٤ .

٩ - أثر اليوت في الأدب العربي، ماهر شفيق فريد،ط١، دار النهار، بيروت – ١٩٧٩، ص٥٥ .

١٠ - الروح الحية – جيل الستينات في العراق، فاضل العزاوي، ط٢، المدى، بيروت – ٢٠٠٣، ص٢٢٣ .

١١ - الشعر ولغة الحياة اليومية، جهاد فاضل، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة، ع ١٦٤٦٢، ٢٠ يوليو ٢٠١٣.

١٢ - الأعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب، ط١، مطبعة الشعب، دمشق – ١٩٧٤ ، ص١٨٣ .
١٣ - الديوان، عبد الوهاب البياتي، مج٢، ط٣، دار العوجة، بيروت – ١٩٧٩ . ص٢٦ .
١٤ - الديوان، عبد الوهاب البياتي، ص٢٥٧ .
١٥ - الموجة الصاخبة – شعر الستينيات في العراق، سامي مهدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤، ص٢٣٤- ٢٣٥.
١٦ - الموجة الصاخبة، سامي مهدي، ص٢٦٩- ٢٧٠ .
١٧ - صاعداً حتى الينبوع، الأعمال الشعرية ١٩٦٠ – ١٩٧٤، فاضل العزاوي، ط٢، دار المدى، دمشق – ٢٠٠٣، ص٩٧ .
١٨ - الأعمال الشعرية الكاملة، كزار حنتوش، ط١، دار بنى الزهراء، ٢٠٠٧، ص٢٣١ .
١٩ - الشعر ولغة الحياة اليومية، جهاد فاضل، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة، ع ١٦٤٦٢، ٢٠ يوليو ٢٠١٣.
٢٠ - ديوان - غزالة الصبا، كاظم الحجاج، ط١، دار الينابيع، دمشق – ١٩٩٩، ص٥ .
٢١ - ينظر : الغابة والفصول – كتابات نقدية، طراد الكبيسي، ج١، ط١، دار الرشيد، بغداد – ١٩٩٧٩، ص٣٤٦ .
٢٢ - الأعمال الشعرية، طه ياسين حافظ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ٢٠٠٠ .
٢٣ - الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، ط١، الأوديسا، بيروت - ٢٠٠٧، ص٣ .
٢٤ - الحسين بن منصور الحلاج، الديوان، تحقيق وترجمة : عبده وازن، ط١، دار الجديد، بيروت – ٢٠١٢، ص٣٦ .
٢٥ - ينظر : مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب – دراسة نقدية وحوار، احلام يحيى، ط١، دار نينوى، ص٣٢٨ .
٢٦ - ينظر : قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا، سوزان بيرنار، ص٦٨- ٦٩ .
٢٧ - مجلة أسفار، العراق، ع١٦، ١٩٩٣، ص٣١ .
٢٨ - اقنعة النص – قراءات نقدية في الأدب، سعيد الغانمي، ط١، بغداد – ١٩٩١، ص١١٧ .
٢٩ - ينظر : في الشعرية، كمال ابو ديب، ط١، مؤسسة الابحاث العربية ش. م. م.، بيروت – ١٩٨٧، ص١٠٣ .
٣٠ - التصوّف والفلسفة، ولترستيس، ترجمة وتقديم : أ. د. امام عبد الفتاح امام، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة – ١٩٩٩، ص٣١٢ -٣١٤ .

٣١ - دقات لا يبلغها الضوء، عبد الكريم كَاصد، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت – ١٩٩٨، ص٣٢ – ٣٣ .
٣٢ - الفصول الأربعة، ت. س. اليوت، نيويورك، هاركوت، يبحث
٣٣ - دقات لا يبلغها الضوء، عبد الكريم كَاصد، ص٨٠ .
٣٤ - ديوان - غزالة الصبا، كاظم الحجاج، ص٥٣ .
٣٥ - ديوان – غزالة الصبا، كاظم الحجاج، ص٧٤ .
٣٦ - الحسين بن منصور الحلاج، الديوان، ص٢٩ .
٣٧ - التصوّف والفلسفة، ولترستيس، ص١٩٦ .
٣٨ - أكثر من نشأة لواحد فحسب، عبد الرحمن طهمازي ، ط ١، دار الجمل ، بغداد – بيروت ١٩٩٥، ص٣٧ .
٣٩ - ينظر: اقنعة النص – قراءات نقدية في الأدب، سعيد الغانمي، ص١١١ ومابعدها .
٤٠ - حطب ابراهيم أو الجيل البدوي – شعر الثمانينات واجيال الدولة العراقية، محمد مظلوم، ط١، ٢٠٠٧، ص٣٩٠ .
٤١ - في الشعرية، كمال ابو ديب، ص٧٤ .
٤٢ - صاعداً حتى الينبوع، الأعمال الشعرية، فاضل العزاوي، ص٦١ .
٤٣ - صاعدا حتى الينبوع، الأعمال الشعرية، فاضل العزاوي، ص١٦٩ .
٤٤ - الأعمال الشعرية، سعدي يوسف، ط١، دار الجمل، بيروت – بغداد ٢٠١٤، ج٥، ص١٣٩ .
٤٥ - الأعمال الشعرية، سعدي يوسف، ج٧، ص٢١ .
٤٦ - الاعمال الشعرية، سعدي يوسف، ج٧، ص٢٢ .
٤٧ - صاعداً حتى الينبوع، الأعمال الشعرية ١٩٦٠ – ١٩٧٤، فاضل العزاوي، ص٩٧ .
٤٨ - الأعمال الشعرية، عبد الامير جرص، قدم الطبعة : حسين علي يونس، ط١، دار مخطوطات، السويد – ٢٠١٤، ص١٠١ .
٤٩ - ليل واحد في كل المدن، سنان انطوان، ط١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد – ٢٠١٠، ص١٠١
٥٠ - الأعمال الشعرية، عبد الامير جرص، ص١٥٤ .

المصادر والمراجع

١- أثر اليوت في الأدب العربي، ماهر شفيق فريد،ط١، دار النهار، بيروت – ١٩٧٩ .

٢- أدب امريكا اللاتينية – قضايا ومشكلات، سيزار فرناند ث مورينو، ج٢، ط١، ترجمة : احمد حسان عبد الواحد، مراجعة : د. شاكر مصطفى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت – ١٩٨٨ .

٣- الأعمال الشعرية، سعدي يوسف، ط١، دار الجمل، بيروت – بغداد ٢٠١٤ .

٤- الأعمال الشعرية، عبد الامير جرص، قدم الطبعة : حسين علي يونس، ط١، دار مخطوطات، السويد – ٢٠١٤ .

٥- الأعمال الشعرية، ياسين طه حافظ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ٢٠٠٠ .

٦- الأعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب، ط١، مطبعة الشعب، دمشق – ١٩٧٤ .

٧- الأعمال الشعرية الكاملة، كزار حنتوش، ط١، دار بنى الزهراء، ٢٠٠٧ .

٨- الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، ط١، الأوديسا، بيروت – ٢٠٠٧ .

٩- اقنعة النص – قراءات نقدية في الأدب، سعيد الغانمي، ط١، بغداد – ١٩٩١ .

١٠-أكثر من نشأة لواحد فحسب، عبد الرحمن طهمازي، ط١، دار الجمل، بغداد – بيروت ١٩٩٥ .

١١- بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، ط١، سراس للنشر، تونس – ١٩٨٥ .

١٢- تحولات اللغة في شعرية الحداثة – قصيدة النثر بلغت شيخوختها في شبابها، أ.د. محمد عبد المطلب، مجلة فلاديفيا الثقافية، ع ٥، عمان – ٢٠٠٩ .

١٣- التصوّف والفلسفة، ولترستيس، ترجمة وتقديم : أ. د. امام عبد الفتاح امام، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة – ١٩٩٩، ص١٩٦ .

١٤- حطب ابراهيم أو الجيل البدوي – جيل الثمانينات وأجيال الدولة العراقية، محمد مظلوم، ط١، ٢٠٠٧ .

١٥- دقات لا يبلغها الضوء، عبد الكريم كَاصد، ط١، دار الكنوز الأدبية، بيروت – ١٩٩٨ .

١٦- الديوان، عبد الوهاب البياتي، ط٣، دار العوجة، بيروت – ١٩٧٩ .

١٧- ديوان الحسين بن منصور الحلاج، تحقيق : عبده وازن، ط١، دار الجديد، بيروت – ٢٠١٢ .

١٨- ديوان - غزالة الصبا، كاظم الحجاج، ط١، دار الينابيع، دمشق – ١٩٩٩ .

١٩- الشعرية، تودوروف، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط٢، دار توبقال، المغرب – ١٩٩٠ .

٢٠- صاعداً حتى الينبوع، الأعمال الشعرية ١٩٦٠ – ١٩٧٤، فاضل العزاوي، ط٢، دار المدى، دمشق – ٢٠٠٣ .

٢١- الغابة والفصول – كتابات نقدية، طراد الكبيسي، ج١، ط١، دار الرشيد، بغداد – ١٩٩٧٩ .

٢٢- في الشعرية، كمال ابو ديب، ط١، مؤسسة الابحاث العربية ش. م. م.، بيروت – ١٩٨٧ .

٢٣- قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا، سوزان بيرنار، ترجمة : د. زهير مجيد مغامس، مراجعة: د. علي جواد الطاهر، ط١، دار المأمون للطباعة، بغداد – ١٩٩٣ .

٢٤- ليل واحد في كل المدن، سنان أنطوان، ط١، منشورات الجمل، بغداد – بيروت – ٢٠١٠ .

٢٥- مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب – دراسة نقدية وحوار، احلام يحيى، ط١، دار نينوى، دمشق – ٢٠٠٥ .

٢٦- الموجة الصاخبة – شعر الستينيات في العراق، سامي مهدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – ١٩٩٤ .

الدوريات

٢٧- قصيدة النثر في الأدب العربي، سعيد يونس دلو، مجلة أسفار، العراق، ع١٦، ١٩٩٣ .

٢٨- الشعر ولغة الحياة اليومية، جهاد فاضل، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة، ع ١٦٤٦٢، ٢٠ يوليو ٢٠١٣ .

SURAH IKHLAAS

الحمد لله
رب العالمين

السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النِّداء أنموذجًا)

:Productive Contexts in Compositional Discourse Vocative as a Selected Topic

أ.م.د. رحيم كريم علي الشريفي د. حسين علي هادي

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Assist.Prof. Dr. Rahim Karim Ali Sharifi and Dr. Hussein Ali Hadi

(College of Quranic Studies, Babylon University)

ملخص البحث

لا يخفى على المتدبر في النّص الأدبي أن الكلمة تحيا وتموت وتنمو في السياق الكلامي سواء أكان كتابيّا أم شفاهيًا، وتذبل وتموت إذا فصلت عن سياقاتِها؛ لذا تعدّدت دلالات الكلمة بلحاظ السياقات التي تعيش فيها، وتحيا وتنمو كذلك الخطابات الكلامية الخبرية والإنشائية، وتنوّع سياقاتها الإنتاجية والتوليدية بلحاظ السياقات المختلفة والمتنوعة.

وقد عكف البحث على اقتناص هذه السياقات في ضوء أسلوب النداء، وهو من الخطابات الإنشائية التي جمعت في الخطاب العربي بقولهم:

مُرْ وانه ثُمّ وسَلْ واعرض لحرصهم تمّنٍ وارجُ فذاك النّفي قد كمُلا

وجعل النّص العلويّ (نهج البلاغة) الأرض الخصبة لتفرّق سياقات هذا الأسلوب الإنشائي؛ لأنّه قد اضطّم على مواضعَ كثيرةٍ مما حدانا بأن نرقب هذه المواضع بمرقاب التأمل ومنظار التأمل لكشف السياقات الإنتاجية المتنوعة لهذا الأسلوب.

إنّ أهم قطاف هذا البحث، هي:

١- ظهر أنّ البلاغيين من أكثر علماء العربية تناولًا للمعاني المجازية لأسلوب النداء.

٢- إن مصطلح السياقات الإنتاجية والتوليدية أقرب إلى الواقع من مصطلح المعاني المجازية.

٣- إن الدلالة المطابقية للنداء هو التنبيه لا الدعاء الحضوري في ضوء الاستعمال، وانّ تقدير الفعل (أدعو أو أنادي) لا ينسجم مع الاستعمال الخطابي في اغلب الأحايين.

٤- كشف البحث عن سياقات إنتاجية توليدية متعددة لأسلوب النداء في نهج البلاغة، ويظهر أن التنوع الخطاب العلويّ كان له أثرٌ في تنوع هذه الدلالات.

والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخرًا، وصلّى الله على محمّد وآله.

Abstract

It is well known to the contemplators in literary texts that a word lives, dies and grows in context whether this context is written or spoken, and it becomes meaningless if separated from its context. So many meanings are given to the word depending on the contexts in which they used. Compositional informative speech discourse lives and grows according to the diversity of contexts. The search has captured these contexts in the light of the vocative technique which is one of the compositional discourses found in Arabic discourse.

The research has found in Imam Ali's text (Nahj al-Balagha) a fertile ground to differentiate between these compositional stylistic contexts, because it contains many ideas which motivate us to watch these topics carefully and uncover the miscellaneous generative contexts for this style.

The most important issues addressed by this research are:

١.it appeared that rhetoricians, more than any other Arab scholars,addressed the metaphorical meaning of the vocative

٢.the term generative and productive contexts is closer to reality than the figurative meanings.

٣.the identical meaning to vocative is the indication .

٤.the research has found out a variety of generative and productive contexts of vocative style in Nahj al-Balagha. The diversity of Alwi's discourse has an effect on the diversity of these mean-ings.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنتج الآيات البيّنات في أتمّ نَهْج، وأبهى بيان وصلّى الله على الخطيب بالقرآن محمد الخيرِ والرحمة، ومعدن البلاغة، وعلى آله أدلاّء الرشاد والهداية وعلى صحبه المخلصين.

أما بعدُ، فهذا بحث في الخطاب العلوي في ضوء مدونة (نهج البلاغة)، وبالتحديد في قسم من أقسام الكلام يوسم بالإنشاء وهو رهط من الكلام لا تُخبر به أنّك تفعل، ولكن به يقع أنّك توقع فعلاً وتُنْشئ عملاً، وقد حاز الخطاب الإنشائي في العقود الأخيرة من هذا القرن منزلة مركزية في الدرس اللساني اكتسبها مما ساد الكون من تبدلّ تبدّلت بمقتضاه علاقة الإنسان باللغة والكون، وتغيّرت سبل استعماله للّسان، إذ تبيّن قوة سلطته الإنشائية الإيجادية العمليّة التي لا تقلّ عن قوّة سائر العمل والإنشاء (١).

المطلب الأول : الخطاب الإنشائي (النداء)

لعلّ ممّا زاد في إغرائنا بدراسة السياقات الإنتاجية والتوليدية في الخطاب الإنشائي في المدونة العلوية المباركة بوصف هذا الخطاب كان متأصلاً في النظرية العربية التراثية عامة، وفي هذه المدوّنة خاصة بمنظار ومرقاب التأمل والتدبّر، يقول محمد الهادي الطرابلسي : «إذا كان الخبرُ يمثل اللغة في جانبها القارّ، فإنّ الإنشاء يمثّلها في جانبها المتحرّك، فالأساليب الإنشائية (...) أبرز مظاهر اللغة التي تعربُ عن حيويّتها» (٢).

ويبدو أنَّ هذه الحيويّة والفاعلية للخطاب الإنشائي قد تنبّه عليها القدماء من علماء العربية قال ابن هشام الأنصاري : «إنَّ الإنشاء إيقاعٌ» (٣)، وحينما ذكروا الضوابط الرئيسة التي على أساسها قسّمت الجملة العربية قسمين جملة خبرية، وجملة إنشائية، فالأولى ما تحتمل الصدق والكذب لذاتها، وكونها تعبر عن حكاية، بخلاف الثانية التي لا تحتمل هذا الفَهْم، فهي تُعبّر عن أمر نفسي بقصد تحقّقه وثبوته (٤)، فقائل الخبر يوصف بالصادق أو الكاذب لتحقق مدلوله في الخارج بعكس الإنشاء الذي لا يحقّق مدلوله في الخارج، وهذا ما عرف عن النسبة الثابتة في الخبر، وعدمها في الإنشاء، قال أبو القاسم الخوئي : «فالجملة الخبرية موضوعة للدلالة على قصد الحكاية والإخبار عن الثبوت أو النفي في الواقع، والجملة الإنشائية موضوعة لإبراز أمر نفساني غير قصد الحكاية، ولم توضع لإيجاد المعنى في الخارج» (٥)، وقد فَطَن مصطفى جمال الدين إلى أنّ الجملة الإنشائية لا تكشف عن حقيقة ثابتة في نفسها قبل التلفظ بالجملة، فجملة (اكتبِ الدرسَ) لا تكشف عن هذه الحقيقة، أي أنَّ (طلب كتابة الدرس من المخاطَب) وهو حقيقة

هذه الجملة، إنّما ينشأ ويوجد باللفظ نفسه ؛ لذلك لا يوصف الإنشاء بكونه صادقاً أو كاذبا (٦)، فضلاً عن ذلك فإنَّ الإنشاء يمثل حالات نفسيّة ووجدانية محسوسة في النفس تختلف في معانيها ومدلولاتها، ولا ربط لها بمجرد الاحتمال. ومن الجدير بالذكر فإنّه على الرغم من شيوع الخبر في الكلام العربي، فإنَّ الخطاب الإنشائي يظلّ محطّ عناية أصحاب البيان العرب ؛ لأن الاهتمام بالمتلقي (السامع) ضرورة في عملية تشكيل الخطاب، فمفهوم الخطاب مؤسّس على عملية الفهم والإفهام، وتتبيّن مدى قوة اللحمة بين الفهم والخطاب، ومن هنا فالخطاب يمثل مجموعة من القيم الدلالية المندرجة في سياق معين، قصد به مبدعه إفهام المتلقّي سواءٌ أكانت هذه القيم إشارة أم علامة، أم لفظاً (٧).

وقد تنبّه الدكتور طه جابر العلواني إلى أن الخطابات الإنشائية (الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والرجاء، والتمني، والنفي، والحصر، والتعريض) كلّها من الصيغ التي نظر إليها الأصولي والفقيه وغيرهما من أصحاب البيان، بخلاف الآيات التي سيقت مساق الأخبار فقليل جدّاً ما ينظر فيها بوصفها مصدراً للاستنباط أو الاستنتاج، فقلّما نجد من الأصوليين من نظر إلى كيفية الإفادة منها، ومدار التعامل يكون في الأوامر والنواهي إذ بيّنوا لنا قواعد ممتازة، أما ما يتعلق بالآيات أو العبارات التي نسميها الوصفية أو الإخبارية، فلا نجد مثل هذه القواعد، أو مثل هذا التنظير (٨).

ولمّا كان النداء يمثل خطاباً إنشائياً إيجابياً ذات حركة وفاعلية وقصدية مؤثّرة لاسيما في الخطاب العلوي (نهج البلاغة)، ارتأينا أنْ نقوم بمكاشفته، وتبين أهم السياقات الإنتاجية والتوليدية التي ولّدتها بنية النداء، التي تمثل في بعض عباراتها لغة الحوار ولغة الحياة، فأين نحن من عبارات : يا حبيبي، يا قاسي القلب، يا بُنيّ، يا قرة عيني، وغيرها.

دَلالةُ النِّداء :

في ضوء تناوش لفظ (نداء) ممّا وقع في أيدينا من كتب اللغة نجد أنها من (نَدَا)، أو (نَدَي) بحسب الدلالة، ومن (ندا) بحسب الاشتقاق، وذكر ابن فارس الأصلين، «النون والدال والحرف المعتل يدلُّ على تجمُّعٍ، وقد يدلُّ على بللٍ في الشيء، فالأول النادي والنّدِيّ : المجلس يَنْدُو القومُ حوالَيْه، وإذا تفرّقوا فليس بنديّ، ومنه دار النَّدْوَة بمكة ؛ لأنَّهم كانوا يَنْدُون فيها، أي يجتمعون (...) والأصل الآخر النَّدَى من البلل معروف يقال : ندى وأنداء، وجاء أَنْدِية وهي شاذة (...) ومن الباب نَدَى الصوت : بُعْدُ مذهبه، وهو أنْدَى صوتاً منه، أي أبعد» (٩).

وقال الزمخشريّ : «جلس في نادي قومه ونَدِيِّهم ونَدْوَتهم ومُنْتَدَاهم (...) وانْتَدَوْا وتَنَادَوْا : تجالسوا، وناديتهم جالستهم (...) وهو أنْدَى صَوْتاً منك، ونَدِيَ صوتُهُ، وهو نَدِيُّ الصوت»، (١٠) ونلمس التفكير اللغوي حاضراً في تناوش هذه المادة عند الفيُّومي، «ونَدَا القوم نُدُواً من باب قتل: اجتمعوا، ومنه النادي وهو مجلس القوم ومتحدَّثُهُم، والنَّدِيّ مثقل والمنتدى مثله، ولا يقال فيه ذلك إلاَّ والقوم مجتمعون فيه،

فإذا تفرّقوا زال عنه هذه الأسماء والنَّدْوة المرّة من الفعل (...) والنَّدَى أصْلُه المطر وهو مقصور يطلق لمعانٍ يُقال : أصابه نَدَى من طَلٍّ، ومن عَرَق، ونَدَى الخير، ونَدَى الشرّ، وندى الصوت، وفلان أندى من فلان أي : أكثر فضلاً وخيراً، والنداء الدعاء، وكسر النون أكثر من ضمّها، والمدُّ فيهما أمثر من القصر» (١١)، ويرى الراغب الأصفهاني أنَّ الأصل الحسّي لـ (النداء) من النَّدَى، «وأصل النداء من النَّدَى، أي الرطوبة، يقال : صوتٌ نَدِيٌّ رفيع، واستعارة النداء للصوت من حيث إنَّ من يَكْثُرُ رطوبةُ فمِهِ حَسُنَ كلامُه، ولهذا يوصفُ الفصيح بكثرة الرِّيق» (١٢).

وفي ضوء تضافر دلالات (التجمع، والبَلَل، ورفع الصوت) نحصل على دلالة – نحسبها مطابقة للنداء – التحاوُر ودعاءُ بعض لبعضٍ مما يتطلب الانتباه والإصغاء، فالحركية والواقعية، وعدم الثبوت والجمود حاصلة بلحاظ هذه الدلالات.

الفرق اللغوي بين النداء والدعاء :

تنبّه اللغويون على الفرق اللغوي بين النداء والدعاء، وقد أصاب أبو هلال العسكري في اقتناص الفرق بين اللفظتين إلاَّ أنه وَهِم في تعليله، «فالنداء : هو رفع الصوت بما له معنى، والعربي يقول لصاحبه نادِ معي ليكون ذلك أنْدى لصوتنا، أي : أبعدُ له، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال : دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال : ناديته في نفسي» (١٣)، ويبدو أن إغفال المجال التداولي الذي تعيش فيه هاتان اللفظتان في ضوء الأداء البياني القرآني قادته إلى هذا التعليل، ففي قوله تعالى : كهيعص ۝ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا۝ (مريم / ١ – ٣)، ف (زكريا) (ع) يناجي ربّه بعيداً عن أعين الناس بعيداً عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لربّه، ويناديه من قرب واتّصال، فضْلاً عن ذلك عند نداء الربّ في النظم القرآني نجد أن حرف النداء قد طُوي، قال تعالى :

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا(آل عمران / ٨)، وقوله تعالى : رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ (البقرة / ٢٦٠) وغيرها من الآيات المباركات، وقد وردت اللفظتان مجتمعتين في قوله تعالى : وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً (البقرة / ١٧١).

وعلّلَ الزمخشري كثرة النداء في كتاب اللهِ بـ (يا أيها) ؛ «لاستقلاله بأوجهٍ من التأكيد والمبالغة ؛ لأن كلّ ما نادَى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده، ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتاب أمور عظام وخطوبٌ جسام ومعان عليهم أنْ يتيقّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أنْ يُنَادوا بالآكد الأبلغ» (١٤)، ومن هنا يعدّ النداء فنّاً من فنون الإبداع في الفهم والتخاطب، وقد شرّف الله (عز وجل) النداء عندما جعلهُ واسطة بينه (عز وجل) وبين رسله وأنبيائه وعباده الصالحين، وهو من الطاقات التعبيرية من أجل شدّ المتلقي وإثارته والتواصل معه.

المطلب الثاني : إيقاع النداء في الخطاب الإنشائي :

يظهر أن للنداء علاقة متينة بمفهوم الإنشاء بوصفه مفهوماً يتجاوز مجاله الأعمال الطلبيّة ويختلف عنها بوجه من الوجوه ؛ بسبب تضمّن النداء دلالة التنبيه والإصغاء من جهة، ودلالة إقبال المخاطب ودعوته من جهة أخرى، وقد تنبّه سيبويه على هذه الحقيقة من قبلُ في ضوء تحليله النحوي للتراكيب والخطابات المتنوعة، قال في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهارُه في غير الأمر والنهي : «وممّا ينتصبُ في غير الأمر والنهي على الفعل المتروك إظهاره قولك يا عبدَ الله، والنِّداء كلُّه، وأما يا زيدُ فله علّة ستراها في باب النداء (...) حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام وصار (يا) بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال : يا أريدُ عبدَ الله، ومما يدُلك على أنه ينتصب على الفعل، وأنَّ (يا) صارت بدلاً من اللفظ بالفعل قول العرب : يا إيّاك، إنما قُلْتَ : يا إيّاك أعْنِي ولكنهم حذفوا الفعل وصار (يَا وأيا وأيْ) بدلاً من اللفظ بالفعل» (١٥)، وقال في موضع آخر مبيّناً دلالة التنبيه في «باب الحروف التي ينبّه بها المدعو (...) فينبّه بخمسة أشياء بـ (يا، وأيا، وهَيَا، وأيْ، وبالألف، نحو قولك أحارِ بنَ عمرٍو، إلاّ أنَّ الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أنْ يمدّوا أصواتهم للشيء المتراضي عنهم، أو للإنسان المُعْرض عنهم الذي يُرَوْن أنه لا يُقْبل عليهم إلاّ باجتهاد، أو النائم المستثقل» (١٦)، وقال أيضاً منبّهاً على أن النداء فردٌ خاصٌ من بين أمّة خطابيّة إنشائية، «لكنه اختص كما أنَّ المنادى مختصٌّ من بين أُمّته لأمرك، أو نهيك، أو خبرك، فالاختصاص أجرى هذا على حرف النداء» (١٧).

إنَّ التدبّر في النصوص التي سقناها تبيّن رؤية سيبويه في تحليل بنية النداء، وبمرقاب الفحص والتدبر نجده يشير إلى نكات ثلاث، الأولى : أنَّ العامل في المنادى النصب ليس فعلاً نابت عنه (الياء) حرف التنبيه، وإنّما هو فعل مضمر بعد حرف النداء فكأنَّ الأصل عنده هو : يا (أدعو) عبد الله، فحذف الفعل حذفاً لازماً لكثرة الاستعمال، ولدلالة حرف النداء عليه وإفادته فائدة (١٨)، الثانية : إطلاق أحرف التنبيه على أحرف النداء، وتسمية المنادي المنبّه ؛ لاستشعاره أنَّ النداء في أصله هو تنبيه، فضلاً عن ذلك تصوّره الواضح عن معدل التزمين في الكلام، أو الكم الزمني أو الأوقات التي تستغرقها أعضاء النطق في نطق هذه الأحرف التي تشكل بنية الخطاب الندائي، الثالثة : إنَّ النداء نظم بياني مستقل، وخاص له اختصاص من بين أمّة الخطابات الإنشائية كالأمر، والنهي، والاستفهام، مكرّراً عبارة كثرة استعمال النداء في كلام العرب.

ولم يرتضِ النحويون تحليل عمل النداء عند سيبويه، لاسيّما تأويل بنيته النحوية، قال المبرِّد : «اعلم أنَّك إذا دعوت مضافاً نصبته وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره، وذلك قولك: يا عبد الله ؛ لأن (يا) بدل من قولك : أدعو عبدَ الله، وأريد، لا أنّك تُخْبر أنَّك تفعلُ ولكن بها وقع أنَّك قد أوْقعت فعلاً، فإذا قُلْت : يا عبدَ الله، فقد وقع دعاؤك بعبد الله، فانتصب على أنه مفعول تعدّى إليه فعلك» (١٩)،

ومجمل القول : إنّنا بإزاء تأويلين للبنيّة النحوية للنداء، (يا أدعو عبدَ الله) وهي تأويل سيبويه، و (أدعو عبدَ الله) وهي تأويل المبرّد ومَنْ تابعه من النحويين، ويرى الباحثان : أن الإيقاع حاصل في كلا التأويلين، إلاَّ أن الإيقاع بحسب رأي المبرِّد هو إيقاع فعلي مباشر، بخلاف إيقاع سيبويه الذي يفسّر أنّه إيقاع غير مباشر من باب الإخبار، والذي يبدو كذلك أنْ تقدير الفعل (أدعو) أو (أنادي) أو أعْني لا مبرِّر له، ولاسيّما أن سيبويهِ قد تنبّه على أنَّ النداء هو تنبيه، والمنادَى هو منبّه، فتقدير الفعل (أنبّه) هو الأوفق للسياق، والأنسب لنظم الكلام.

ومن الجدير بالذكر أنَّ النداء في اللغة لم يقف عند نداء الحيّ العاقل بل تجاوزه فنوديت الطيور والحيوانات والجمادات ومشاهد الطبيعة وأحوال النفس، ونوديت الناقة والثور والأرض والجبال والسماء والفيافي والقبور والأطلال والديار والشمس والسحاب والبرق، ونوديت الحسرة والويل واللذة والبشرى والعجب والتمني والحبّ والبغض، وغير ذلك من أحوال النفس ووراء تلك النداءات التي توجّه لغير العاقل الحي أغراض ومقاصد بلاغيّة ؛ لأنه لا يراد بها طلب الإقبال الذي هو معنى النداء (٢٠).

النداء في نهج البلاغة :

إنَّ النداء يمثل صورة لافتة، وأمراً مفيداً في دعم فكرة إنتاج النص، وهو سمة واضحة من سمات الخطاب العلويّ، وظاهرة جديرة بالدرس والفحص من جهة التكرار، ونسب الورود العالية زد على ذلك التنوع في المواقف والأداء والمستويات ثباتاً وعدولاً عن القوالب الموروثة.

وقد اضطمّ النصّ العلوي على هذا الخطاب الإنشائي الندائي التنبيهي بلحاظ مشتقات مادة (ن د ي ، ن د و) من جهة، وبلحاظ الأسلوب النمطي (البنية القياسية) حرف النداء والمنادى، سواء ورد هذا الأسلوب بحرف النداء مذكوراً على مستوى السطح أو مضمراً على مستوى العمق، في مئة وخمس وسبعين مرة – فيما أحصيتُ – وجاء بحرف النداء (يا) ما خلا موضعين جاءا بحرف النداء للقريب (أيْ) (٢١).

المطلب الثالث : السياقات الإنتاجية للنداء في النصّ العلوي

لا يخفى على المتدبّر في النصّ الأدبي أنَّ الكلمة تحيى وتنمو في السياقات الكلامي سواء أكان كتابياً أم شفاهياً، وتذبل وتموت إذا فصلت عن سياقاتها، لذا تعدّدت دلالات الكلمات بلحاظ السياقات التي تعيش فيها، وتحيى وتنمو كذلك الخطابات الكلامية سواءٌ أكانت خبرية أو إنشائية، وتتنوع دلالاتها الإنتاجية والتوليدية بلحاظ السياقات المختلفة والمتنوعة.

إنّ السياقات الإنتاجية والتوليدية في عربيتنا تمثل معلماً من معالم الأمن اللغوي، ومظهراً من مظاهر حيوية اللغة ومسايرتها للواقع الخارجي، فهي تضفي روحاً متجدّدة للخطابات المتعدّدة، وتبعد عنها الجمود والثبات.

لقد كانت جهود العرب – كما قُلنا من قبلُ – مخلصة وواضحة في الحديث والتوسيع في بيان مفهوم الخطاب الإنشائي، والخطاب الإخباري، ولاسيما

الخطاب الندائي في ضوء تعريفه، وتحديد أدواته، وما لاحظوه من خروجه عن معناه الحقيقي لمعان أخر تفهم من السياق.

إنَّ التنوع في المواقف والأداء والمستويات الخطابية يولّد سياقات إنتاجية وتوليدية، وهي ما اصطلح عليها البلاغيون (المعاني المجازية)، يقول الدكتور محمد عبد المطلب – وهو بصدد الحديث عن سياقات النداء – : «ويلاحظ البلاغيون أنَّ هذه الأدوات تتبادل السياقات فيما بينها، على معنى أنَّ القريب قد ينزل منزلة البعيد، والبعيد ينزل منزلة القريب تبعاً للهوامش المصاحبة كما يلاحظون على نحو ملاحظاتهم على البنى السابقة، إنَّ أدبية النداء تتأتّى عند تخلّصه من (أصل المعنى) ليولّد إنتاجيّة بديلة، سواء أكان التوليد على مستوى السياق، أو على مستوى الصيغة ذاتها» (٢٢).

إنَّ اهتمام البلاغيين بدراسة البنية الندائية يعود – كما يرى الدكتور محمد عبد المطلب– إلى ما لاحظوه فيها من إمكانات توليدية، وليس ضرورياً أنْ يكون (الإنتاج والتوليد) الذي لاحظوه هو بعينه الذي يقول به أصحاب النحو التوليدي لكنه قريبٌ منه، ويأخذ شكله المزدوج بين السطح والعمق، ومَنْ يتابع السكّاكي في حديثه عن الإنشائي الطلبي يجد مواجهة مباشرة للرجل مع الإحساس بتوليديَّتِهِ عندما طرح (أصل المعنى)، وما يتولّد عنه من دلالات سياقيّة لا يمكن أنْ تتحقّق إلاَّ بتجاوز الأصل أولاً، وتقدير مستوى عميق ثانياً، وحضور الهوامش الإضافية المصاحبة ثالثاً (٢٣).

ولما كان الخطاب العلوي يمثل الأرض الخصبة لتفرّق سياقات هذا الأسلوب الإنشائي (النداء) وتنوعها ؛ لأنّه اضطمّ على مواضع كثيرة، ارتأينا أنْ نرقب هذه المواضع كاشفين عن أهم السياقات الإنتاجية التي تولّد عنه.

وعود على بَدء فقد جاء نداء العاقل في النص العلوي في المواضع كلّها ما خلا خمسة مواضع، قوله (ع) : «يا خيبة الداعي» (٢٤)، «فيا عجباً» (٢٥)، «يا كوفة» (٢٦)، «أيها الشاهدة أبدانُهُمُ» (٢٧)، «أيّتُها النفوس المختلفة» (٢٨).

وهذه النداءات لغير العاقل لها أغراض ومقاصد وسياقات بلاغية، فلا يراد منها التنبيه فحسب الذي هو معنى النداء الأصلي، وهو طلب الامتثال حسّاً أو معنى)، فضلاً عن التنبيه (٢٩).

وقد وردت لفظة (النداء) نصّاً في الخطاب العلوي، قال في كلام له (ع) في التحكيم يوم صفين : «أفٍّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيْتُ مِنْكُمْ بَرَحاً يَوْماً أُنَديكُمْ ويوم أُناجِيْكُمْ فَلاَ أَحْرَارٌ عِنْدَ النِّداء، ولا إِخْوَانُ ثقةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ» (٣٠)، فقد توجّه الخطاب إلى مَنْ لا يشارك المتكلم همومه وآلامه، فقد توقّفت بنية النداء عن إنتاج دلالتها الأصلية (الامتثال والتنبيه) إلى دلالة التحسّر والألم ؛ بسبب النكول والنكوص والتقهقر وعدم الاستجابة، وهي بنية عميقة ولدت هذا السياق الإنتاجي (سياق التحسر والألم)، ويظهر في ضوء النص الفرق بين المناداة والمناجاة، فالأولى تعني : التنبيه في الظاهر، وتقتضي البعد والقرب بحسب السياق بخلاف الثانية التي تدل على القرب بين المتكلّم والسامع والإفضاء

بالسرّ والخفاء بحيث لا يسمع الآخر، ومنها مناجاة الروح، وهو الأصل الثاني عند ابن فارس، «والأصل الآخر النَّجْو والنَّجْوى : السرُّ بين اثنين» (٣١)، ومن موارد مجيء بنية النداء بالفعل المضارع (أُنادي) قوله (ع) منادياً ضعاف الإرادة من جيشه الذين ركبهم الخَوَر والجبن، «أمَا دينٌ يَجْمَعُكُم ولا حَمِيّة تُحْمِشكم أقومُ فيكم مستصرخاً وأناديكم مُتَغَوِّثاً فلا تسمعون لي قَوْلاً ولا تطيعون لِي أمراً» (٣٢)، فنلمح السياق المتولّد والناتج من صيغة (أنادِيْكُم) بمنظار الموقف والحال، وهو سياق التحسر والاستغاثة، أي أتحسرُ وأتألم بسبب ضعفكم وتخاذلكم.

وآن الأوانُ أنْ نشرع في بيان أهم السياقات الإنتاجية والتوليدية التي خرجت عنها بنية النداء.

أولاً : سياق الأمر

وينتجُ هذا السياق إذا سبق النداء أو وليه أمرٌ، ويكون من الأمور المهمة ذات البال، التي تستدعي انتباهاً من المخاطب، ولهذا سبقت بالنداء تهيئة وإيقاظاً للمخاطب ؛ لكي يصغي إليها فيقف عليها، ويدرك المراد منها، قال (ع) : «أيُّها الناسُ شُقُّوا أمواج الفِتَن بِسُفُنِ النجاة، وعرِّجوا عن طريق المنافرة وضَعُوا عَنْ تيجانِ المُفَاخرة» (٣٣)، وقوله (ع) : «فاتّقوا اللهَ عبادَ اللهِ وفِرُّوا إلى الله مِن الله» (٣٤)، وقوله (ع) : «أيُّها الناسُ، أعِيْنُوني عَلَى أنْفُسِكم»(٣٥)، وقوله (ع) : «أوصيكم عباد اللهِ بتقوى الله» (٣٦)، ولا يخفى على المتأمّل أنَّ النصوص المسوقة جاءت مضمرة أحرف النداء، لعظمة التنبيه والأمر، والأشعار بمنزلة هذه الأوامر، فأراد (ع) أن يصل إلى الغاية بأسرع طريق، وأقرب سبيل.

وتتعالى أدبية السياق الإنتاجي (الأمر) المشوب بالتحذير في عهده (ع) لـ (مالك الأشتر) : «ثمّ اعْلَمْ يا مالكُ أنّي قَدْ وجّهك إلى بلادٍ قَدْ جرت عَلَيها دُوَلٌ قَبْلَك من عدلٍ وجورٍ، وإنَّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تَنْظُرُ فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فِيْهم» (٣٧).

فالإمام (ع) أمر مالكاً منبّهاً ومحذّراً أن سيرة الحاكم والوالي بما لها من التعلق إلى عموم الناس تنعكس في التاريخ، وتلهج بها الألسن (٣٨).

ثانياً : سياق النهي

يتولّد هذا السياق إذا وَلي النداء نهيٌ، ويكون في الأمور التي تتطلبُ تهيئة وإيقاظاً لترك الأمر، ومنعه للمخاطب، ويلاحظ البلاغيون أنَّ هذا السياق : «يستدعي حضور حالة شعوريّة وذهنية تبدأ فاعليّتها من منطقة (الإثبات) ؛ لأن (الكفّ) فعل يحصل بشغل النفس بضدّ المنهي عنه» (٣٩).

إنَّ دخول بنية النداء إلى أدبية الخطاب، يقتضي تخلّصها من ملازمة الامتثال، والتنبيه، وهو ما يدفَع بها إلى سياقات إنتاجية عميقة وبعيدة عن أصل المعنى لتمارس إنتاج دلالة النهي مثلاً، ونلمحُ هذا السياقي الإنتاجي في قوله (ع) : «أيُّها الناسُ لا يَجْرِمَنَّكم شِقَاقي، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم عِصْيَاني، ولا تترامَوْا بالأبصار عِنْدما تَسْمَعُونَه منّي» (٤٠)، أي : لا تشاقّوني فيكسبكم الشقاق خسراناً، ولا تعصوني فيتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة، ولا يخفى النهي المشوب بالتحذير، ومغبة شق العصا وعاقبته،

وعدم إتباع الإمام.

وفي قوله (ع) : «يا عبدَ اللهِ، لا تَعْجَلْ في عيبِ أحدٍ بذنْبه، فلعلّه مغفورٌ له، ولا تَأمَنْ على نفسِك صغيرَ معصيةٍ فلعلَّك مُعَذَّبٌ عَلَيْه» (٤١)، فسياق النهي المشوب بالتحذير حاضرٌ، وموجّه إلى المتلقّي لحثه على عدم لزوم العجلة في ذكر عيب الآخرين فربّما يغفر له، وعدم لزوم الاطمئنان والأمان على صغير المعاصي فربّما تعذّب عليه.

ثالثاً : سياق الإهانة والتحقير

وهو يرتدّ إلى المتلقّي الداخلي، أو المباشر من جهة أنْ يكون المقصود تصغير شأنه، وقلة المبالاة به، ويلاحظ أنَّ المعنى الأصلي لا يتحقّق في المأمور به، وإنّ النداء يتحوّل من دّلالته الأصلية إلى سياق إنتاجي كقوله (ع): «يا أشباهَ الرِّجالِ ولا رِجال حُلُوم الأطْفَال وعُقُول رَبَّات الحِجال، لَوَدِدْتُ أنّي لَمْ أرَكم ولَمْ أعْرِفْكُمْ» (٤٢)، وفي قوله (ع) : «يا أشْبَاهَ الإبلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُها كلّما جُمِعَتْ مِنْ جانبٍ تَفَرَّقَتْ مِن جانب آخَر» (٤٣)، شبّه (ع) تفرّقهم وخروجهم عن الجماعة بتفرّق الإبل التي غاب عنها الراعي تجمع من جانبٍ، وتتفرّق من جانب آخر، فأنتم مهانون أذلاّء لا تجتمعون، فالفرقة والخلاف ديدنكم وطبعكم.

ونجد هذا السياق حاضراً بوصفه منطبقاً على أشخاص، ذكرهم الإمام (ع)، كتحقيره المغيرة بن الأخنس، «يا ابنَ اللعينِ الأبْتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تَكْفيني ؟ واللهِ ما أعزّ اللهُ من أنت ناصره، ولا قام مَنْ أنت مُنْهِضُهُ، اخْرُجْ عَنّا أبْعَدَ اللهُ نَوَاك، ثم أبْلِغْ جُهْدَك فَلاَ أبْقَى اللهُ عليك إن أبْقَيْتَ» (٤٤)، وتحقيره (ع) أحد شعراء الخوارج (البُرْج بن مِسْهَر الطائيّ)، وقد سمعه (ع) يقول : لا حُكمَ إلاَّ لله : «اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يا أثْرَمُ، فواللهِ لَقَدْ ظهر الحقُّ فَكُنْتَ فيه ضئيلاً شَخْصُكَ، خفيّاً صَوْتُك حتّى إذا نَعَر الباطِلُ نَجَمْتَ نُجُومُ قَرْن الماعز» (٤٥).

رابعاً : سياق التخصيص

وهذا السياق الإنتاجي يرتدّ إلى السياق الداخلي، أو إلى التشكيل الصِّياغي ذاته، إذ يحضُر (ضمير) يتبعه اسم ظاهر مسند إليه حكم يقصد به التخصيص، فتتحقّق صورة النداء، لكن ليس هناك نداء (٤٦).

وهذا السياق الإنتاجي (التخصيص) يتشظّى إلى دلالات عميقة منها العدل، والفخر، ومحاسبة النفس، والدراية، كقوله (ع) : «أيُّها الناسُ إنَّ لي عليكم حقّاً، ولكم عَليَّ حَقٌّ فأمّا حَقُّكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئِكم عليكم وتعليمُكم كيلا تَجْهَلُوا، وتأدِيْبُكم كَيْمَا تَعْلَمُوا، وأمّا حَقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمَغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمُرُكُمْ» (٤٧)، فسياق العدل يؤول إلى (أنا المخصوص أيُّها الناس بالعدل فعليكم بالعدل).

والفخر كقوله (ع) : «أيُّها الناسُ سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني فَلَأنا بِطُرُق السَّمَاء أعْلم مِنّي بطرق الأرض» (٤٨)، والمعنى : أنا المخصوص بالعلم فيرجع إلى الحائِر.

ويتعالى الفخر، وصيحات العظمة، وهتافات المنزلة الرفيعة في قوله (ع) : «أيُّها الناس خُذُوها عن خاتَمِ النبيِّين صلى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّم إنّه يموتُ مَنْ مات مِنّا ولَيْسَ بميّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِي مِنّا وليس

ببالٍ فلا تقولوا بما لا تعرفون» (٤٩).

ومحاسبة النفس كقوله (ع) : «أيُّها الناسُ، إنّي واللهِ ما أحُثُّكم على طاعةٍ إلاّ وأسْبَقُكُمْ إليها، ولا أنْهَاكم عن معصيةٍ إلاّ وأتَنَاهَى قَبْلَكم عَنْها» (٥٠)، فالسياق الإنتاجي (التخصيص) أفاد التواضع، والمعنى : عليَّ أنا المخصوص بالاختبار ومحاسبة النفس أطْلُب الموعظة والتدبّر، والدراية بالأمور والإحاطة، كقوله (ع) بعدما بُويع بالخلافة وقد قال قومٌ مِنَ الصحابة : لو عاقبت قوماً مِمّن أجْلَبَ على عثمانَ ؟ «يا إخْوَتاهُ إنّي لَسْتُ أجْهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوةٍ والقومُ المُجْلِبَون على حدِّ شَوْكَتِهِم، يَمْلِكُونَنَا ولا نَمْلِكُهُمْ» (٥١)، والمعنى : أنا المخصوص بالدراية والإحاطة اصْغُوا إليَّ.

خامساً : سياق الدعاء

ويرتدّ سياقه إلى المتكلم الذي يوجّه النداء على حال التضرّع والخضوع، كما يرتدّ إلى المتلقّي المباشر، إذ يكون هو الأعلى مطلقاً، أو بالنسبة للمتكلّم (٥٢).

وفي ضوء تتبع المواضع في النص العلويّ نجد أنَّ الإمام (ع) استعمل تعبير (اللّهمَّ) في الأعمّ الأغلب في الدعاء لنفسه، إذ الأصل (يا الله) فحذف حرف النداء (يا) وعوض عنه بالميم المشدّدة (٥٣)، ويلحظ أنَّ سياق النداء الإنتاجي يتشظى إلى دلالات ترتدّ إلى العمق منها التعظيم للمخاطَب، والحزن والألم، والاستكانة والخضوع.

فدلالة التعظيم كقوله (ع) : «اللّهُمَّ داحِي المَدْحُوَّات ودَاعِمُ المَسْمُوْكات، وجابِلَ القلوبَ على فِطرَتِها شَقِيِّها وسَعِيْدِها» (٥٤)، وهذا النداء يُنْبئ بخضوع الداعي، ويشعر بشدة قربه من الله (ع) ؛ لأنَّه مالك السموات والأرض، وكقوله (ع) : «اللّهُمَّ أنْتَ أهْلُ الوَصْفِ الجَمِيْلِ والتَّعْدَاد الكثير، إنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ، وإنْ تُرْجَ فَأكْرَمُ مَرْجُوٍّ» (٥٥).

ودلالة الحزن والألم، حينما يقوم النداء بقصدية الإبلاغ بسوء الحال، وقلة الرجاء، وإعلان الإحباط، فتتعالى صَرَخات الاستجارة، وهتافات الرجاء بالرحمن الرحيم، قال الإمام (ع) حينما تواترت الأخبار عليه باستيلاء بُسْر بن أبي أرْطَأة على اليمن بأمرٍ من معاوية، وتخاذُل عامليه، وتجابُن الجيش : «اللّهُمَّ، إنّي قد مَلِلْتُهُمْ ومَلُّوني، وسَئِمْتُهُم وسَئِمُوْني فَابْدِلْني بهم خيراً منهم، وَأبْدِلْهُم بي شرّاً منّي، اللهُمّ مِثْ قُلُوبهم كَمَا يُمَاث المِلْح في الماءِ» (٥٦)، وكقوله في طلحة والزبير: «اللّهُمَّ إنّهما قَطَعَاني وظَلَمَاني ونَكَثَا بَيْعَتي، وألَّبَا الناسَ عليَّ، فاحْلُلْ ما عقدا ولا تُحْكم لهما ما أبْرَما، وأرِهِما المَسَاءَة فيما أمَّلا وعَمِلا» (٥٧).

ودلالة الاستكانة والخضوع، فيقوم النداء بعملية بثّ الأشجان، وتفجير آهات النفس الصادقة الارتباط، بالخالق العظيم كَهْف الحزين، وملاذ الخائفين، كقوله (ع) : «اللّهُمَّ، إنَّكَ آنَسُ الآنِسِيْنَ لأوليائك، وأحْضَرُهُم بالكِفاية للمُتَوَكِّلين عليك تُشَاهِدُهُم في سَرَائِرهم، وتَطَّلِعُ عليهم في ضمائرهم وتَعْلَم مَبْلَغ بصائرهم، (...) اللّهُمّ إن فَهِمْتُ عن مَسْأَلَتي، أو عَمِيْتُ عَنْ طِلْبَتي فَدُلّني على مصالحي، وخُذ بقلبي إلى مَرَاشدي» (٥٨).

سادساً : سياق الإغراء

وهو سياق يتوجّه إلى المتلقّي ؛ لحثه على لزوم شيءٍ بعينه، لكن الغالب أنْ يستحضر هذا السياق المتكلّم أيضاً، ويستحضر معه الهوامش المصاحبة (٥٩). وهو «يدلّ على الإعجاب، والعَجَب لحسن الشيء (...) ومنه أغْرَيْتُه بالشيء الذي تُلْصَقُ به الأشياء» (٦٠)، كقوله (ع) : «أيُّها الناسُ إنّه لا يستغنى الرجلُ وإن كان ذا مالٍ عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألْسِنَتِهم» (٦١)، وكقوله (ع) لأبي ذر (رضي الله عنه) لمّا خرج إلى الرَّبذة : «يا أبا ذرٍّ، إنّك غَضِبْتَ لله فارْجُو مَنْ غَضِبْتَ له» (٦٢).

ونلمح السياق الإنتاجي واضحاً في نداء ابنه الحسن (عليهما السلام) مستعملاً حرفي النداء (أيْ) تارة، و (يَا) تارة أخرى إغراءً له ولفتاً إلى تلك الأمور المهمة ؛ من أجل الإجابة والامتثال، تأمل قوله (ع) : «أيْ بُنَيَّ، إنّي لَمّا رَأيْتُني قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، ورَأيْتُني أزداد وَهْناً بادَرْتُ بوَصِيّتي إليك» (٦٣)، وقوله (ع) : «أيْ بُنَيَ، إنّي وإنْ لم أكن عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كان قبلي فَقَدْ نَظَرْتُ في أعمالهم، وفَكّرْت في أخْبَارهم، وسِرْتُ في آثارهم حتّى عُدْتُ كأحَدِهم» (٦٤)، ففي هذين النصّين استعمل الإمام (ع) حرف النداء (أيْ) وهو للقريب تنبيهاً لابنه (ع)، وإغراءً له، لينبئ بقرب منزلة الابن من الأب، وسموّ مكانته.

ومما جاء بحرف النداء (يا) للدلالة على سياق الإغراء، قوله (ع) : «واعلم يا بُنيّ، أنَّ أحبَّ ما أنْتَ آخِذٌ به إليّ مِن وصيّتي تقوى اللهِ، والاقتصار على ما فَرَضَه اللهُ عليك» (٦٥)، وقوله (ع) : «يا بُنيّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيْزَاناً فيما بينَك وبَيْنَ غيرك» (٦٦)، وقوله (ع) : «يا بُنيّ، أكْثِرْ مِن ذِكْر المَوْت وذِكْر ما تَهْجُمُ عليه، وتُفْضِي بَعْدَ الموت إليه» (٦٧)، فالإمام (ع) نادى ابنه – وهو قريبٌ منه – بحرف النداء (يا) للدلالة على عظم الأمر، لكنه عدل إلى نداء البعيد للدلالة على عظم الأمر، وإغراء ابنه للإتيان بهذه الأمور، والتمسك بها.

أهم قطاف البحث :

١- ظهر أنَّ الخطاب الإنشائي ذات حركية وفاعلية، وهو من مظاهر حيوية اللغة، وتجدّدها.

٢- تنبّه علماء العربية – في ضوء إشاراتهم – إلى فاعلية هذا الخطاب، وقد اهتمّ الأصوليون والفقهاء به لاسيما مبحث الأمر والنهي، فكثرت السياقات الإنتاجية في ضوء هذه الخطابات.

٣- إنَّ مصطلح السياقات الإنتاجية أو السياقات التوليدية هو أقرب للواقع من مصطلح المعاني هو أقرب للواقع من مصطلح المعاني المجازية.

٤- ظهر أنَّ الدلالة المطابقة للنداء هي التنبيه لا الدعاء الحضوري في ضوء الاستعمال، وأن تقدير الفعل (أدعو، أو أُنادي) لا ينسجم مع الاستعمال الخطابي التداولي في أغلب الأحايين.

٥- كشف البحث عن جملة من السياقات الإنتاجية والتوليدية لبنية النداء في (نهج البلاغة)، ويظهر أن التنوع الخطابي العلوي، وتعدّد الأداء، وكثرة المستويات البيانية كان لها الأثر في تنوع هذه السياقات التي تمثل دلالات متنوعة. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الهوامش

١- ينظر : الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداوليّة) : الدكتور خالد ميلاد : ١٥.

٢- خصائص الأسلوب في الشوقيّات : محمد الهادي الطرابلسي : ٣٤٩.

٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري : ١ / ١٠٠.

٤- ينظر : نهاية الإيجار في دراية الإعجاز : الرازي : ٧١، والإحكام في أصول الأحكام : الآمدي : ٢ / ٦٢، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٥٣٠، والمطوّل (شرح تلخيص المفتاح) : التفتازاني : ١٧٠ ، ٤٠٦.

٥- دراسات في علم الأصول (تقريرات أبي القاسم الخوئي) : على الهاشمي الشاهروردي : ١/ ١٧٩ – ١٨٠.

٦- ينظر : البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين : ٢٥٨.

٧- ينظر : فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة : صباح عيدان العبادي : ٢٥ – ٢٦.

٨- ينظر : نحو منهجية معرفية قرآنية (محاولات في بيان فوائد المنهج التوحيدي للمعرفة) : طه جابر العلواني : ٣٦٦.

٩- مقاييس اللغة : ابن فارس : (مادة ندي) : ٨٥٥.

١٠- أساس البلاغة : الزمخشري : ٢ (مادة ندى) : ٤٣٢ – ٤٣٣، وينظر، مختار الصحاح : الرازي : (مادة ندا) : ٦٥٣.

١١- المصباح المنير : الفيّومي : (مادة ندا) : ٣٨٩.

١٢- مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي : الراغب الأصفهاني : مادة (ندا) : ٧٠١.

١٣- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري : ٤٩ – ٥٠.

١٤- الكشاف : الزمخشري : ١ / ٨٥.

١٥- كتاب سيبويه : سيبويه : ١ / ١٧٤.

١٦- م . ن : ١ / ٣٨٠.

١٧- م . ن : ١ / ٣٨١.

١٨- ينظر الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة : ٢١٧.

١٩- المقتضب : المبرّد : ٥ / ٢٠٢.

٢٠- ينظر : من بلاغة النظم القرآني : بسيوني عبد الفتاح : ١٨٧ – ١٨٨.

٢١- ينظر : معاني الحروف : الرماني : ٨٠.

٢٢- البلاغة العربية (قراءة أخرى) : الدكتور محمد عبد المطلب : ٣٠٠.

٢٣- ينظر : م . ن : ٣٠٢.

٢٤- نهج البلاغة : الإمام علي (ع) : ١ / ٦٠.

٢٥- م . ن : ١ / ٦٩.

٢٦- م . ن : ١ / ٩٧.

٢٧- م . ن : ١ / ١٨٨.

٢٨- م . ن : ٢ / ١٣.

٢٩- ينظر : البلاغة العربية (قراءة أخرى) : ٢٩٩.

٣٠- نهج البلاغة : ٢ / ٦.

٣١- مقاييس اللغة : (مادة نجو) : ٨٥١، وينظر : مفردات الراغب الأصفهاني : (نجو) : ٦٩٧.

٣٢- نهج البلاغة : ١ / ٩٠.

٣٣- م . ن : ١ / ٤٠.

٣٤- م . ن : ١ / ٦٣.

٣٥- م . ن : ٢ / ١٩.

٣٦- م . ن : ٢ / ١٣٤.

٣٧- م . ن : ٣ / ٨٢.

٣٨- ينظر : مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله الخوئي : ٢٠ / ١٥٩.

٣٩- البلاغة العربية (قراءة أخرى) : ٢٩٧.

٤٠- نهج البلاغة : ١ / ١٩٤.

٤١- م . ن : ٢ / ٢٣.

٤٢- م . ن : ١ / ٧٠.

٤٣- م . ن : ١ / ١٨٩.

٤٤- م . ن : ٢ / ١٨.

٤٥- م . ن : ٢ / ١١٤ ــ ١١٥.

٤٦- ينظر : البلاغة العربية (قراءة أخرى) : ٣٠١.

٤٧- نهج البلاغة : ١ / ٨٤.

٤٨- م . ن : ٢ / ١٣٠.

٤٩- م . ن : ١ / ١٤٥.

٥٠- م . ن : ٢ / ٩٠.

٥١- م . ن : ٢ / ٨٠.

٥٢- ينظر : البلاغة العربية (قراءة أخرى) : ٢٩٦.

٥٣- ينظر : من بلاغة النظم القرآني : ١٩١.

٥٤- نهج البلاغة : ١ / ١٢٠.

٥٥- م . ن : ١ / ١٨٠.

٥٦- نهج البلاغة : ١ / ٦٥.

٥٧- م . ن : ٢ / ٢١.

٥٨- م . ن : ٢ / ٢٢١.

٥٩- ينظر : البلاغة العربية (قراءة أخرى) : ٣٠٠، لغة الحوار وحوار النصوص : السيد فضل : ٤٢ – ٤٣.

٦٠- مقاييس اللغة : (مادة غرو) : ٦٨٣.

٦١- نهج البلاغة : ١ / ٦٢.

٦٢- م . ن : ٢ / ١٢.

٦٣- م . ن : ٣ / ٤٠.

٦٤- م . ن : ٣ / ٤١.

٦٥- م . ن : ٣ / ٤٢.

٦٦- م . ن : ٣ / ٤٥.

٦٧- م . ن : ٣ / ٤٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـ)، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

٢- أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تقديم الدكتور محمود فهمي مجازي، سلسلة الذخائر، المؤسسة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٣م.

٣- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة (دراسة نحوية تداوليّة) : الدكتور خالد ميلاد، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤- البلاغة العربية (قراءة أخرى) : الدكتور محمد عبد المطلب، ط٢، مؤسسة لونجمان، مصر، ٢٠٠٧م.

٥- خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.

٦- دراسات في علم الأصول (تقريرات أبي القاسم الخوئي) : علي الهاشمي الشاهروردي، ط١، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، طهران، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م.

٧- الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) : يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق : محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن سهل العسكري (ت ٤٠٠هـ)، علق عليه محمد باسل عيون السود، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩- فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية) صباح عيدان حمود العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٠- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨)، تح : عبد الرزاق مهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٢- لغة الخطاب وحوار النصوص : السيد فضل، ط١، الهيأة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠١٠م.

١٣- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٤- المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، مراجعة عزت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان، مصر، ٢٠٠٨م.

١٥- المطوّل (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

١٦- معاني الحروف : أبو الحسن الرمّاني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل، ط٣، دار الشروق، جدّة – السعودية، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.
١٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
١٨- مفردات الراغب الأصفهاني (مع ملاحظات العاملي) : الراغب الأصفهاني
(ت ٤٢٥هـ)، دار المعروف، ١٤٣٢هـ.
١٩- مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٠- المقتضب : أبو العباس محمد المبرّد (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣.
٢١- من بلاغة النظم القرآني (دراسة بلاغية تحليلية) : بسيوني عبد الفتاح، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله الهاشمي الخوئي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٣- نحو منهجية معرفية قرآنية (محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة)، طه جابر العلواني، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين أبو عبد الله الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ومحمد بركات حمدي، دار الفكر، عمّان الأُردُن، ١٩٨٥م.
٢٥- نهج البلاغة : الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) (ت ٤٠هـ) : شرح محمد عبده، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.

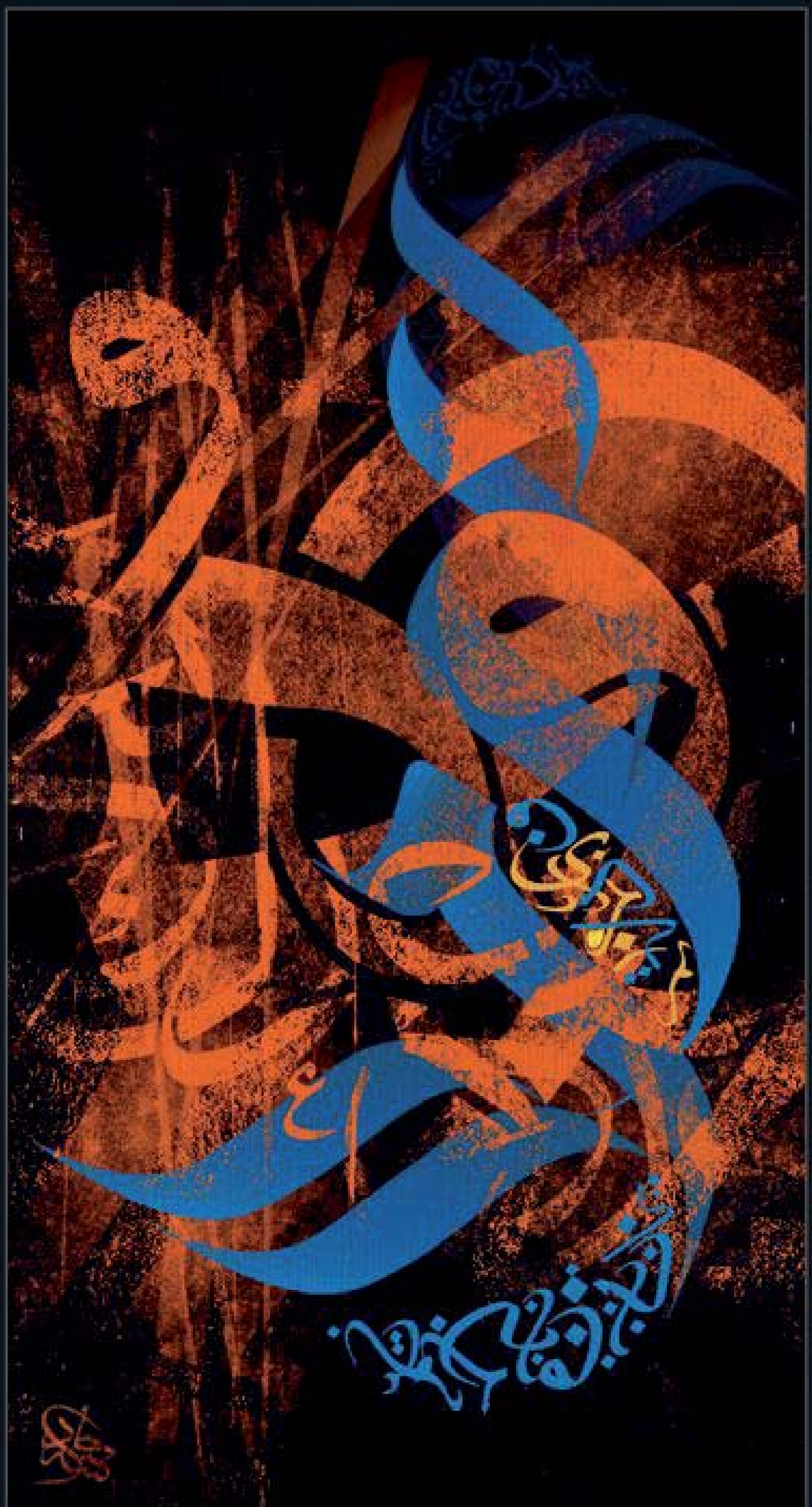

وسائل الأمن اللغوي
قراءة في كتاب (العربية والأمن اللغوي)
للدكتور زهير غازي زاهد

Language Security:A Review on Dr. Zuhair Ghazi Zahid,s Book
««Arabic and Language Security

م .ماهر خضير هاشم
جامعة بابل
By: Mahir Khudair Hashim / Babylon University

ملخص البحث

كتاب (العربية والأمن اللغوي) محاولة في وضع الوسائل التي تحقّق الأمن للعربية، فهو حاجتها كحاجة الأمة العربية إلى الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن الغذائي، وتحتاجه ليعيد إليها نشاطها وحيويتها مثلما كانت في عصور من تاريخها، سأتحدث في هذا البحث عن وسائل الأمن اللغوي التي ذكرها الدكتور زهير غازي زاهد في هذا الكتاب ، وأوضح أنه لو أُحسن استعمالها بوعي وحرص على مستقبل هذه الأمة لأمكننا أن نحصل على النتائج المنشودة، ولخفّفنا من ثقل هذا اليأس الذي أخذ يمتدّ إلى آفاقنا، ونجلبه أحياناً بقصر النظر في تقدير الأحداث ونتائجها، وأحياناً بجاذبية الأطماع والمكاسب الفردية المؤقَّتة والسلطوية مهما طال أمدها، فيكون أثرها الجماعي الضّار أوسع وأقسى من فائدتها.

والغرض من كتابة هذا البحث هو الوقوف على وسائل الأمن اللغوي التي تحقق سلامة العربية وحمايتها فضلا عن بيان ما قدمه الدكتور زهير غازي زاهد في هذا الكتاب من جهد طيب ، وقد قسمته على محاور عدة ، هي :

أ- السياسة اللغوية الموحدة .

ب- العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا.

ج- المصطلح- وضعه وتوحيده .

د- اللغة ومناهج الدراسة.

هـ- العربية واللهجات .

و- الاتّساع اللغوي وإتباع المرونة تجاه الجديد والشائع مع مراعاة الفصاحة:

لكل بحث هدف أو غاية فقد ختمت حديثي بخاتمة سطرت فيها أهم ما ابتغيه من كتابة بحثي هذا ، ومن الله التوفيق .

Abstract

The Book "Arabic and Language Security" is an attempt to set up the means that provide security to Arabic.This is a need of the Arab nation, beside the other needs like economic security, political security, and food security,by means of which it can regain its activity and vitality as it was at a certain time of its history. In present research deals with the means of language security as mentioned by Dr. Zuhair Ghazi Zahid's book .He explained that if these means are properly used with awareness and concern for the future of this nation, we can get the desired results. By this,we can alleviate the burden of the despair that extends to our horizons, which we sometimes bring through our short sightedness in the estimation of the events and their consequences, and sometimes through the captivation of greed and temporary individual and authoritarian gains no matter how long they last. Then the communal .influence would be harsher and more severe than their usefulness

The purpose of writing of this research is to identify the means of language security, which ensures correctness of Arabic and provides it with protection. The research also points to the good effort exerted by Dr. Zuhair Ghazi Zahid .throughout this book.The research is divided into different sections

,A-A unified language policy

B-The hard work of Arabicization of schooling and sciences which are to be ,used in the pre-university level and advanced stages as well

,C-The terminology, its position and unification

,D-Language and curricula

E-Arabic and dialects,and

المقدمة

يتناول هذا البحث قراءة في أحد الكتب المهمة التي تعنى بالأمن اللغوي للغة العربية إلا وهو كتاب (العربية والأمن اللغوي) لمؤلفه العلامة اللغوي الأستاذ الدكتور زهير غازي زاهد الذي هو احد الأكاديميين العراقيين ، و أحد أعلام العراق في هذا القرن أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته وتحقيقاته ، فمن المؤلفات : أبو الطيب المتنبي وظواهر التمرد في شعره ، ولغة الشعر عند المعري ، و موضوعات في النحو العربي ، وأبو عمرو بن العلاء وجهوده في القراءة والنحو ، وفي النص القرآني وأساليب تعبيره ، وبحوث في لغة الشعر وعروضه فضلا عن العشرات من البحوث في مجلات عربية وعراقية .

أما تحقيقاته فمنها : موسوعة إعراب القران الكريم لأبي جعفر النحاس ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، والإدغام الكبير لأبي عمرو الداني ، وتحقيق ديوان ابن الخيمي ، وتحقيق ديوان الجعبري ، والعنوان في القراءات السبع لأبي طاهر الأنصاري ، وشعر عبد الصمد بن المعذل (دراسة وتحقيق) ، والتوفيق للتلفيق للثعالبي ، والجامع في العروض والقوافي لأبي الحسن العروضي(١).

وفي هذا البحث سنخصص الحديث على كتابه (العربية والأمن اللغوي) ، فقد وصف احد الباحثين هذا الكتاب فذكر انه انتظم مواضيع متنوعة في اللغة العربية ابتداء من وظيفتها وانتهاء بوصفها هوية وحضارة ، مرورا بالتحديات التي واجهتها ومشاكل الإملاء والإعراب وجهود علمائها في إصلاح النحو العربي مع وضع الحلول المناسبة لمشاكل المصطلح اللغوي واللهجات ومراعاة الفصاحة ، وذلك في أسلوب وصفي تاريخي نابع من أن الاستعمال اللغوي وظيفة المتكلم أولا وهو أمر يفضي الى متابعة هذا المتكلم واستعماله للغة بصورة تباعد بينه وبين الاستعمال الخاطئ أو المجرد من الغرض الذي وجدت من اجله اللغة (٢).

درس الدكتور زهير غازي زاهد موضوعات عدة فابتدأ بتعريف اللغة عند ابن جني ودي سوسير وناقش تعريفهما للغة مناقشة علمية ثم انتقل الى بيان خصائص اللغة عند علماء الاجتماع فذكر أن اللغة ((اتسعت فشملت آفاقا أخرى حين اتسعت مدارك المجتمع وعاش في مراحل رقي حضاري فكانت لديه لغة علمية ولغة فنون وآداب فالنظام اللغوي من النظم القابلة للاتساع والخلق)) (٣) وبهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان من أن ((إغفال العنصر الاجتماعي في اللغة يحرم الدراسة من أقوى خصائص هذا الموضوع المدروس)) (٤)، ثم أوضح وظيفة اللغة في العصر الحديث وأهميتها في المجتمع فذكر أن اللغة أصبحت هوية الأمة التي تتكلم بها وحضارتها فضلا عن كونها رابطة لسانية تربط أجزاءها وتشعرهم بانتمائهم(٥) . ثم تناول موضوع اختلاف الألسنة واللغات ، فأوضح أن اختلاف الألسنة مثلما ذكر في القران الكريم من آيات الخالق وحكمته ؛ لكن الإنسان جلب على نفسه الشرور بتحرك نزعة السيطرة في نفسه فكانت اللغة احد أسباب الخلاف والصراع قديما وحديثا بين البشر (٦).

ثم عرض موضوع أن العربية بين لغات التعامل الدولية التي اتخذتها منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في إطار التعامل الدولي (لغات العمل) وهذه اللغات : العربية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والصينية ، والاسبانية(٧).

ثم انتقل الى موضوع أن العربية لغة متطورة ذاكرا أن العربية تتصف بصفتين : القدم والسعة ، فهي أقدم لغة بقيت مستعملة حية حتى هذا اليوم ، أما سعتها فيما وصل إلينا من موادها ومعاجيمها وموسوعاتها وبيّن أن العربية لغة متطورة فهي لم تقف عاجزة في استيعاب عصور الحياة وأجيال من المجتمع إنما ظلت لغة الخطاب والأدب والعلوم فوصفها أنها كالبحر الذي تصب فيه ما يتصل به من لهجات لكن البحر يبقى على عمقه ونظامه (٨).

ثم درس موضوع العربية ومواجهة التحديات فأوضح أن أول عمل لغوي واجهت به العربية موجة اللحن والاختلاط اللغوي،مبينا أن انتشار اللغة خارج موطنها الأصلي يكون له صفتان : الأولى : تطور اللغة باحتكاكها ببيئة اللغات الأخرى ويحدث هنا التأثير والتأثر . وأما الصفة الأخرى فهي ظهور الوسائل التي تحفظ اللغة وتوفر أمنها في السن الناطقين بها . وعرض ما واجهته اللغة العربية خلال العصور ابتداء من القرن الثاني حتى العصر الحديث بأسلوب وصفي تاريخي (٩) ، ثم خصص موضوعا تناول فيه ما وجّه للعربية من اتهامات وحددها بالنقاط الآتية (١٠) :

١. قصورها عن استيعاب علوم العصر .
٢. صعوبة نحوها وصرفها وصعوبة تعليمها .
٣. قضية الكتابة (الإملاء،والحرف) .

وأوضح انه لابد أن تكون هناك سبل وجهود مبذولة في مواجهة هذه التهم ، وتكون هذه الجهود على وفق ما يأتي (١١) :

أولا: توسيع آفاق اللغة لاستيعاب التقدم العلمي والأدبي والحضاري .

وذكر أن توسيع اللغة العربية يحتاج الى مضاعفة الجهد في ثلاثة مجالات مهمة ؛ لتكون قادرة على استيعاب التقدم العلمي والأدبي والحضاري ، وهي (١٢) :

أ- إيجاد المصطلح المناسب في مجال العلوم والآداب وتوحيده بطريق استعمال البديل العربي من المعجم العربي أو التعريب .

ب- الترجمة من اللغات الأخرى سواء في ذلك ترجمة الكتب العلمية أم الأدبية .

ت- تأليف المعجمات المختلفة والمناسبة للمراحل الدراسية أو التخصصات العلمية والأدبية .

ثانيا : الجهود في الإصلاح النحوي (١٣) .

ثالثا : الجهود في إصلاح الكتابة (١٤).

ثم انتقل الى موضوع الإعلام والعولمة والأمن اللغوي ، فتناول موقف الإعلام ومؤسساته والعولمة من اللغة العربية فبيّن أن العربية بحاجة الى تخطيط لغوي وسياسة لغوية موحّدة ، وتحصين النظام التربوي ، وتعزيز الثقافة العربية من خلال تعزيز حقوق الإنسان العربي وصون صوته ولغته لغة القران الكريم والحضارة (١٥). ثم تناول موضوع

العربية هوية وحضارة بعد إن استرسل في الكلام عن هذا الموضوع ذكر أن العربية محتاجة الى التنسيق والحيويّة والتحديث في مجالات(١٦) :

- التعليم في كل مراحله ومستوياته .
- الإعلام في كل مجالاته المرئية والمسموعة والمكتوبة .
- الترجمة والتعريب فهما افقان مهمان لاستيعاب الجديد وإشاعته باللسان العربي والقصور فيهما واضح .

وفي هذا البحث سألقي الضوء على الوسائل التي تحقق الأمن اللغوي للغة العربية التي أوضحها الدكتور زهير غازي زاهد في كتابه هذا .

أقول إن هذه الوسائل لو تحققت لأصبحت دعامة قوية لحماية سلامة اللغة العربية وأمنها وبالتالي تؤدي الى حفاظ لغة أفضل الكتب السماوية وهو(القران الكريم) ،وهذه الوسائل هي :

أ- السياسة اللغوية الموحدة:

إن العرب في مرحلتنا المعاصرة أخفقوا في تحقيق الوحدة الوطنية في المجال السياسي والاقتصادي أو الوقوف في القضايا المصيرية، فينبغي لهم -في الأقل- أن يجدّوا في الحفاظ على وحدة لسانهم بلغتهم الفصيحة، وذكر الدكتور زهير غازي زاهد أن اللغة أهم مقوّم من مقوّمات الدولة الحديثة، فهذه البلبلة اللسانية في الوطن العربي والفوضى في استعمال اللغة - في أخطر أماكنها التعليم والتعلّم، ثم وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية- تحتّمان الوقفةَ الجادّة من علماء اللغة والمثقفين والمؤسسات على اختلافها أن تكون واعية للخطر المرعب الذي يجتاح وطننا وألسنتنا (١٧)، فضلا عن أن هناك مشروعات خطيرة منها : استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية في هيأة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها ، ومشروع تشجيع اللهجات العامية في الوطن العربي ، ومشروع تعليم مواد المعرفة باللغة الانكليزية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة في دول الخليج العربي ، ومشروع اتهام اللغة العربية بالصعوبة وعدم مواكبة روح العصر واستيعاب العلوم المعاصرة ، والدعوات التي تهاجم عمود الشعر العربي وتخليص المناهج منه ووضع الشعر الحديث مكانه في الكتب المدرسية (١٨) .

ومن اجل الوقوف ضد هذه المشروعات والدعوات الخطيرة فقد دعا الدكتور زهير غازي زاهد الى تخطيط لغوي قائم على نطاق الجامعة العربية ومؤسساتها بمساعدة المؤسسات اللغوية والجامعات، موضحا أن التّخطيط اللغوي ينبغي أن يكون شاملاً لا جزئياً، يكون في مجال التعليم على اختلاف مراحله، ثم على نطاق الإعلام ووسائله، ثم على نطاق الإدارة وأجهزتها، ثم على نطاق الجامعات والتعليم العالي، ثم على نطاق اتّحادات الأدباء والمعلمين والنقابات المختلفة ، وهذا التخطيط يشرف عليه علماء قديرون يعملون بروح الإيثار، لا التحيز إلى أي شكل من أشكال الفرقة التي تنخر الأمم وتفرِّقها؛ لأن الخطر لا يفرِّق بين قطر وقطر ولا بين طائفة وطائفة، إنما الجميع تحت حدِّ السيف سواء، وقوة الأمة ورفعتها فخر للجميع (١٩). وأشاد بقوانين أو قرارات التي

صدرت في أقطار عربية دعت إلى العمل على سلامة العربية كقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية في العراق سنة ١٩٧٧، وما صدر من قرارات بهذا الخصوص في تونس وليبيا، وقانون التعريب في الجزائر ، غير أنه ذكر أنها تبقى جزئية من جهة ومقصورة على ذلك القطر من جهة أخرى، ثم هي محدودة التنفيذ لحاجتها إلى الوسائل المناسبة لتطبيقها تطبيقاً شاملاً، هذا إذا لم تكن الأحداث قد غطّت عليها ونسيتها (٢٠) . فالتخطيط اللغوي عند الدكتور زهير غازي زاهد هو أن تسري اللغة وإصلاحها والجهود في ذلك سيراً متوازياً في كل مجالات الحياة العلمية والأدبية واليومية، وعلى جميع مجالات ممارستها في وسائل النشر وقاعات الدرس والبيت والسوق ومكاتب الدوائر الرسمية... الخ من اجل تحقيق الغرض المنشود(٢١). أي أن يكون التخطيط شاملا في كل مجالات الحياة ويجب أن تكون هناك إصلاحات لغوية شاملة ليست محددة بقطر معين .

وذكر الدكتور زهير غازي زاهد أن بداية العناية بالتخطيط اللغوي على المستوى العربي والإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية كان في أثناء عمل المعجم العسكري العربي الموحّد، واتخذت شكلاً محدّداً بإنشاء مكتب تنسيق التعريب، موضحا أن هذه البدايات لم تتّسع ولم تتّخذ الخطة اللغوية الشاملة، ثم كان تفكير في وضع خطّة لغوية شاملة في المدة القصيرة من عمر اتّحادات الجمهوريات العربية ١٩٧٣، وقد اقترحت مصر وضع مخطط تُلزم به الأقطار العربية وفي مقدمتها دول الاتّحاد لنشر الفصيحة السهلة الميسّرة وتعميم استعمالها. وقد تناول التّخطيط استعمال الفصيحة في المؤسسات التعليمية والثقافية ومؤسسات الاتصال الجماهيري والسينما والمسرح والندوات والمحاضرات... الخ، مشيرا الى أن هذا التّخطيط لا يقتصر على النوايا الحسنة، ولا هو أمل أو رغبة أو قرار سياسي أو صياغة مقترحات ووضع مصطلحات فقط ، فلا قيمة للمصطلحات إذا لم تُستعمل في المجالات التي أُعدَّت لها، وفي الوقت نفسه ينبغي أن تكون التّوعية اللغوية مكوّنة للمناخ المناسب لتلقي هذه المصطلحات(٢٢). وموضحا انه يجب أن يكون التّخطيط اللغوي ((لنشر عربية سليمة على ألسن الناطقين بها، لا نقصد الوقوف في وجه تعلّم اللغات الحية، فإن إلمام المثقف العربي بلغة حية أو أكثر صار ذا أهمية كبيرة في هذا العصر الذي تتسارع فيه خطى العلم والأدب في مختلف مجالاتهما، إنما نريد المحافظة على وحدة العربية وفصاحتها على ألسن الناطقين بها باعتبارها لغة عقيدة وحضارة واسعة والعمل على تطويرها بالوسائل الحضارية)) (٢٣) .

ويتضح مما عرضه المؤلف أن التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية الموحّدة في عموم الوطن العربي هما الغاية المنشودة لتحقيق الأمن اللغوي للغة العربية .

ويجب أن تكون هناك سياسة لغوية موحدة تعمل على تحديد الموقف من (٢٤) :

اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية ، وإزالة الأوهام من صعوبة اللغة العربية في نفوس أبنائنا وفي أذهان

الأجانب الراغبين في تعلمها ، تفعيل الترجمة من اللغة العربية الى غيرها من اللغات ، ومن الأجنبية الى العربية ، والوقوف من العامية والشعر النبطي ، وعدم السماح للعاملين على الأرض العربية بالعمل إلا إذا خضعوا لدورات تعليم اللغة العربية فضلا عن إلزام الشركات والمصانع الأجنبية التي نتعامل معها على ترجمة الأسماء كل السلع والبضائع وما يتعلق بها من كتابات ودعايات وتوضيحات الى اللغة العربية قبل توريدها وإدخالها الى الأسواق ، ووضع اللغة العربية في فروع الجامعات الخاصة الأجنبية على الأرض العربية .

ب- العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا:

يرتبط التعريب بالترجمة لأنهما يتعلقان بنقل العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية. فالتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات بالتقاء أهلها بطريقة مباشرة كالحرب والاحتلال والدراسة والترحال والتجاور أو غير مباشرة كالإعلام والتجارة والاتصال بوسائل حديثة كالهاتف والشبكة الدولية للمعلومات. والتعريب يعني استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاماً وكتابةً, دراسةً وتدريساً, وبحثاً وترجمةً وتأليفا (٢٥) .

أوضح الدكتور زهير غازي زاهد أن العربية صلحت في العصور الماضية لاستيعاب التغيير والجديد فيها ، ففي العصر الإسلامي استوعبت التغييرات الجديدة في المجتمع والفكر والعقيدة، ثم امتدّت إلى أمم أخرى تقبلتها وتعلمتها راضية، وفي العصر الأموي صلحت لتعريب الدواوين وتنظيم الإدارة وقضايا المجتمع عامة، وقد أفادت من تجارب الأمم الأخرى الرومية والفارسية والهندية ، وفي العصر العباسي نجد العربية تتّسع لكل المستجدّات من العلوم والفلسفة والأدب وظهور المصطلحات المعرَّبة أو العربية عن طريق الاشتقاق أو القياس أو التعريب أو النحت أو الاقتراض بعد ترويضها وجعلها منسجمة مع نظام العربية، وظهرت كذلك الأساليب الجديدة في الاستعمال على ألسن الشعراء وأقلام الكتَّاب والخطباء(٢٦). ويتضح من ذلك أن العربية غير قاصرة في استيعاب التغيير والجديد في العصور . مؤكدا أنه من وسائل الأمن اللغوي العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا . فأشاد بتجربة الجامعات في القطر السوري بتدريس علوم الطب والكيمياء والرياضيات الحديثة والفيزياء والجيولوجيا وعلوم الذرة والفضاء والطب النووي والصناعات الكيماوية والهندسة وعمليات القلب المفتوح وغيرها بلغة عربية خالصة لم تقلل من شأن أي متخصص في هذه العلوم ، وكذلك ذكر مثالاً في اللغات المحدودة نسبة إلى العربية تُدرّس بها العلوم المختلفة في مدارسها وجامعاتها وتستعملها في كل جوانب حياتها في بولندا والمجر والدانمارك ورومانيا والسويد والنرويج وبلغاريا (٢٧) ، ومن خلال ما عرضه أوضح أن العربية غير قاصرة في

استيعاب العلوم وحضارة العصر ، إنما القاصر عن التقدّم هم أهلها والناطقون بها (٢٨).

وكذلك لا ننسى دور مجامع اللغة العربية في التشجيع على التعريب حيث رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أن ((للتعريب في عصرنا الحديث فوائد تتلخص في غنى اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية, كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية)) (٢٩) ، فضلا عن عقد العديد من المؤتمرات والندوات ومنه المؤتمر العاشر للتعريب الذي عُقد في دمشق برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت شعار (قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي) في ٢٠٠٢م ، حيث خرج المؤتمر بمجموعة من التوصيات منها ((الحرص على احتواء كل كتاب علمي منهجي على مسرد أجنبي عربي وعربي أجنبي يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه, ووضع الكتب العربية التي طبقت التعريب بين يدي الجامعات والمؤسسات, ودعم الطباعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب كمشروع الذخيرة اللغوية ومشروع المعجم الصحفي العربي المعاصر ومشروع يقيس المصطلح وغيرها من المشروعات المعجمية)) (٣٠) .

ج- المصطلح- وضعه وتوحيده:

دعا الدكتور زهير غازي زاهد الى توحيد المصطلح في الاستعمال ؛ لأنه يزيده أهمية ويضعف من البلبلة اللسانية في الاستعمال ثم الفهم على نطاق الدلالة، ولا يتحقّق هذا إلاّ من خلال التخطيط اللغوي وقرار السياسة اللغوية الموحدة على نطاق الوطن العربي(٣١). أي إن تعريب المصطلحات وتوحيدها سيحافظ على الأمن اللغوي العربي .

ومبينا أن انعدام التخطيط في الوطن العربي انعكس على الاستعمال اللغوي للمصطلحات الحديثة خاصة؛ لذا ظهرت الفوضى المصطلحية تعمّ العربية في أقطارها العربية فتكثر التسميات للمسمّى الواحد، ويحدث الاختلاط، وأورد مثالاً لذلك: علم اللغة وفقه اللغة واللسانيات والألسنية تستعمل في كثير من الأحيان لدلالة واحدة، و الهيكلية والبنيوية والبنائية، ، فضلاً عن المصطلحات في ألقاب الشهادات العلمية الجامعية والعليا كل ذلك ناتج عن غياب التخطيط (٣٢)، مؤكدا أن قضية المصطلح اللغوي ينبغي لها أن لا تخضع لرؤية فردية أو حزبية أو قطرية ، المهم أن يدخل الاجتهاد في ضمن الجهد الجمعي لاختيار المصطلح، فما يفيد اللغة وثبات المصطلح فيها هو الذي ينبغي له أن يشيع، والإيثار مهم في هذا المجال(٣٣).

و موضحا أن المشكلة في عدم توحيد المصطلح ترجع الى أمرين(٣٤) :

الأولى : المشكلة القائمة في مجال التعريب التي تشير إلى تقصير المؤسسات اللغوية من جهة وانعدام التخطيط اللغوي من جهة أخرى التي تتعلّق في وقت وضع المصطلح وعدم اتّخاذ الوسائل الفعَّالة لإشاعته قبل أن يشيع على ألسن الناس والدارسين، فنجد

أسماء الآلات والمستحدثات الأجنبية أو المصطلحات العلمية أو الأدبية والنقدية يُقترح لها مقابلات بعد شيوعها، وما يُقترح من مقابلات تكون أحياناً متعددة غير موحدة أو لا تفي بالغرض، فتحدث البلبلة أو التندر أحياناً ببعضها الآخر. من ذلك الأسماء الآتية: (المرناة) للتلفزيون و(الخيالة) للسينما و(الطارمة) للكشك و(المذياع) للراديو و(الهاتف) للتلفون وغيرها قد وضعت بعد شيوع أسمائها الأجنبية.

والأخرى : هي عدم اتفاق المجامع والمؤسسات اللغوية على توحيد المصطلحات الموضوعة لاستعمالها في الأقطار العربية، وهذه المشكلة تجعل استعمال الاسم الأجنبي أقرب إلى الفهم من استعمال المرناة أو التلفاز للتلفزيون والخيالة والسيما للسينما وغيرها.

ومن اجل للوقوف في معالجة توحيد المصطلح دعا الدكتور زهير غازي زاهد الى اتّخاذ القرار السياسي الذي يحدّد الخطة اللغوية على مستوى الوطن العربي من خلال مؤسسات الجامعة العربية وتنفيذه بعد معالجة المصطلح عن طريق اتحاد المجامع العلمية ومكتب تنسيق التعريب (٣٥) . إذن فتعريب المصطلحات وتوحيدها سيحقق الأمن اللغوي .

د- اللغة ومناهج الدراسة:

أكد الدكتور زهير غازي زاهد أن استعمال العربية لغة قومية في مراحل الدراسة التي تسبق الجامعة وتعريب موادها العلمية ومصطلحاتها، مطلب مهم وملحّ خصوصاً، في الدول التي تخلّصت من السيطرة الفرنسية ومن فرض لغتها عليها (٣٦)، ثم عرض المؤتمرات والندوات التي تؤكد أن لغة التعليم اللغة العربية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والإعدادية ،وقد اتخذت القرارات والتوصيات في الاهتمام بالتعليم قبل الجامعي الذي كان موضع اهتمام المؤسسات اللغوية ثم تعريب التعليم الجامعي والعالي وتدريس العلوم بالعربية الفصيحة وتعريب المصطلح وإشاعته، وذكر أن هذه القرارات و التوصيات قد أخذت مجال التطبيق إلاّ قليلاً، فتعريب العلوم على مستوى الجامعة طبَّقته سوريا، أما في باقي الأقطار العربية فما زال متعثّراً وجلُّه ينفَّذ بلغات أجنبية، وما زال التنسيق شبه مفقود أو ضعيفاً على نطاق وزارات التربية والجامعات والمجامع اللغوية والأجهزة الإدارية وكلهم يشكو من عدم التنسيق، حتى أصبح التنسيق مشكلة من المشاكل التي تُطرح في كل المؤتمرات(٣٧).

وبيّن أن المناهج الدراسية ما زالت تفتقر إلى الدقّة من جهة وإلى الاستعانة بالخبراء المتخصصين وترك المحسوبيات في تأليف لجان المناهج ، وكذلك في الجامعات فما زالت أقسام اللغة العربية تشكو من تخلّف مناهج التدريس فيها، وما زالت الكتب القديمة تقرّر ولا يُعرف غيرها إلاّ نادراً شرحاً ودرساً وقراءة ، على الرغم من شيوع منهج علم اللغة التطبيقي بكل فروعه وإمكانية الإفادة منه في كل مراحل الدراسة ، أما الكتب المؤلَّفة، فما زالت تشكو الفقر المنهجي، ويغلب على مؤلفيها الروح التجارية أكثر من العلمية (٣٨). داعيا الى مراجعة المناهج الدراسية مراجعة شاملة تسهم في الأمن اللغوي العربي وان تستفيد في

شرح القواعد النحوية من علم اللغة التطبيقي .

وأثار الدكتور زهير غازي زاهد قضية تدريس اللغة العربية لغير الاختصاص موضحا أنها ما زالت متعثّرة وضعيفة بسبب: أنها توكل لمدرسين غير ماهرين في غالب الأحيان، أو أنها تُؤدَّى لتكملة الأنصبة دون أن تنال العناية اللازمة، ثم عدم اكتراث الطلبة في الكليات العلمية والأقسام غير المتخصصة؛ لعدم وجود الحوافز التي تشجّع على الإقبال لدراسة العربية أو لإحساس الطلبة بعدم الرِّضا أو الفائدة من هذه الدروس، فضلا عن أن المناهج لم توضع بعناية على وفق تخطيط واضح المعالم وواضح الأهداف.

موضحا أن العربية لغير المتخصصين ينبغي أن تكون مفردات منهجها عامةً سهلةً تتناسب والقسم والكلية التي تُدرَّس فيها، وذكر أن التدريس غير نافع إذا كان التأكيد على تلقين القواعد النظرية، وإذا خاطب المدرِّس طلبته باللهجة الدَّارجة، بل ينبغي له أن يكثر الحوار مع الطلبة باستعمال الفصيحة المبسَّطة علاوة على المشوِّقات في المادة المعروضة، وقد تحتاج إلى وسائل الإيضاح والعروض المرئية أو الأجهزة والمختبرات اللغوية لزيادة إتقان النطق والأداء (٣٩).

من اجل تحقيق ذلك فقد أوضح أنه يحتاج الى تخطيط لغوي وتنسيق بين المؤسسات اللغوية والجامعية ووزارات التربية ومؤسسات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والإفادة من كل وسائل الإعلام المختلفة في إيصال المعلومة المقروءة والمسموعة أو المرئية بلغة فصيحة ميسَّرة، يكون بها التعليم والسينما والمسرح والندوات والمحاضرات والمؤتمرات والخطب (٤٠) .

هـ- العربية والدارجات:

بيّن الدكتور زهير غازي زاهد أن أهم هدف من أهداف الإصلاح اللغوي بكل وجوهه هو التقريب بين الفصيحة واللهجات التي تنطق بها المجتمعات العربية (٤١).

لابد من اتخاذ الوسائل التي تضمن توحيد اللهجات وتغليب لغة فصيحة سليمة عليها ، وقد حدد الشيخ محمد رضا الشبيبي وسيلتين لتوحيد اللهجات هما (٤٢) : الأولى : نشر التعليم المنهجي ومكافحة الأمية ، وكثرة سواد المتعلمين المدركين لمكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية . والأخرى : توحيد التلفظ وإصلاح النطق على أن تقوم بذلك مراجع فنية مختصة . وذكر الدكتور زهير غازي زاهد أن المؤسسات اللغوية والتربوية والإعلامية إذا تعاونت بدعم السلطات السياسية يمكن توحيد النطق في كل البلاد العربية ؛ بحيث إذا قرأ المصري نصّاً أدبياً يفهمه العراقي والسوري والليبي والجزائري، وأوضح أن توحيد النطق لا يعني انعدام بعض الفروق اللهجية في النبرة أو طريقة الأداء، فهذه الفروق لا يمكن أي لغة أن تسلم منها ، وذكر أن هذه الفروق يتكفّلها الزمن وانتشار وسائل الاتصال والتفاهم والتداخل الاجتماعي، بحيث تذوب الفروق شيئاً فشيئاً ويسود التوحّد أو التشابه في النطق . هذا هو الهدف المنشود الذي ينبغي أن نسعى إليه لتحقيق

أمن لغتنا (٤٣) .

وقد بيّن الدكتور زهير غازي زاهد أهم العوامل التي تُرفع بها الحواجز وتقرّب من لهجات اللسان العربي وهي : فتح الحدود بين أقطاره ، وإلغاء الحدود والموانع التي تحول دون الاتصال والتمازج الاجتماعي، وإشاعة التعليم في أوساطه على وفق سياسة لغوية موحّدة، ورفع أجهزته الإعلامية، وتوجيه برامجه ومسلسلاته، وتشجيع العاملين فيها، وفسح المجال أمام تيار الأدب الروائي والمسرح والسينما باللغة العربية الفصيحة ، والوقوف بحزم في وجه الدعوات التي تدعو لاستقلال عاميات الأقطار العربية ،غير انه لم يرفض دراستها بل شجع دراستها من اجل استخلاص ما يندمج مع العربية المعاصرة عن طريق عقد المؤتمرات والمهرجانات العربية ، ومن خلال هذا التمازج والتداخل اللغوي تنشأ ما أُصطلح عليها عربية عصرية لها مستواها الفصيح ومستواها الدارج ، فيتّصل مستواها الفصيح في أقصاه بالفصيحة القديمة و يتّصل مستواها الدارج في أقصاه بدارجة الأميين، ذاكرا انه من الطبيعي أن يكون هذان المستويان متكاملين، فيختصّ الفصيح بالكتابة خاصة ويختصّ الدّارج بالخطاب خاصة (٤٤) .

و يتضح من ذلك أن من الوسائل التي تحقق الأمن اللغوي هي تقريب اللهجات من العربية الفصيحة عن طريق التمازج والتداخل اللغوي لنخرج بعربية معاصرة لها مستويان الفصيح والدارج فضلا عن توحيد النطق في كل البلاد العربية ليكون لسانا عربيا مفهوما . وهذا ما ناشد به الدكتور زهير غازي زاهد في هذا الكتاب.

و- الاتّساع اللغوي واتّباع المرونة تجاه الجديد والشائع مع مراعاة الفصاحة:

ذكر الدكتور زهير غازي زاهد أن هناك جانبين مهمين في العمل اللغوي، أحدهما يكمّل الآخر وفي كل جانب حدث صراعات وخصومة غير أن اللغة تجاوزت ذلك فقد أخذت طريقها في التطور، وما اعتُرِضَ عليه ظلَّ مستعملاً أو أُهمِلَ على حسب تحقيقه حاجة الخطاب أو الأدب أو المعجم، وهما (٤٥):

الأول : الاتّساع اللغوي والأخذ بالجديد الذي لا يتعارض مع الفصيح ألفاظاً وأساليب.

والآخر:إتباع المرونة وعدم التعصّب تجاه اللغات أو اللهجات التي تعيش في ظل اللغة العربية الفصيحة.

أولا : الاتّساع اللغوي:

قصد الدكتور زهير غازي زاهد بهذا المفهوم دلالته الشاملة الذي تقتضيه اللغة العربية المعاصرة من السيل العاتي من المصطلحات والأساليب الجديدة ، وأوضح أن هذا السيل يحتاج الى جهد لغوي لاستيعابه وترويضه في رحاب اللغة ويكون ذلك عن طريق التنمية اللغوية خصوصاً في مجال المعجم باستعمال وسائل التنمية المختلفة من الاشتقاق والترجمة والتعريب فضلا عن وسيلة الاقتراض (٤٦). ومن الجدير بالذكر أن هناك عوامل تساعد على تنمية المصطلحات تنقسم على عوامل لغوية (الاقتراض اللغوي ، والترجمة ، والتعريب ،

والنحت ، والتركيب ، والاشتقاق ، والقياس) ، و عوامل اجتماعية (الإعلام والاتصال الجماهيري ، والاقتصاد ، والسياسة ، والتقنية الحديثة والتقدم العلمي التعليم ، والاتصال مع الغرب، والفن) ، وعوامل دينية ، وعوامل نفسية ، وعوامل أدبية (٤٧). بيّن الدكتور زهير غازي زاهد أن كثيراً من الألفاظ يمكن أن يُوضع لها مقابل أفضل من اسمها الأجنبي وأكثر انتساباً للعربية عن طريق الاشتقاق، مثل: الهاتف (للتلفون) والسيارة (للاتمومبيل) والمذياع (للراديو) وغوغائي (للديماغوجي) وملهاة (لكوميديا) ومأساة (لتراجيديا) والتمثيلية (لدرامة) وتمثيلية غنائية (لأوبرا) وغنائية هزلية (لأوبريت)...، وذكر انه لو أُشيعت هذه الألفاظ العربية قبل شيوع الكلمة أو استعمالها بمصطلحها الأجنبي لما عرفت الأجنبية، وهكذا كل المصطلحات والألفاظ في مجال الأدب والفن (٤٨). وأوضح أن المصطلحات العلمية أو الألفاظ الشائعة شيوعاً التي لا يمكن أن يُوضع له مقابل فيمكن أن يُؤخذ عن طريق التعريب أو الاقتراض أو القياس، مثل : أسماء الأعيان وأعلام الأجناس كالأوكسجين والهيدروجين والأنزيم والإلكترون والأيون وأسماء الأدوية والعقاقير والمركبات الكيمياوية وأسماء النباتات والحيوانات ، وذكر أن هناك ألفاظا شاعت وانتشرت ولم تستطع المجامع أن تضع لها مقابلا ً من الممكن أن يُعتمد الشيوع لإقرارها وقبولها في ضمن الكلم العربية مثل كلمات: برجوازية وإمبريالية وديمقراطية... (٤٩). يتضح من ذلك أن موقف الدكتور زهير غازي زاهد من قضية التطور السريع في المصطلحات العلمية والفنية والأدبية هو إتباع كل الوسائل للمحافظة على حيوية اللغة من جهة وعلى أمنها من الأخطار من جهة أخرى، إذ لا مفر للغة العلمية من هذا التطور وأوضح انه في حالة الاقتراض اللغوي والاقتباس يعيا في وضع المقابل، فلا بأس أن يدخل الكلم العربي فما أكثر الكلم والمصطلحات التي احتوتها العربية قديماً وحديثاً ما دخل في معجمها أو ما لم يدخل، إنما ظلّ جارياً على الألسن ، وذكر أن هناك ألفاظا شائعة دخيلة لكنها مستساغة ومقابلها الفصيح غير معروف ولا مستعمل، أو أن المقابل لها لا يدل على ما تدل عليه الكلمة الدخيلة الشائعة، فيمكن أن يدخل المعجم العربي على سبيل الاقتراض وضرب أمثلة بذلك مثل : كلمة (المسك)، فهي شائعة مستعملة، ولم يقم مقامها مقابلها المسموع ، وكلمة (الباذنجان) مستعملة معروفة في كل الأسواق العربية، ولا أحد يعرف مقابلها(المغد) أو (الحدق) ، وكلمة "النرجس" استعملها الشعراء كثيراً في عصور الحضارة، ولا يُعرف مقابلها الفصيح (القهة) أو(القهد) ، وكلمة (ورشة) المعرّبة من الإنجليزية لا يدل مقابلها الموضوع على معناها الشائع مَشْغَل أو مُحْتَرف أو مَرْسَم أو مَصْنَع أو مَعْمَل، وكذلك كلمة "قرصان" المعرّبة من الإيطالية وجمعها قراصنة والمصدر قرصنة. كل ذلك دخل العربية وأصبح من رصيدها المعجمي (٥٠) ، مشيرا الى أن التعريب عن طريق الاقتراض يمكن أن يكون هو الحل المفضّل خاصة للمصطلحات التي صارت عالمية في مجالات العلوم

وعند أصحاب الاختصاص(٥١) ، وموضحا أن العربية غنية بطرائق تركيب عباراتها وأساليبها، فلا تضيق بما يأتي إليها من الأساليب الجديدة ، فيزيد اتّساع آفاقها التعبيرية بشرط أن لا يكون متقاطعاً أو مخالفاً لأساليب الفصاحة فيها فيؤدي إلى الركاكة في التعبير(٥٢). وقد أجاز مجمع اللغة العربية شيئاً من ذلك، ومن قراراته في هذا الباب : ((فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخل بسلام إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي، وإنما هي كلمات عربية محضة رُكِّبت تركيباً خالصاً، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوا بتلك الكلمات)) (٥٣) .

والآخر :إتباع المرونة تجاه الجديد والشائع مع مراعاة الفصاحة:

ذكر الدكتور زهير غازي زاهد أن الجهود اللغوية التي بذلتها وتبذلها كل المؤسسات والمجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب بكل وسائلها ومؤتمراتها، تتخذ مسارين (٥٤): أولهما استغلال طاقات العربية وتجاربها التاريخية وقدرتها على التطور؛ لتستوعب كل هذا السيل الجديد من المصطلحات والأسماء والأساليب، وتجعله في ضمن معجمها اللغوي والمقبول في أساليب التعبير.

أما المسار الآخر : فهو محاولة دراسة لهجات العربية، وهو أساس من أسس دستور مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فقد دعا الدكتور زهير غازي الى ضرورة إشاعة العربية المعاصرة بين المثقفين وفي كتابات الجرائد وما يُذاع في وسائل الإعلام خصوصاً نشرات الأخبار، موضحا أن هذه اللغة ينبغي العناية بها وتوسيع استعمالها باستعمال كل الوسائل الممكنة، فإذا شاعت هذه اللغة في السوق والمصنع والحقل والبيت والمدرسة وبين الناس لغة للخطاب والتفاهم قرَّبت الدارجة من الفصيحة، فتكون لغة الكتابة الفنية بأساليب أدبية ولغة الكلام والتخاطب بعربية غير متكلَّفة (٥٥)، ومشيرا الى أن التطور الدلالي للألفاظ واستعمال المجتمع ألفاظاً جديدة بدلالات جديدة قضية قديمة في كل اللغات، وليست العربية بدعاً بينها، فالعربية نفسها لم تكن واحدة قبل الإسلام إنما هي لهجات تداخلت وتقاربت، فنشأت منها لغة موحدة نزل بها القرآن الكريم، لكن اللهجات وظواهرها اللغوية ظلَّت إلى جانب هذه اللغة الموحدة، واختلاف القراءات القرآنية ناتج عن الظواهر اللغوية في هذه اللهجات غير أن الفصيحة كانت هي لغة الدين والدولة والعلم والأدب(٥٦) ، مبينا أن عربيتنا المعاصرة تدخل في ظل عربية القرآن الكريم أنظمة ودلالات، واللغة الفنية ما زالت الفصيحة المتطورة الممتدة من الأصل؛ لذلك نحن نفهم شعر زهير بن أبي سلمى، وعمر بن أبي ربيعة، وأبي نواس، وأبي تمام، والمتنبي، والبهاء زهير، والبارودي، والرصافي، والجواهري، وعمر أبو ريشة، وأبي القاسم الشابي، ونزار قباني، والسياب، وغيرهم(٥٧) .

وذاكرا أن العربية التي تجري على السنة الناس عامة ، أي لغة للتخاطب في وسائل الإعلام المختلفة وقاعات المحاضرات لا تؤكد حركات الإعراب في

النطق فهي هي ؛ لأن حركات الإعراب جزء من أواخرها، فإذا سُكّن آخر الكلم لم تفقد الجملة معناها على ما ألف الناس في خطابهم مستدلا بما وعاه ابن خلدون في قوله:((لم يُفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم، وهو بعض من أحكام اللسان)) (٥٨) ويفهم من ذلك أن اللغة لها وسائلها في الإفهام إن أُوقف أواخر الكلم في لغة الخطاب. مؤكدا توحيد لغة التعليم على وفق سياسة لغوية واحدة والعناية بوسائل الإعلام من حيث ثقافة الإعلام اللغوية .

أوضح الدكتور زهير غازي زاهد أن العربية يمكن أن تحقق أمنها وسلامتها من خلال بلوغ مستواها المنشود لغة للكتابة الأدبية ومستوى لساني مصاحباً لها وقريباً منها لغة للتخاطب في مجالات الحياة اليومية (٥٩). وهذا ما شعر به مجمع اللغة العربية في القاهرة فجاء بتوصية في قضية الدارجات: ((تتقارب اللهجات الدارجة في العالم العربي في العشرين سنة الماضية تقارباً ملحوظاً، وللمدرسة والمدرِّس شأن في ذلك ولوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة ومسرح وسينما شأن أوضح، وما أجدرنا أن نتعهّد ذلك ونرعاه كي ينتهي إلى الهدف المنشود)) (٦٠).

الخاتمة :

١. أوضح البحث دعوة الدكتور زهير غازي زاهد الى تخطيط لغوي وسياسة لغوية موحدة وشاملة على نطاق الجامعة العربية ومؤسساتها بمساعدة المؤسسات اللغوية والجامعات من اجل نشر عربية سليمة على السن الناطقين بها .

٢. بيّن البحث أن من وسائل الأمن اللغوي التي أكدها الدكتور زهير غازي زاهد العمل الجادّ لتعريب التعليم والعلوم المختلفة وتدريسها في مراحل التعليم قبل الجامعة ثم المراحل العليا

٣. أوضح البحث دعوة الدكتور زهير غازي زاهد الى توحيد المصطلح في الاستعمال قبل شيوعه ؛ لأنه يزيده عناية ويضعف من البلبلة اللسانية في الاستعمال ثم الوضوح على نطاق الدلالة ولا يتحقق هذا إلا من خلال التخطيط اللغوي وقرار السياسة اللغوية الموحّدة على نطاق الوطن العربي .

٤. أكد البحث ما أوضحه الدكتور زهير غازي زاهد في أن استعمال العربية لغة قومية، في مراحل الدراسة التي تسبق الجامعة وتعريب موادها العلمية ومصطلحاتها، مطلب مهم وملحّ خصوصاً، في الدول التي تخلّصت من السيطرة الفرنسية ومن فرض لغتها عليها.

٥. أوضح البحث أن لجان المناهج يجب أن تأخذ دورها في إصلاح المناهج الدراسية لأقسام اللغة العربية وان تستفيد في وضع المناهج من علم اللغة التطبيقي وهذا ما ذكره الدكتور زهير غازي زاهد .

٦. أثار البحث قضية تدريس اللغة العربية لغير الاختصاص ، فهي ما زالت متعثّرة وضعيفة، موضحا أهم أسباب ضعفها التي ذكرها الدكتور زهير غازي زاهد : أنها توكل لمدرسين غير ماهرين ، أو أنها تُؤدَّى لتكملة الأنصبة دون أن تنال من العناية اللازم، ثم عدم اكتراث الطلبة في الكليات العلمية والأقسام غير المتخصصة؛ لعدم وجود الحوافز التي تشجّع على الإقبال لدراسة العربية أو لإحساس الطلبة بعدم الرِّضا أو الفائدة من هذه الدروس، فضلا عن أن المناهج لم توضع بعناية على وفق تخطيط واضح المعالم وواضح الأهداف. موضحا أن العربية لغير المتخصصين ينبغي أن تكون مفرداتها منهجاً، عامةً سهلةً تتناسب والقسم والكلية التي تُدرَّس فيها، وينبغي للمدرس أن يكثر الحوار مع الطلبة باستعمال الفصيحة المبسَّطة علاوة على المشوِّقات في المادة المعروضة، وقد تحتاج إلى وسائل الإيضاح والعروض المرئية أو الأجهزة والمختبرات اللغوية لزيادة إتقان النطق والأداء.

٧. بيّن الدكتور زهير غازي زاهد أن أهم هدف من أهداف الإصلاح اللغوي بكل وجوهه هو التقريب بين الفصيحة واللهجات التي تنطق بها المجتمعات العربية، موضحا أهم العوامل التي تُرفع بها الحواجز وتقرّب من لهجات اللسان العربي وهي : فتح الحدود بين أقطاره ، وإلغاء الحدود والموانع التي تحول دون الاتصال والتمازج الاجتماعي، وإشاعة التعليم في أوساطه على وفق سياسة لغوية موحّدة، ورفع أجهزته الإعلامية، وتوجيه برامجه ومسلسلاته وتشجيع العاملين فيها، وفسح المجال أمام تيار الأدب الروائي والمسرح والسينما باللغة العربية الفصيحة .

٨. شجع الدكتور زهير غازي زاهد دراسة اللهجات المعاصر من اجل استخلاص ما يندمج مع العربية المعاصرة عن طريق عقد المؤتمرات والمهرجانات العربية ، ومن خلال هذا التمازج والتداخل اللغوي تنشأ عربية عصرية لها مستواها الفصيح ومستواها الدارج ، فيتّصل مستواها الفصيح في أقصاه بالفصيحة القديمة و يتّصل مستواها الدارج في أقصاه بدارجة الأميين، وانه من الطبيعي أن يكون هذان المستويان متكاملين، فيختصّ الفصيح بالكتابة خاصة ويختصّ الدّارج بالخطاب خاصة .

٩. أوضح البحث ما ذكره الدكتور زهير غازي زاهد في الاتساع اللغوي بالمصطلحات والأساليب الجديدة يجب الأخذ بها بشرط ألا يتعارض مع الفصيح ألفاظا وأساليب ، موضحا أن استيعابها وترويضها في رحاب اللغة يحتاج الى جهد لغوي يكون عن طريق التنمية اللغوية خصوصا في مجال المعجم باستعمال وسائل التنمية المختلفة من الاشتقاق والترجمة والتعريب والاقتراض اللغوي .

١٠. أكد البحث إتباع المرونة وعدم التعصّب والأخذ بالشائع مع مراعاة الفصاحة تجاه اللغات أو اللهجات التي تعيش في ظل اللغة العربية المعاصرة .

١١. بيّن البحث ما بيّنه الدكتور زهير غازي زاهد أن العربية يمكن أن تحقق أمنها وسلامتها من خلال بلوغ مستواها المنشود لغة للكتابة الأدبية ومستوى

لساني مصاحباً لها وقريباً منها لغة للتخاطب في مجالات الحياة اليومية .

التوصيات :

أ- يجب إصلاح المناهج الدراسية في أقسام اللغة العربية في كليات التربية والآداب والاستفادة من علم اللغة التطبيقي وجهود المحدثين في تيسير النحو ، فضلا عن العناية بتدريب الطلبة على التطبيق العملي في قاعة الدرس وتخصيص ساعة في الأسبوع لذلك منذ السنة الأولى ؛ ليتمرن الطلبة على مواجهة المستمعين دون خجل أو تردد ثم لتتمرن ألسنتهم على النطق بالفصيحة في إلقاء الدرس تحت توجيه أستاذه .

ب- مساندة مشروع تدريس النحو الكوفي في أقسام اللغة العربية ؛ لأنه يتبع منهج لغوي سليم يعتمد على الاتساع اللغوي وينطلق من القران الكريم والشعر العربي ، وهذا ما اقترحه الدكتور عبد الإله الصائغ وان يترأس هذا المشروع الدكتور زهير غازي زاهد ، بشرط أن يكون هذا المشروع امتدادا للنحو الكوفي وليس تكرارا .

ت- إنشاء مركز في كل جامعة عراقية يعنى بالترجمة والتعريب يترأسه أساتذة يشاد لهم بجهودهم العلمية في هذا المجال ، فضلا عن إنشاء مركز في كل جامعة عراقية يعنى بدائرة البحث اللغوي .

ث- تفعيل قانون سلامة اللغة العربية وان يأخذ هذا القانون مداه في التطبيق .

ج- تفعيل دور المجامع اللغوية في العراق و دمشق والقاهرة بمشاركة أساتذة ماهرين يشاد لهم بجهودهم العلمية وتكون مشاركة شاملة وليست مقتصرة على أشخاص معينين .

ح- الدعوة الى تيسير فرصة التفرغ اللغوي سابقا لمن يحتاج إليه من المتخصصين ليستفيدوا منه في جهودهم العلمية والثقافية .

خ- التعاون الفاعل بين المؤسسات التعليمية داخل العراق وعقد المؤتمرات العلمية الفاعلة ومتابعة ما يصدر عنها من توصيات واقتراحات والجدية في الأخذ بأفضل السبل لتحقيق ذلك .

د- إقامة ندوات لغوية ونحوية للإعلاميين ، وإلقاء محاضرات بين الحين والأخر ، تناقش فيها مختلف القضايا اللغوية والنحوية المتعلقة بوسائل الإعلام .

ذ- أن تستعمل وسائل الإعلام في توعيتها الكلمات الفصحى ، والعبارات سليمة التراكيب التي تجمع بين البساطة في التعبير ،واحترام قواعد اللغة وكذلك قيام وسائل الإعلام بالتوعية المستمرة في حثّ الجماهير على النطق بالعربية الفصحى.

ر- مساندة المشروع الذي اقترحه الدكتور المرحوم عبد الأمير الورد بإبدال عربية فصيحة في الحياة العامية بشكل يسير عن طريق إعطاء الجوائز والمكافئات مثلا : أفصح مدرسة تقدم لها جوائز ومكافئات ، وأفصح أسرة ، و أفصح جامعة ، وأفصح بائع فاكهة في السوق ، وكذلك كل من يخرج عملاً إعلاميا من لقاء أو مسرحيات أو أغان أو مسلسلات بلغة فصحى مبسطة للجماهير تعطى له جوائز ومكافئات .

الهوامش والمصادر والمراجع

١- ينظر:السيرة الذاتية ، للدكتور زهير غازي زاهد .

٢- ينظر:الدراسات اللغوية في العراق (في النصف الثاني من القرن العشرين) ، أطروحة دكتوراه ، عبد علي حن ناعور، كلية الآداب جامعة الكوفة ٢٠٠٧ م : ٢٠٣-٢٠٤ .

٣- العربية والأمن اللغوي ، للدكتور زهير غازي زاهد، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن ٢٠٠٠م: ١٤.

٤- اللغة بين المعيارية والوصفية ، للدكتور تمام حسان ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ١٩٨٠م: ١٦.

٥- ينظر : العربية والأمن اللغوي :١٧.

٦- ينظر : المصدر نفسه : ١٩.

٧- ينظر : المصدر نفسه :٢٤.

٨- ينظر : المصدر نفسه :٢٥-٢٨ .

٩- ينظر : المصدر نفسه :٣٥-٣٦ .

١٠- ينظر : المصدر نفسه :٤١ .

١١- ينظر : المصدر نفسه :٥٤ .

١٢- ينظر : المصدر نفسه :٥٦ .

١٣- ينظر : المصدر نفسه :٧١-٧٦ .

١٤- ينظر : المصدر نفسه :٧٧-٨٤ .

١٥- ينظر : المصدر نفسه :١١٦.

١٦- ينظر : المصدر نفسه :١٢٠

١٧- ينظر : المصدر نفسه :: ٨٥ .

١٨- ينظر : اللغة والهوية ، د . محمود السيّد ، مجلة المجمع اللغة العربية دمشق ، المجلد (٨٥) ، والجزء (٣) ٢٠١٠م : ٦٥٤-٦٥٥.

١٩- ينظر : العربية والأمن اللغوي : ٨٦ .

٢٠- ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢١- ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢٢- ينظر : المصدر نفسه : ٨٧ .

٢٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢٤- ينظر : اللغة والهوية : ٦٦٠-٦٦١ .

٢٥- ينظر : المصطلحات والتنمية اللغوية العربية ، عمر هزايمه ، مجلة العلوم الإنسانية ، السنة الخامسة، العدد ٣٥، ٢٠٠٧ الأردن : ٤ ، وتجارب في التعريب ، د . محمود الجليلي : ٩ .

٢٦- ينظر : العربية والأمن اللغوي : ٨٨ .

٢٧- ينظر : المصدر نفسه :٨٨-٨٩ .

٢٨- ينظر : المصدر نفسه : ٨٩ .

٢٩- ينظر : من أسرار اللغة ، د . إبراهيم أنيس : ١١٧ .

٣٠- موقع (مفكرة الإسلام www.islammemo.cc) .

٣١- ينظر: العربية والأمن اللغوي : ٨٩-٩٠ .

٣٢- ينظر : المصدر نفسه :٩٠ .

٣٣- ينظر : المصدر نفسه : ٩١ .

٣٤- ينظر : المصدر نفسه :٩١-٩٢ .

٣٥- ينظر : المصدر نفسه :٩٢ .

٣٦- ينظر : المصدر نفسه :٩٣ .

٣٧- ينظر : المصدر نفسه :٩٤ .

٣٨- ينظر : المصدر نفسه :٩٤-٩٥ .

٣٩- ينظر : المصدر نفسه :٩٥ .

٤٠- ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٤١- ينظر : المصدر نفسه :٩٦ .

٤٢- ينظر : توحيد اللهجات ، للأستاذ محمد رضا الشبيبي ، نشر في كتاب اللهجات العربية (بحوث ودراسات)، بإشراف الدكتور كمال بشر ، القاهرة ٢٠٠٤م : ٥٧ .

٤٣- ينظر : العربية والأمن اللغوي : ٩٧-٩٨ .

٤٤- ينظر : المصدر نفسه :٩٨-٩٩ .

٤٥- ينظر : المصدر نفسه :١٠٠ .

٤٦- ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٤٧- ينظر : المصطلحات والتنمية اللغوية العربية ، عمر هزايمه ، مجلة العلوم الإنسانية ، السنة الخامسة،

العدد ٣٥، ٢٠٠٧ الأردن .

٤٨- ينظر : المصدر نفسه :١٠١.

٤٩- ينظر : المصدر نفسه :١٠١-١٠٢ .

٥٠- ينظر : المصدر نفسه :١٠٢-١٠٣ .

٥١- ينظر : المصدر نفسه :١٠٣.

٥٢- ينظر : المصدر نفسه :١٠٤ .

٥٣- المصدر نفسه : ١٠٥ نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،ج١ : ٣٣٢ ، ج٧ : ١٨٥-١٨٧ .

٥٤- ينظر : العربية والأمن اللغوي : ١٠٥ .

٥٥- ينظر : المصدر نفسه :١٠٦ .

٥٦- ينظر : المصدر نفسه :١٠٧ .

٥٧- ينظر : المصدر نفسه :١٠٨ .

٥٨- مقدمة ابن خلدون فصل ٣٨ ، و ينظر : العربية والأمن

٥٩- اللغوي : ١٠٨ .

٦٠- ينظر : العربية والأمن اللغوي :١٠٩ .

٦١- المصدر نفسه : ١٠٩ نقلا عن مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ج٧، ١٩٤٩م : ٣١٦ .

الله نور السماوات والأرض

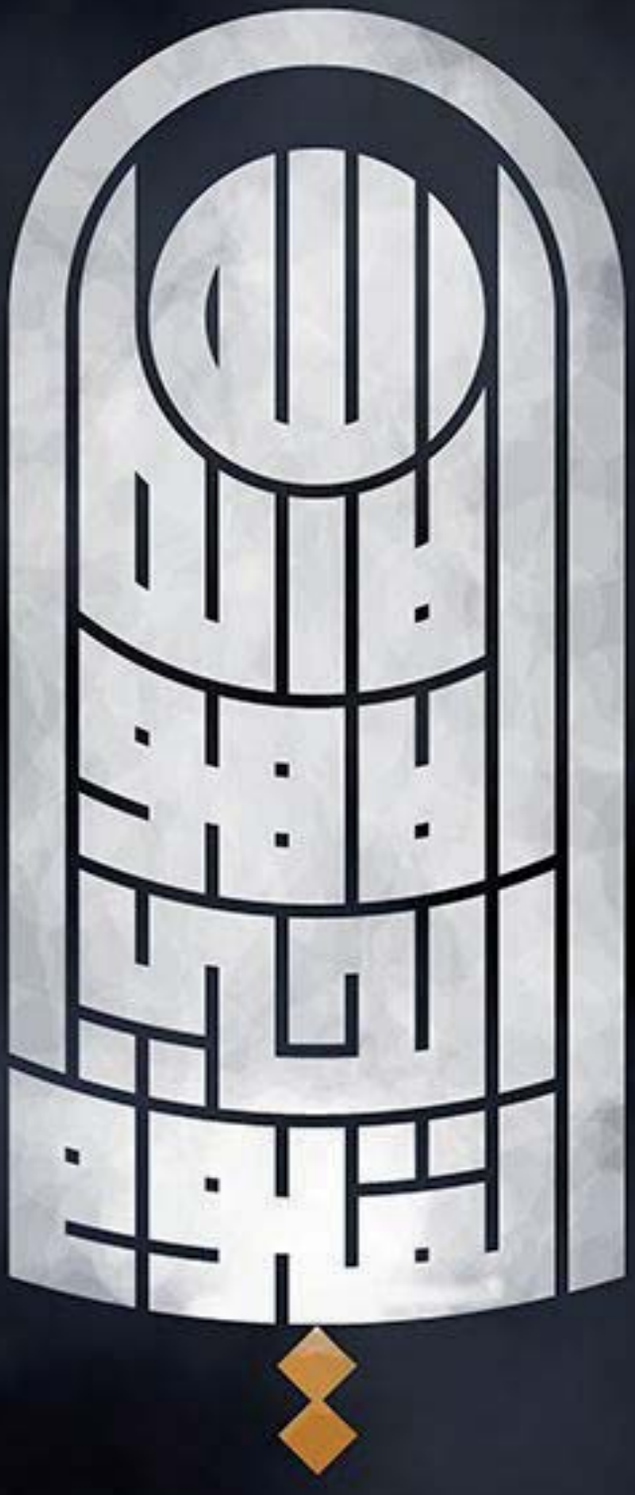

تطور الدرس البلاغي في مدرسة النجف الاشرف
الدرس الحوزوي أنموذجا

The Evolution of Rhetoric Classin Najaf School Seminary (Hwzwy)Lesson as a Study Sample

م.د خولة مهدي الجراح

كلية الفقه / جامعة الكوفة

Dr.Khawla Mahdi Shaker Al-Jarah

College of Jurisprudence , University of Kufa

ملخص البحث

يعد المنهج الدراسي من أهم الوسائل التي تساعد المربي في تحقيق الأهداف التربوية ، ولابد لهذا المنهج من أن يكون معدا إعدادا سليما وواضحا للملتقي كي يساعده على التطور والرقي لمراحل متطورة فيما بعد.ولابد لكل منهج من المناهج الدراسية من أهداف يرجى التوصل إليها باستخدام عدة طرق وأساليب تخص المؤسسة التعليمية تارة وعلوم تخص المادة العلمية تارة أخرى .وقد سلّط البحث الضوء على منهج الدرس البلاغي في الحوزة العلمية لما أشيع أنه قد أهمل.وبذلك سوف تكون خطة البحث مرتسمة على ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف حيث ألقيت الضوء على الهدف الرئيس للحوزة وهو إعداد جيل من المجتهدين يتمكنون من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه المراحل الدراسية في الحوزة العلمية حيث قام البحث بسبر المراحل الدراسية الثلاث،المقدمات، والسطوح، والبحث الخارج، وقد سلّط البحث الضوء على مرحلة المقدمات وخصوصا الدرس البلاغي.ثم تناول البحث الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية في المبحث الأخير.

Abstract

Curriculum is the most important means which helps the educator achieve the educational objectives. Therefore, the curriculum must be set up properly and clearly for the recipient in order to develop and promote him later in the advanced stages. Every curriculum must include certain objectives to be achieved by using several methods, which are directed at the educational institution on one hand and sciences that concern the study materials on the other hand .The current study sheds light on the subject of rhetoric in Hawza 'Ilmiyya because it is spread that curriculum design has been neglected there. According to the procedure of the following study, the research is divided into three sections. The first section explains the objectives of Hawza 'Ilmiyya in Najaf .One major objective is to train clerics to become mujtahid, a person who can derive laws from detailed Islamic sources on his/her own), depending on one's intellectual abilities .The second section deals with the stages that one goes through in Hawza, such as muqadamat' (introductory studies), sutooh (intermediary-advanced studies),and darskharij (advanced-Independent studies).The research sheds light on the stage of muqadamat', in particular the Rhetoric subject . The last section tackles Rhetoric in Hawza and academia.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

يعد المنهج الدراسي من أهم الوسائل التي تساعد المربي في تحقيق الأهداف التربوية ، ولابد لهذا المنهج من أن يكون معدا إعدادا سليما وواضحا للملتقي كي يساعده على التطور والرقي لمراحل متطورة فيما بعد .

ولابد لكل منهج من المناهج الدراسية من أهداف يرجى التوصل إليها باستخدام عدة طرق وأساليب تخص المؤسسة التعليمية تارة وعلوم تخص المادة العلمية تارة أخرى .

وحتى نتمكن من التحدث عن المنهج الدراسي في مدرسة النجف الاشرف (الحوزة العلمية)لابد من أن نستعيد بعض أهدافها لنرى كيف وضعت المناهج ، وهل هي تحقق الوصول للأهداف المرجوة أم لا ؟

وقد سلّط البحث الضوء على منهج الدرس البلاغي في الحوزة العلمية لما أشيع أنه قد أهمل وبذلك سوف تكون خطة البحث مرتسمة على ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف حيث ألقيت الضوء على الهدف الرئيس للحوزة وهو إعداد جيل من المجتهدين يتمكنون من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه المراحل الدراسية في الحوزة العلمية حيث قام البحث بسبر المراحل الدراسية الثلاث،المقدمات، والسطوح، والبحث الخارج، وقد سلّط البحث الضوء على مرحلة المقدمات وخصوصا الدرس البلاغي.

ثم تناول البحث الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية في المبحث الأخير وقد اعتمدت فيه على لقاء خاص مع الأستاذ المساعد الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي لخبرته الحوزوية والأكاديمية .

المبحث الأول : هدف الحوزة العلمية في النجف الاشرف :

تعد الحوزة العلمية مزرعة علماء الدين ومنبت رجال الفقه،لذلك فهي تسعى لتحقيق عدة أهداف أهمها:

١- حفظ الدين وبيانه، فلولا جهود الحوزات العلمية لما بقي من الدين والحقائق الدينية شيء، فبقاء الدين مرهون للجهود العلمية للحوزات.

٢- تقوية الالتزام الديني لدى الناس، فمن هذه الحوزات نهض العلماء المبلغون يروجون ويرسخون القيم الدينية بين الناس، كما تمكنوا من توجيه المجتمع توجيها فكريا.

٣- كان للحوزات العلمية وعلى طوال التاريخ تأثيرٌ في المسائل السياسية، ويجد البحث أن هذا أحد أهدافها؛ للعلاقة المتزامنة بين الدين والسياسة، فمثلا في فترة العلامة الحلي(قدس) الذي كان له مدرسة متجولة، حيث كان يحرك الطلبة معه في المدن والبلاد بكل سهولة، وقبله الشيخ الطوسي(قدس) وتلامذته الكبار الذين انتشروا في آفاق العالم الإسلامي في الشرق والغرب، وكذلك في زمان السيد المرتضى(قدس) ، وفي الفترة التي سبقت الشيخ الأنصاري(قدس) في زمن المرحوم كاشف الغطاء، حيث كانت الحوزات العلمية آنذاك مؤثرة في التحولات الجارية في حياة الناس، ومن ثم تلامذة الشيخ الأنصاري كالميرزا الشيرازي ومن بعده الآخوند وسائر العلماء، وحتى اليوم فإن للحوزة العلمية تأثيرا كبيرا في المسائل السياسية(١).

٤- إن هدف الحوزة العلمية هو إعداد جيل من المجتهدين في كل وقت ليتمكن مثل هؤلاء المجتهدين من استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية ، وتلك الأدلة بحسب المعتقد الإمامي هي: الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع، والعقل(٢) وذلك بحسب ما جاء في قوله تعالى (..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (٣) فقد رسمت الآية ثلاثة أهداف،هي:

أ- الهدف الابتدائي (ليتفقهوا)

ب- الهدف النهائي(لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم)

ج- الهدف الأعلى(لعلهم يحذرون)

فالآية تتضمن دعوة إلى كل طائفة من كل فرقة ومنطقة أن ينفروا للتفقه في الدين، ثم الرجوع إلى أوطانهم ليبلغوا ما تعلّموه من الدين إلى أهلهم(٤).

و إن تحقيق هذا المستوى يتطلب استيعاب الطالب علوم اللغة العربية من مفردات اللغة والنحو والصرف والبلاغة.

وإذا سايرنا الحركة العلمية في دراسات الحوزة الشريفة وجدناها منذ سنة ٤٤٨هـ على يد الشيخ الأكبر أبي جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) وحتى عصرنا الحاضر نجد فيه أن الدرس الحوزوي يبدأ بالنحو العربي والصرف والمعاني والبيان وهي علوم العربية الممهدة لدرسي الفقه والأصول في عملية الاجتهاد والاستنباط الفتوائي ولا يمكن بأي حال من الأحوال للمجتهدين والفقهاء أن يتمرسوا بحياتهم العلمية دون إتقان اللغة العربية بخصائصها

الجزئية ودقائقها ومختلف وجوهها ليتمكنوا من فهم النص الشرعي قرآنا أو حديثا حقيقة أو مجازا ، وبذلك تتفرع الأحكام الشرعية في الوجوب والحرمة والكراهة والاستنباط بالنظر إلى صيغ اللغة العربية في الأمر والنهي والتأكيد والعوامل الأخرى (٥) .

وكذلك علوم القرآن والتفسير من أجل فهم الكتاب الكريم فهما يؤهل المجتهد للاستنباط ، ويعتبر التفسير من أدق وأشق الأعمال ، لأنه يتعامل مع كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٦) وعلى الرغم من كون التفسير أمرا صعبا إلا أنه أمر ضروري ومهم لفهم القرآن ، قال تعالى :(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ) (٧) وقوله :(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٨) ، يقول السيد الخوئي :(وفي هذه الآية توبيخ عظيم على ترك التدبر في القرآن) (٩) ولعل أحد أسباب الحاجة إلى التفسير هي إن القرآن الكريم نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلسان عربي في زمن أفصح العرب ، حيث كانت سليقتهم متسقة ومداركهم متفتحة وكان أمر إدراك القرآن لا يحتاج إلى كثير عناء ، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه والتي كانوا يقفون أمامها في بعض النصوص ، فكانوا يرجعون فيها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيكشف لهم ما دقّ عن إفهامهم ، ويوضح لهم ما خفي عن أذهانهم . قال تعالى :(.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (١٠).

وقد ظل المسلمون على هذا الحال يفهمون القرآن على حقيقته وصفائه ، حتى تقادم الزمن بهم واختلطوا بغيرهم ، ودخل فيهم من ليس منهم حتى تلكأت مهارات العربي وضاعت مميزات العروبة وفقد ملكة البيان . ومن هنا فقد جاءت أهمية التفسير وعظمت عما كانت عليه سابقا وذلك لإعادة مناخ الفهم وحياة اللغة والتبصر بالدقائق(١١).

ففي رواية عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يقول :(..واعلموا رحمكم الله :أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم ..فليس بعالم القرآن ولا هو من أهله . ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدعٍ بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفترٍ على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم و بأس المصير) (١٢) .

ويعتبر الإمام علي (عليه السلام) أول من أشار إلى علوم القرآن فقد تحدث عما خلفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:(... وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممهم ـ إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ، ولا عمل قائم ـ كتاب ربكم ، مبينا حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصه وعامه ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه، مفسرا مجمله ، ومبينا غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق علمه ، وموسع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه ، وواجب في السنة أخذه ، ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجب بوقته ، وزائل في مستقبله ، ومباين بين محارمه

، من كبير أوعد عليه نيرانه ، وصغير أرصد له غفرانه ، وبين مقبول في أدناه ، وموسع في أقصاه) (١٣)

عند إمعاننا للنظر في هذه العبارات نجد أن فيها تقسيما عجيبا وفريدا ، لم يسبق إليه من ذي قبل ، وقد أشار إليه أرباب الصناعة بعد زمان ، فكان الإمام علي (عليه السلام) هو الواضع لأسس هذه العلوم والمبتكر لاصطلاحاتها ، وهذه المصطلحات عند الإمام علي (عليه السلام)هي :

١- الحلال والحرام.

٢- فضائله وفرائضه .

٣- ناسخه ومنسوخه.

٤- رخصه وعزائمه.

٥- خاصه وعامه.

٦- عبره وأمثاله.

٧- مرسله ومحدوده.

٨- محكمه ومتشابهة.

٩- ما لا يسع أحدا جهله.

١٠- ما حكمه مذكور في الكتاب منسوخ بالسنة(١٤)

ولا يخفى على عاقل أن تحصيل علوم القرآن وتفسيره يستند إلى فهم وتدبر في أصول اللغة العربية وآدابها ، لذلك تعد اللغة مقدمة للتفسير.

كما أن فهم (الحديث) يتطلب العلم بعلوم اللغة العربية فضلا عن علوم الحديث لا سيما تراجم رجال الحديث ، على أن لا يعتمد _ كمجتهد _ الى تصحيح الآخرين للحديث ، بل يبحث بنفسه عن تراجمهم ليكوّن عن كل واحد منهم رأيا مستندا الى قناعته الذاتية .

أما متطلبات حصول (الإجماع) أو عدمه على المسألة الشرعية ،فيتطلب مراجعة فتاوى جميع الفقهاء السابقين والمعاصرين وآرائهم.

وأما دليل (العقل) فيتطلب دراسة علم المنطق لمعرفة الأقيسة الصحيحة من المغالطات والملازمات العقلية وغيرها.

وهناك علم آخر أساس لكل استنباط فقهي ، وهو علم أصول الفقه، المتكفل بدراسة كيفية استنباط الحكم من مصادره ودراسة القواعد التي يعتمدها الفقيه لكل عملية استنباط.

كما أن هناك مسألة أخرى تتصف بها الدراسة الحوزوية إضافة إلى إعداد الطالب لبلوغ مرحلة الاجتهاد هي عدم اشتراط مستوىً علمي في من يريد الانتساب للحوزة، إذ يمكن أن ينتمي للحوزة من لا يجيد إلا القراءة والكتابة، وممكن أن ينتمي إليها الأستاذ الجامعي.

المبحث الثاني: المراحل الدراسية في الحوزة العلمية

تبين للبحث أن مفردات المنهج الدراسي الحوزوي في النجف إنما تبدأ بالطالب من نقطة الصفر حتى توصله ـ إذا كان مجداً ـ إلى مرحلة الاجتهاد،وفق المراحل الثلاث: المقدمات،السطوح،البحث الخارج. ولكل مرحلة من تلك المراحل كتبها، وسوف يختص البحث بدراسة مرحلة المقدمات كونها المرحلة التي تدرس فيها علوم اللغة العربية، والتي سيعرضها البحث وفق الآتي(١٥) :

المرحلة الأولى: دراسة المقدمات

يقتصر الطالب في هذه المرحلة على دراسة النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض والمنطق والفقه وأصول الفقه،وبعض النصوص الأدبية.

والكتب الدراسية المتعارف عليها في هذه المرحلة هي:

أـ في النحو والصرف:

١ـ الأجرومية لمؤلفها أبي عبد الله الصنهاجي (٧٢٣هـ). وهو كتاب يبتدئ به الطالب بدراسة المرفوعات والمنصوبات، وهذا الكتاب كان أساس الطلبة في الحوزة العلمية، وقد علّق عليه وشرحه الكثير من العلماء.

٢ـ قطر الندى وبل الصدى لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد(٧٦١هـ)

٣ـ ألفية ابن مالك وهي أرجوزة في النحو، نظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائي(٦٧٢هـ).

وقد شرح هذه الأرجوزة أكثر من شارح ، وقد يختار بعض الحوزويين ـ أساتذة أو طلبةـ شرح ابن الناظم، فيما يختار آخرون شرح القاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني(٧٦٩هـ).

وللتوسع في دراسة المصطلحات النحوية يدرس بعض الطلبة كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب).

ب ـ علم البلاغة والمعاني والبيان: وهو ما حاول الباحث الوقوف عنده في هذا البحث. والدراسة فيه على مرحلتين:

١- الأولى: وتتمثل بكتاب(مختصر المعاني) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(٧٩١هـ). ويعرف هذا الكتاب أيضا بـ (شرح تلخيص المفتاح) أو(اختصار شرح التلخيص)،وله شروح كثيرة وطبعات كاملة أو مختصرة، وهذا الكتاب هو شرح لكتاب (تلخيص مفتاح العلوم) للخطيب القزويني(٧٣٩هـ)، ذلك الكتاب الذي وصفه البلاغيون بأوصاف أفصحت عمّا احتواه من علوم العربية في النحو والصرف والبيان والمعاني.

وكتاب (تلخيص المفتاح) تلخيص للقسم الثالث من كتاب(مفتاح العلوم) للسكاكي(٦٢٦هـ) الذي يتألف من ثلاثة أقسام:

الأول: خاص بالصرف وفقه اللغة، لأن تأسيس الجملة العربية ينبني على الصرف وفقه اللغة ومن ثم النحو.

الثاني: خاص بالنحو.

الثالث: متعلق بعلمي المعاني والبيان، ولم يسمِّ البديع علما وإنما جعله ملحقا وسمّاه(وجوه تحسين الكلام) (١٦)

ثم رأى أن تلخيصه لقسم من كتاب جعله محدود وموجز فألف كتابه(الإيضاح) وفيه تفصيل ، وهو ليس شرحا للتلخيص وإنما هو كما قال عنه: (جعلته كالشرح له)؛ لأنه قدّم وأخر، وبدّل وغيّر، وطعّمه بتحليلات الجرجاني(٤٧١هـ) واستنباطات الزمخشري(٥٣٨هـ) في الكشاف،وضوابط السكاكي، وأضاف شيئا من منطقه وتحليلاته، فكان كتابا منهجيا في تناوله، قد اعتمدت عليه الكثير من الدراسات المتأخرة المتخصصة في كليات اللغة العربية المتعمقة في تدريس مادة البلاغة لطلبتها.

وعلى الرغم من أن المؤلف واحد ـ الخطيب القزويني ـ لكلا الكتابين(تلخيص المفتاح) و(الإيضاح)، وكان (الإيضاح) متأخرا في تأليفه عن (التلخيص) ؛كونه متنا يتحمل التحليل والتفصيل والتعليل والتحشية، فضلا عمّا تميّز به مؤلفه من منطق وفلسفة أعانته على التقعيد والتشعيب والتسديد في الفروع والجزئيات،وحسن الاستشهادات، لذا استهوى كتاب (التلخيص)الدارسين والباحثين البلاغيين، فاقبل الشراح عليه وجعلوه صلب دراستهم البلاغية المتأخرة(١٧).

ومن بين تلك الشروح التي تناولته (المختصر) و(المطوّل) للتفتازاني، وهما أشهر الشروح وأكثرها تداولا؛ لما فيهما من حسن السبك ولطف التعبير.

٢- الثانية: وتتمثل بكتاب(المطوّل) للتفتازاني، وهو من أبرز المناهج التي تدرس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

ولمكانة هذا الكتاب بين كتب البلاغة، فقد عدّه كبار البلاغيين ثاني اثنين في البلاغة العربية، بعد كتابي عبد القاهر الجرجاني.

ومما يزيد في مكانته ارتباطه بالكتابين الأولين: (مفتاح العلوم) للسكاكي و(تلخيص المفتاح) للقزويني، فهو شرح للثاني ، والثاني اختصار للأول، وعليهما قامت البلاغة علماً ذا أصول وقواعد، كما تبدو أهمية هذا الكتاب من ناحية أخرى في كونه ليس شرحا فحسب، بل فيه مناقشة للكثير من مسائل البلاغة ، وتميّز في الرأي العلمي، وإفادات من كلام الشيخ عبد القاهر والزمخشري، فضلا عن غيرهما من العلماء الذين تظهر أسماؤهم وآراؤهم في صفحات المطوّل وسطوره.

ج ـ في المنطق: وتكون دراسته على مرحلتين

١- الأولى: وتتمثل بكتاب(الحاشية) لملّا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي(٩٨١هـ) وقد استعاض بعض طلبة الحوزة عنه أخيرا بكتاب (خلاصة المنطق) للدكتور عبد الهادي الفضلي.

٢- الثانية: وتتمثل بكتاب (تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية) لقطب الدين محمد الرازي(٧٦٦هـ) وقد استعاض بعضهم عنها بكتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر(١٣٨٣هـ).

د- الفقه: وتكون دراسته على مرحلتين

١- الأولى: تتمثل بدراسة (تبصرة المتعلمين) للمحقق أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي (٦٨٦هـ) أو كتاب (المختصر النافع في فقه الإمامية) للمحقق الحلي أيضا.

وفي السنين الأخيرة جرت العادة على الاستغناء عن دراسة هذين الكتابين في هذه المرحلة والاستعاضة عنهما بمجموعة فتاوى المجتهد الأعلى وزعيم الحوزة العلمية وقت الدراسة، والتي يعبر عنها في الوسط الحوزوي بـ (الرسالة العملية).

٢- الثانية: تتمثل بدراسة كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقق الحلي.

ويسعى البعض(١٨) إلى تطوير الدرس الفقهي من حيث العمق،بحيث يكون أكثر عمقا منه في زمن الشيخ الطوسي(قدس)، وذلك بسبب مواجهة الأفكار والنظريات المختلفة والمتجددة. والتعمق عندهم لا

يعني تناول الحواشي والهوامش والزوايا والتعليقات الزائدة، بل هو معالجة المسائل ووضعها موضع التفحص والتحقيق باستعمال الطرق والأساليب الجديدة، ويجد البحث أن هذا هو المتّبع في حوزة النجف العلمية بدون شك.

هـ - الأدب والعروض:

لا يلتزم معظم طلبة الحوزة العلمية في النجف بمنهج دراسي معين فيما يرتبط بالأدب والعروض، وإنما يستحصل الطالب فيها معلوماته عن طريق المطالعة الشخصية.

ففي الأدب يحاول الطالب حفظ شيء من خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، وحفظ بعض قصائد الشعراء الكبار.

أما في العروض فالمهتمون من طلبة الحوزة بهذا العلم دأبوا على دراسته أو مطالعته في كتاب (الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) للدكتور مصطفى جمال الدين.

إضافة لما تقدم فإن الكثير من الطلبة هناك يمارسون التمرين العملي – بين زملائهم وأساتذتهم – على الخطابة؛ لحاجتهم إليها في إلقاء المحاضرات العامة، أو ارتقاء المنبر الحسيني(١٩).

ولذلك من المناسب جداً القول أن الحوزة العلمية في النجف الاشرف يتخرج منها ثلاث فئات هي:

١- فئة الحوزة الدينية العلمية: وهي التي تعنى بعلوم الشريعة الإسلامية لغرض معرفة العقيدة والفقه، وما يتعلق بهما من العلوم، وهي الفئة التي يترشح منها العلماء والمراجع الدينية.

٢- الفئة التي اتجهت بها الموهبة الأدبية نحو الشعر الذي اتسع لجميع الأغراض، وفي مقدمتها الشعر الوطني والقومي، والشعر الوجداني، والشعر التعليمي، وكذلك كانت تعنى بفنون النثر.

وقد حاز عدد غير قليل من رجال الحوزة الحسنيين بانتسابه إلى فئتين من فئات الحوزة العلمية، فقد كان الحجة السيد محمد سعيد الحبوبي مثلا شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء.

وجميع هذه الفئات قد عنيت بعلوم اللغة العربية ، ومارست الشعر وفنون النثر، وقد أُلِع بعضهم بطرائق تدريس اللغة والبحث عن وسائل تيسيرها، ومنهم الشيخ محمد جواد الجزائري(٢٠)

إن البلاغة يدرسها الأدباء والشعراء ولما كانت النجف الاشرف عاصمة الثقافة العربية الإسلامية فكانت تقصدها الوفود الثقافية والجامعية من مختلف الأقطار العربية والإسلامية، ففكر أدباء النجف بتأسيس(الرابطة العلمية الأدبية) عام ١٩٣١م، فكانت النواة الأولى لميدان الشعر وفن النثر تحيى به المناسبات وتستقبل الوفود وتعبر عن وجهة نظر النجف الاشرف.

ومن ثم قامت (جمعية منتدى النشر) بمجمعها الثقافي وتطورت إلى دراسة حوزوية منتظمة تجمع بين القديم والحديث فأسست (كلية منتدى النشر) في فصول متعددة كان أهمها الشريعة الإسلامية والآداب العربية وفن خطابة المنبر الحسيني.

وكان للصحافة الأدبية في النجف الاشرف الدور الكبير في الوعي الكبير في الحس الديني، فكانت

جريدة(الفرات) للشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي لسان ثورة العشرين في مقالاتها الوطنية وخطبها النارية وتعليماتها للثوار، ومن ثم كانت جريدة الاستقلال اللسان المعبر عن الثورة وصاحبها(المحامي محمد عبد الحسين) وكانت مجلة العلم لصاحبها السيد هبة الدين الشهرستاني أول مجلة علمية ثقافية تصدرها النجف عام ١٩١٠م.

ولعلّ من أفضل مجلات النجف في الحفاظ على أصالة اللغة العربية لصاحبها المرحوم محمد علي البلاغي، صدر منها ستة وستون عددا في ستين مجلدا، في كل شهر مجلد، وكتب فيها قادة الفكر وجبابرة العصر من الأمة الإسلامية المجيدة فكانت بالمستوى الراقي والعلمي المتميز.

وكانت الندوات الأدبية والمهرجانات العالمية والإقليمية مجالا لتباري الشعراء والأدباء والخطباء في معارضة الظلم والطغيان والاستعمار والطائفية والعنصرية، مما احتضنه المراجع العظام احتضانا مزدهرا، ولقد أوعز المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم (١٣٩٠هـ) إلى إقامة الحفلات الجماهيرية في أغلب مناطق الجنوب والفرات الأدنى والفرات الأوسط والنجف وكربلاء والكاظمية في مكافحة النزعات الوافدة والأفكار الهدامة والطائفية البغيضة ، وكان يدعو الشعراء إلى الجهاد في سبيل الله ، واعتبرهم الأداة المعبرة عن مطالب المرجعية العليا وسيادة القانون والمساوات في الحقوق والواجبات.

المبحث الثالث: الدرس البلاغي بين الحوزة والأكاديمية

يحاول البحث في هذا المبحث عقد مقارنة بين الحوزة والأكاديمية فيما يخص الدرس البلاغي.

ولأجل التحقق أكثر في هذا الخصوص ارتأى البحث الالتقاء بأحد الدارسين والمدرسين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وهو أكاديمي جامعي بمعنى أنه مطّلع على الدراستين معا، وهو الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي.

وكان كلام الشيخ يحتوي على الآتي:

١- الدرس البلاغي له إطار كما هو شأن أي علم آخر في السعة والضيق.

٢- ما يدرس حوزويا بمرحلة المقدمات يمثل أوسع دائرة في الدرس البلاغي من جهة الاستيعاب للأقسام البلاغية الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، مع الدخول بكل تفريعات المسائل فيها ومحاولة عرض ودفع الإشكالات والتوهمات المطروحة نقدا وتحليلا.

فمن مختصر المعاني الذي هو أول ما يدرس بلاغيا كبداية_ كما ذكرنا سابقا_ وإن اكتفى به بعضهم، فهو أوسع مما يدرسه أعلى مستوى أكاديمي، إذ لا يطرح أكاديميا إلا ما يمثل شطرا من قسم طوال مرحلة مستقلة، ولشذرات ملتقطة فحسب.

٣- إن الطريقة الحوزوية تختلف عن الأكاديمية في العرض، فالأستاذ وإن لم يتعرض للمطولات ككتاب منهجي، إلا أنه لا يترك مطلبا منها إلا ويعرضه في الدرس.

إذ أسلوب العمق ومحاولة الإستيعاب لكل شاردة وواردة تدفعه لعرض المتن أولا، ومن ثم التوسعة إلى كل ما قيل ويقال حول المسألة في الشروح والمطولات، فهو بهذا استنفذ الحد الأعلى لما تحويه هذه المادة من سعة وإن كانت المستويات مختلفة أساتذةً وطلبة.

لكن هذا لا يعني التقصير بأصل الوضع المنهجي بقدر ما هو في إدراك البعد للمطلب العلمي منهما. وهذا أمر نجده واضحا حتى بمثل الدرس الأكاديمي، إذ أن بعض الطلبة يتفاوت مع الآخر، كما أن أستاذ مادة معينة له من أطر المعرفة ما لا تحصل حتى لمن هو أعلى منه درجة علمية.

٤- إن من استوعب كتاب جواهر البلاغة أكاديميا ـ كما كان يطرح في كلية الفقه سابقا للدرس البلاغي كمنهج ـ يعد دارسه مستكملا لمثل هذا الدرس بأوجهه العامة تفصيلا، وهذا وإن يعد درسا في مستوىً عالٍ في الجامعات ، إلا أنه يمثل مرحلة الطالب الحوزوي المبتدأة من جهة، ومن جهة أخرى يعد دارسه الحوزوي قد نحى منحىً مخالفا لأقرانه إذ اعتمد الأسلوب الأسهل والعبارة الأبسط التي لا تليق بالدارس الحوزوي، وميالا للتسهيل. ولعلّه يشار إليه بأنه لم يستكمل حلقته الدراسية البلاغية بشكل أفضل إذ اعتمد على كتاب ما لم يمتلك العمق المطلوب، لذا نجد أن الطالب لا يكتفي بمختصر المعاني فقط من أجل فهمه بدون الاعتماد على مساعد معين ، ولعلّ الأكاديمي منا لم يطلع على بعض مصادر البلاغة بل لا يعرفها وقد تخرج من سنة دراسية كاملة وهي أساس مبتغاه.

٥- العلوم تختلف فيما بينها من حيث الغاية منها، فالدرس الحوزوي يتجه بدرسه للوصول للاستنباط والحكم الشرعي وهذا لابد له من آليات عدة بعضها يعد مقدمة والأخرى الغاية المطلوبة، ولا يعني ذلك أن المقدمة لا تكون من الأهمية بمكان فعدّت مقدمة، بل بواسطتها يتمكن من الوصول إلى الخاتمة، فأهميتها أسبق تطبيقا. فالنحو والرجال والبلاغة والصرف ونحوها أدوات أولى يحتاجها الفقيه وصولا لمجال التخصص المطلوب بالفقه والأصول تحقيقا لغرضه. لذا عدّ بعضهم هذا الترتيب بالسلم الدراسي الحوزوي تجاهلا وإهمالا للبلاغة، ولكنه استوعب المادة بكل أطرها العامة وما يحتاج إليه الدارس وبكل خصوصيات المطالب وصولا إلى الحد الأقصى للإطار العام فيها.

٦- من المسلمات أن الدرس الحوزوي يحتاج إلى ممارسة فيه للتطبيق، وهذا ظاهر في قيام كل من تجاوز المرحلة الدراسية المعينة القيام بتدريسها لمن هو أقل منه مرحلة علمية، وهذا المنهج المتبع حوزويا له مميزات عدة منها القيام بممارسة عملية التدريس بذاتها والتي تكسبه شيئا فشيئا خبرة الأداء تدريجيا، مضافا إلى البقاء بعملية مداولة المعلومة إذ كانت درسا سابقا، واليوم تدريسا، ومعلوم أن التدريس يحتاج مراجعة كاملة من أجل الوقوف والجواب على كل إشكال قد يطرحه الطلبة ليكون الأستاذ ناجحا، وهذا يعطيه العمق الأكثر لا السطحية لأجل معرفة المعلومة المجردة فقط بعيدا عن التحليل.

وإن كانت الدقة الحوزوية قد تصل أحيانا إلى سلبيات من جهة أخرى إذ يأخذ المدرس بكل شاردة وواردة حتى يكون أصل الموضوع شاردا والطلبة في عالم آخر.كذلك الاعتقاد السائد بأنه كلما كانت الكتب الدراسية مكتوبة بعبارات غامضة ومعقدة كلما كان مضمونها العلمي قويا.

فمثلا قول مصنف الكتاب الذي يدرسوه (مقدمة) ، يطنب الأستاذ فيها ويحاول إيجاد حل نحوي وتوجيه معقول كان مقصودا أو لم يكن للمؤلف بقوله هذا. فمما هو معلوم أن النكرة لا يجوز الابتداء بها نحويا إلا إذا كانت هناك مسوغات، فيتسلسل بتبريرات قد يوصلها بعضهم إلى أربع، منها: إنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه مقدمة، أو على تقدير: أبدأ بمقدمة فتكون معمولة فعل محذوف وهكذا.

الخاتمة

من مجموع ما تقدم نخلص إلى أن العلوم بعضها متقدم على بعض وذلك يرجع لأسباب قد تكون راجعة إلى أصل الموضوع، كعلم النحو بالنسبة إلى البلاغة، أو لتقدم غايته كعلم الكلام، فإن موضوعه وهو المبدأ والمعاد... أشرف الموضوعات وغايته وهي معرفة أصول الدين من أجلّ الغايات، لذا سمي بالفقه الأكبر، وأما من جهة اشتماله على مبادئ العلوم المتأخرة كقسم ثالث كالمنطق بالنسبة إلى ما عداه من العلوم، أو لحيثيات أخرى غير ما ذكر مثل علم النجوم المقدّم على غيره من جهة زمان التأسيس، بمعنى أنه كان متعارفا بين الناس في زمان لم يكن فيه من علم الأصول مثلا اسم ولا ذكر.

ومرتبة علم الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية(٢١) ، متأخرة عن غيره من العلوم بالاعتبار الثالث المتقدم، لافتقاره إلى ساير العلوم واستغنائها عنه.

أما تأخره عن علم الكلام ؛ فلأنه يبحث في هذا العلم عن كيفية التكليف، وذلك مسبوق بالبحث عن معرفة نفس التكليف والمكلف، كمعرفة حقيقة الوجوب والحرمة، وكمعرفة البارئ تعالى ، وهاتان المعرفتان إنما تحصلان في علم الكلام فهو سابق على الفقه.

وأما تأخره عن علم الأصول فظاهر، لأن هذا العلم ليس حروزيا_ بديهيا_ بل هو محتاج إلى الاستدلال، وعلم أصول الفقه متضمن لبيان كيفية الاستدلال.

ومن هنا يظهر وجه تأخره عن علم المنطق أيضا؛ كونه متكفلا لبيان صحة الطرق وفسادها ، فبعلم المنطق يعلم صحة استدلال الفقيه بحرمة الخمر مثلا بقوله: حرمة الخمر مما دلّ عليه الخبر، وكل ما دلّ عليه الخبر فهو حق، فحرمة الخمر حق، وهذا قياس من الشكل الأول من أنواع الأقيسة الأربعة(٢٢).

وأما تأخره عن علم اللغة والنحو والتصريف وكذا البلاغة، لأن من مبادئ هذا العلم الكتاب والسنة واحتياج العلم بهما إلى العلوم هذه ظاهر إذ ابتنى القرآن الكريم في إعجازه على دعائم عدة منها: بلاغته وأسلوبه الذي يتوقف معرفة لحن خطابه فيه على مقاصد الشارع البلاغية التي خاطب بها تلك البيئة البليغة في عصرها، والمراد منه الاستمرار لكل عصر، وها نحن لم نعرف المقصود القرآني

بسليقتنا كما كان في العصور الأولى لبعدنا.. ودخول اللغات الأخرى نتيجة تداخل الثقافات والفتوحات ونظائر ذلك.

مضافا إلى ذلك فإن الكتاب والسنة كونهما عربيين فيحتاج العلم بهما إلى معرفة أوضاع مفردات الألفاظ ومركباتها وكيفية جواهر الكلمات وهيئاتها لتمتاز الحقائق في مجازاتها والاشتراك والحذف إلى غير ذلك، وكل ذلك يعلم من العلوم المذكورة.

وبهذا فالدرس البلاغي نظرا لسياقه عند الطالب الحوزوي في مدرسة النجف وغيرها لم يهمل وإنما له مدى وسعة استوعبت في ظرفها المقرر لها انطلاقا لتخصص أعمق هو غاية الدارس، لا يعني ذلك اهمالها أخيرا.

الهوامش

١- علي الخامنئي/الحوزات العلمية وتطوير البرامج والخطط التعليمية/مجلة فقه أهل البيت/عدد٣٥ /١٥٠-١٥١

٢- ظ: المظفر/أصول الفقه/٣/٤٥-١١٢+ محمد تقي الحكيم/ الأصول العامة للفقه المقارن/٩٣- ٢٨٦

٣- التوبة: ١٢٢

٤- ناصر مكارم الشيرازي/ حوارات في التجديد المنهجي للدراسات الحوزوية / مجلة فقه أهل البيت /عدد٣٥ / ١٦٩-١٧٠

٥- ظ: محمد حسين الصغير/أصالة النجف في الحفاظ على سلامة اللغة العربية/بحث المؤتمر العلمي الرابع لكلية الفقه/١٧

٦- ظ: محمد باقر الحكيم/تفسير سورة الحمد/كلمة المؤلف

٧- ص:٢٩

٨- محمد:٢٤

٩- الخوئي/البيان/٣٦

١٠- النحل:٤٤

١١- ظ: الطبرسي/مجمع البيان/٢٣/١ + السيوطي/الإتقان/نوع ٧٧ /٥٧٠ + الزرقاني/مناهل العرفان/٦/٢ +محمد حسين الصغير/ المبادئ العامة /٢٦

١٢- المجلسي/ بحار الأنوار/٤/٩٠ + الشاهرودي/ مستدرك سفينة البحار/٢٠٠/٨

١٣- ابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/١١٦/١

١٤- ظ: م.ن/١٢٠/١ -١٢٢ + محمد عبده/شرح نهج البلاغة/٢٥/١_٢٦

١٥- ظ: علي البهادلي/الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية

١٦- ظ: التفتازاني/المطوّل/٦٥٢

١٧- ظ: حاجي خليفة/كشف الظنون/٤٧٤

١٨- ظ: علي الخامنئي/ الحوزات العلمية وتطوير البرامج والخطط التعليمية/مجلة فقه أهل البيت/عدد١٥٣/٣٥

١٩- لقاء خاص مع الأستاذ المساعد الشيخ الدكتور جواد الشيخ أحمد البهادلي/ شيخ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف

٢٠- ظ: محمد كاظم البكاء/ تطور الدرس اللغوي في الحوزة العلمية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية

٢١- ظ: محمد تقي الحكيم/الأصول العامة للفقه المقارن/٣٦

٢٢- ظ: المظفر/المنطق/٢٠٠-٢٠١

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

• التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (٧٩٢هـ)

١- المطوّل، ومعه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) / تصحيح وتعليق: أحمد عزو عناية/ط١/ دار إحياء التراث العربي/ ١٤٢٥هـ

• جواد الشيخ أحمد كاظم البهادلي

٢- لقاء خاص حول أهمية الدرس البلاغي وتطوره في الحوزة العلمية

• حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله(١٠٦٨هـ)

٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/مطبعة وكالة المعارف/استانبول/١٩٣٤م

• ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)

٤- شرح نهج البلاغة / تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم / طبع : منشورات مكتبة المرعشي

• السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن(٩١١هـ)

٥- الإتقان في علوم القرآن/ ضبط وتصحيح وتخريج: محمد سالم هاشم/ط١/دار الكتب العلمية/١٤٢٥هـ/ بيروت

•الشاهرودي: علي النمازي

٦- مستدرك سفينة البحار/ تحقيق: حسن بن علي النمازي / ١٤١٩هـ

•الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ)

٧- مجمع البيان في تفسير القرآن/تحقيق لجنة من العلماء والمحققين/ط١/١٤١٥هـ/نشر:مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/بيروت

• علي أحمد البهادلي

٨- الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية/ ط١/دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/١٤١٣ هـ

• علي الخامنئي

٩- مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) /العدد ٣٥ / السنة التاسعة / ١٤٢٥هـ

• أبو القاسم الخوئي(١٤١٣هـ)

١٠- البيان في تفسير القرآن/مطبعة العمال المركزية/١٤٠٩هـ

• المجلسي:محمد باقر(١١١١هـ)

١١- بحار الأنوار/ط٢/مؤسسة الوفاء/١٤٠٣هـ

• محمد باقر الحكيم (١٤٢٤هـ)

١٢- تفسير سورة الحمد/ط١/ليلى/١٤٢٠هـ

• محمد تقي الحكيم

١٣- الأصول العامة للفقه المقارن/ط٤/١٤٢٢هـ/ بيروت/المؤسسة الدولية للدراسات والنشر

• محمد حسين علي الصغير

١٤- أصالة النجف في الحفاظ على سلامة اللغة العربية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية/ ١٧-١٨/٥/٢٠٠٩ /كلية الفقه

• محمد رضا المظفر(١٩٦٤م)

١٥- أصول الفقه/ ط١٣/نينوا/ نشر اسماعيليان/ ١٤٢٥هـ

١٦- ا لمنطق / ط ٣ /١ سر و ر / نشر اسماعيليان/١٤٢٦هـ

• محمد عبد العظيم الزرقاني

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن/تحقيق: أحمد شمس الدين/ط٢/دار الكتب العلمية/بيروت/١٤٢٤هـ
• محمد عبدة
١٨- شرح نهج البلاغة/نشر دار النهضة/بيروت
• محمد فؤاد عبد الباقي
١٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / نشر: آوند دانش / طهران
• محمد كاظم البكاء
٢٠- تطور الدرس اللغوي في الحوزة العلمية/ مؤتمر دور الحوزة العلمية في الحفاظ على أصالة اللغة العربية/ ١٧-٢٠٠٩/٥/١٨ /كلية الفقه
• ناصر مكارم الشيرازي
٢١- مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) /العدد ٣٥ /السنة التاسعة / ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البراديغم (النموذج) اللغوي في المغرب
بين سلبيات التعددية وإثبات الهوية

Language Paradigm in Morocco between the Negative Multilingualism and Identity

أ.م.د. سعاد بنت شعيب اليوسفي

جامعة محمد الخامس ،كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط

Assist.Prof.Dr.SuadBintShoaibYoussoufi

University of Muhammad V , Rabat

ملخص البحث

هذه الدراسة تحاول الإجابة على الأسئلة التالية: ماهو واقع اللغة في المغرب؟ واي براديغم (نموذج) لغوي يوجد في المدرسة المغربية؟ وما موقع اللغة العربية داخل هذا البراديغم؟ واي نموذج لغوي نراه مناسب للتعليم؟ واخيرا: هل التعدد اللغوي يؤدي الى التداخل او اللحن في اللغة الرسمية؟

سيتم التركيز في الجواب على هذه الأسئلة على المواضيع التالية واقع اللغة في المغرب -:التعدد اللغوي – التداخل اللغوي -ثم اللغة و الهُوية و الثقافة الوطنية.

Abstract

This study attempts to answer the following questions.

What is the reality of language in Morocco? What language paradigm is found in Moroccan schools? What is the place of Arabic in this paradigm? Whatis the language paradigm that we thinksuitable for education? Finally,does multilingualism lead to interference or mistakes in the official language?

The focus inthe answers to these questions will be on the following topics:reality of language in Morocco, multilingualism, linguistic interference, language and identity and national culture.

المقدمة

آثرت أن أتناول في هذا العرض موضوع "النموذج اللغوي بين سلبيات التعددية و إثبات الهوية، وسأحاول تحديد بعض المعالم في هذه المقاربة لواقع اللغة في المغرب، و البحث في مشكلاتها التي تتجلى في التعددية ومخلفاتها وإدماجِها في السياق الكلي للتعليم، ثم إظهار الدور المركزي الذي يجب إناطتُه باللغة التي نَدرُسُها كلغة رسمية للدولة المغربية و البحث في وظيفتها التواصلية ،وحفظها من التداخلات اللغوية ،.ثم كيفية تثبيت الهوية الوطنية داخل اللغة.

ولكي ألم بجميع هذه المحاور سأنطلق من الأسئلة التالية باحثة عن إجاباتها في سياق التفاعلات اللغوية التي يفرضها الواقع المغربي بكل تجلياته :وسأستهل بالسؤال الآتي: ما هو واقع اللغة في المغرب ؟ وأيُّ براد ؟(نموذج) لغوي يوجد في المدرسة المغربية ؟ثم ما موقع اللغة العربية داخل هذا البراديغم؟

أو أيَّ نموذج لغوي نراه مناسبا للتعليم. ثم هل التعدد اللغوي يؤدي إلى التداخل أو اللحن في اللغة الرسمية؟

سيتم التركيز في الجواب عن هذه الأسئلة على المواضيع الآتية واقع اللغة في المغرب:التعدد اللغوي –التداخل اللغوي -ثم اللغة و الهُوية و الثقافة الوطنية

واقع اللغة في المغرب

اختار المغرب منذ الاستقلال اللغةَ العربية الفصحى لغة رسمية للبلاد، لأنها لغةُ القرآن الكريم. وأصبح التعريبُ وسيلةً للتدريس فواكب جميعَ مظاهرِ العلوم والتكنولوجيا والثقافة الكونية ،وحلَّت العربية محلَّ اللغةِ الفرنسية في جميع المجالات.

ومن أهداف هذه السياسة الحفاظ ُعلى الوحدة اللغوية وترسيخُ الهُوية العربية والإسلامية ، وتحقيقُ الاستقلال الثقافي في جل الميادين.

فالنظام اللغوي في المغرب يأخذ شكلَ واقع رباعي المكونات: فهناك اللغة الأم، والعربية، و الأمازيغية ثم الفرنسية. وبهذا يمكن عدّها بمثابة المحور الذي تتشكل حوله المجموعات الثقافية وإذا تفحصنا الدينامية التي تحرك الثقافة المغربية لاحظنا أنها تقوم بموازاة أقطاب ثلاثة هي: قطب الأمة العربية قطب اللغة الفرنسية ، ثم القومية العصريـة. وهذه الأقطاب لا توجد دون استحضار المـرجعية اللغـوية التي تُشكـل أيضـا معالم للهويـة، وموقعَها في دينامية علاقات الأفراد،

وعانت اللغة الأمازيغية من الإقصاء والتهميش منذ الاستقلال إلى حدود سنة ٢٠١١ إذ بوصفها لغة اعترف الدستور الجديد باللغة الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية الفصحى.

فإلى حدود بداية التسعينيات، كانت الهُويةُ الوحيدة المعترف بها رسميا هي الهوية العربية والإسلامية، ولم يكن التعدد اللغوي والثقافي معترَفا به رسميا كمظهر من مظاهر الثقافة المغربية، رغم أن الواقع المغربي يشهد بثقافة متنوعة وغنية يستحيل غضُّ الطرْف عنها أو تجاهلُها حتى أحْدِث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

وضعية اللغة العربية في المنظومة التعليمية:

لا بد من الإلمام في هذا الموضوع بمجموعة من الجوانب ،يتجلى بعضها في المنهاج الدراسي وآخر بمرجعيات التأهيل المعتمدة في التكوين

ففيما يتعلق بالمنهاج المعتمد في التعليم و بالتحديد ما يخص اللغة العربية فإنه يرتكز على جملة من المنطلقات و الأسس تتحدد مرجعيتها فيما يلي

فالمنطلقات تتجلى في(١) :

.الميثاق الوطني للتربية و التكوين

.الوثيقة الإطار للاختيارات و التوجيهات الرسمية

.استحضار النظريات التربوية الهادفة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية ودورِها في التداول اليومي ، و المساعدة على تذليل الصعوبات البيداغوجية و الديدكتيكية

أما الأسس.فتتحدد في :

- الأسس الاجتماعية: و تتمثل في

التشبث بالعقيدة الإسلامية ،و الارتباط بالوطن،و التنوع و الانفتاح الذي يتميز به المجتمع المغربي.

- الأسس الثقافية و تتمثل في

تنوع روافد الثقافة المغربية و قدرتها على الحفاظ على هويتها .

الأسس السيكولوجية : تراعي خصوصيات المتعلم و آليات اكتسابه الطبيعي للنسق اللغوي و التفاعل مع المعرفة و كل ما يتصل بالنمو النفسي للمتعلم و كل ما يخص اكتسابَه للغة العربية الفصيحة، قراءة و كتابة وفهما وتعبيرا.

باختصار يمكن القول إن منهاج اللغة العربية يتبنى استراتيجيات تعليمية تعلمية تنبني على:

- تنمية التفكير الاستنباطي لدى المتعلم و تمكينُه من استنباط قواعد و مبادئ تحكم نسق اللغة.
- تعزيز لغة القرآن وإدراك دلالاتها
- تشجيع الميول الثقافية و قابليات المطالعة والقراءة.
- الأسس التربوية :

ركز المنهاج على ما يأتي:

- على مستوى المتعلم : كونه المحور المركزي في العملية التعليمية التي ينبغي أن تنتهيَ عندها الأهدافُ العامة لتحقيق المهارات اللغوية ، و التي تستوجب الانتقالَ من التعليم إلى التعلم عبر ترسيخ مبدأ التعلم الذاتي الذي يجعل المتعلم يعي جيدا مسؤوليتَه تجاه العملية التعليمية التعلمية انطلاقا من ثنائية تعزيز المكتسب ،و الحافزية الذاتية لتحصيل المعرفة.
- على مستوى المدرس : كونه الوسيط و المنشط للعملية التعليمية التعلمية ،لذا يشترط توافر مجموعة من المهارات اللغوية و القدرات المهنية التي تتمحور في:

الفعالية المهنية :و تتجلى في قدرة المدرس على تخطيط وضعيات التدريس في ضوء الكفايات النوعية للغة العربية و متطلبات الدرس و حاجات المتعلمين و اقتراح الأنشطة الملائمة لكل مكون من مكونات المادة كمكون القراءة أو الدرس اللغوي أو التعبير و الإنشاء .

التنشيط : من الأساليب الحديثة المعتمدة في تدريس اللغة العربية كالتدريس التعاوني في إطار جماعات القسم (فليبس٦- ا- الثلاثية...)و يجب على المدرس أن يعيَ الدورَ المناط به كوسيط أو مدبر للعلاقات بين المتعلمين.

التصور الديدكتيكي(التدريسي) لمنهاج اللغة العربية :

١- استحضار المقاربة بالكفايات في جميع مكونات المادة و التركيز على الكفايات الآتية: اللغوية – التواصلية –المنهجية –الثقافية –الممتدة

٢- اعتماد تصور تكاملي بين مكونات المادة

٣- اعتماد مقاربة تدريسية يتم فيها إدماج جميع الكفايات، فضلا عن ربط القيم والمضامين و المهارات بسياق المتعلم الاجتماعي و الثقافي في ضوء قدراته على الابتكار و الإبداع.

٤- ربط التعلمت بواقع المتعلم و بالواقع المعيش.

المداخل الديدكتيكية (التدريسية):

اعتماد المقاربة بالكفايات كونها تتحقق عبر أنشطة و مهام متمركزة حول جَهد المتعلم

التنظيم المنهجي أي جميع المعطيات الديدكتيكية التي تتعلق بتنظيم المادة الدراسية و مناهج تدريسها و أساليب تعلمها و الوسائل و الأدوات المعتمدة

كما التزم النظام التربوي المغربي بمراعاة النسيج الاجتماعي و الالتزام بالقيم الحضارية الإسلامية و التمسك باللغة العربية من خلال وظائفها التي يمكن تلخيصها في

- وظيفة التواصل الضروري بالرغم من تنافس بعض اللهجات ،كاللهجة المغربية التي تتنافس مع اللغات الأمازيغية القبلية في المجتمع المغربي.

- الوظيفة الدينية التي تستوجب تأدية الشعائر الدينية باللغة العربية ، قال تعالى" إنا أنزلناه قرآنا عربيا". ولا منافس للعربية في تأدية هذه الوظيفة لغةٌ أو لهجة.

- وظيفة التثقيف التي تفرض على المؤسسة التعليمية التدريس بالعربية من أجل تنشئة اجتماعية سليمة أبناء في إطار حضارة الإسلامية وعمودها القرآن.

-الوظيفة الاجتماعية الناجمة عن انفراد العربية بتأدية أغلب الوظائف ،إذ يشتدُّ التماسكُ الاجتماعي بتوحيد اللغة في المجتمع ، ويضعف هذا التماسكُ إلى درجة التفكك بسبب التعصُّب لِلُغة معينة أو لَهجة محلية

-وظيفة دولية؛ انطلاقا من إحصاء عدد الناطقين بالعربية احتلت الرتبةُ الخامسة عالمياً ضمن اللغات الحية حالياً إضافة إلى وضعيتها القانونية في المنظمات الدولية .

وللعربية الآن وضعُ اللغة الرسمية في الأمم المتحدة و الوكالات المتخصصة إلى جانب الأنجليزية والفرنسية والإسبانية .فضلا عن وزنها الثقافي كونها لغة الإسلام آخر الأديان السماوية الثلاثة، ولغة حضارة عالمية لعدة قرون ماضية. و قوة اقتصادية هائلة ،نظرا لبلدانها التي تختزن ثروات استراتيجية هائلة.

ولقد نظم المجلس الأعلى للتعليم ندوة علمية سنة ٢٠٠٩حول تدريس اللغات و تعلمها في المنظومة التربوية و كان الهدف منها تشخيص وضع اللغات في التعليم المغربي و البحث عن وسائل العلاج و خلق مجال للتفكير و تبادل الآراء بين الخبرات الوطنية و الدولية و المؤسسات و الهيئات المعنية،وتم التأكيد في الأرضية المؤطرة لأشغال هذه الندوة على معطيات أساسية تتمثل في عدِّ إشكالية تدريس اللغات و تعلمها إحدى القضايا الأفقية الأساس للمنظومة التربوية ذات الانعكاس المباشر على مرد وديتها الداخلية و الخارجية ،وفي أن التمكن من اللغة يعد سبيلا للتشبع بالمكونات المتعددة للهوية الوطنية الموحدة بتوا بثها في تنوعها مع التنوع الثقافي و اللغوي وفي انفتاحها على العالم.... (٢)

نلاحظ أن اللغة العربية تبوأت مكانة رئيسة في المغرب وخاصة في النظام التعليمي بالنسبة إلى باقي اللغات -فهي مادة للدراسة و للتدريس رغم الوهم المطروح عند بعض المغاربة هو أن اللغة العربية وتعريب المواد العلمية من بين الأسباب في مشاكل التدريس . وأنها لغة قديمة لا تخدم التطور و لا تقبل الدخيل

التعددية اللغوية

نعلم أن المغرب يزخر بعدة ثقافات وطنية ومحلية،

فإلى جانب الثقافتين العربية والأمازيغية توجد الفرنسية و الإنجليزية والإسبانية ،ولعل هذا التنوع يسهم بشكل فعال في الغنى الثقافي وفي التعريف بالآخر وأسلوبِ حياته وقيمه ،وبالتالي تعبر عن جماليات الحياة وتنوعها من دون التقليل من كينونة الآخر. وبفضل الثقافة نستطيع البحثَ عن مواطن الاختلاف والتنوعِ وليس بالضرورة عن جوانب الخلاف

وقد دافع العاهل المغربي عن قيم التعدد الثقافي، وقال إنه إذا كان من المشروع نبذَ المحاولات الداعية للتبعية والتنميط، فإنه مع ذلك لا محيد عن التمسك بالقيم الكونية السامية التي تشكل دوما إرثا مشتركا تتقاسمه الإنسانيةُ، بغض النظر عن الاختلافات العقائدية والثقافية ، وهكذا فإن إحداثَ المعهدِ الملكي للثقافة الأمازيغية الذي أعلن عنه جلالة الملك في الخطاب الذي وجهه بمناسبة الذكرى الثانية لعيد العرش ، وهي المبادرة التي قوبلت بالإجماع في الترحيب بها وعُدّت من الأحداث الهامة في تاريخ المغرب .

ومما جاء في الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه جلالةُ الملك بمناسبة وضع الطابع الشريف على الظهير المحدِث والمنظِم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغي (٣): ,,إننا نريد في المقام الأول التعبيرَ عن إقرارنا جميعا بكل مقومات تاريخِنا الجماعي وهُويتنا الثقافية الوطنية التي تشكلت من روافد متعددة صهرت تاريخنا ونسجت هويتِنا في ارتباطٍ وثيق بوحدة أمتِنا الملتحمةِ بثوابتها المقدسة المتمثلةِ في دينها الإسلامي الحنيفِ السمحِ والذودِ عن حوزة الوطن ووحدتِه وفي الولاء للعرش والالتفاف حول الجالسِ عليه والتعلقِ بالملكية الدستورية الديمقراطية الاجتماعية.

ثم إن الإرادة َالمعبَّر عنها،من طرف الملك، من أجل تحديث المجتمع وعصرنة الدولة ،وأيضا جعل المغربي مواطنا مدركًا لحقوقه واعيًا، منسجمًا مع خصوصيات هُويته العربية والأمازيغية ومنفتحًا على ثقافات أخرى، ويبدو ذلك واضحا من خلال العديد من الأوراش الإصلاحية المفتوحة اليوم، وخاصة ما يتعلق بتأهيل نظام التربية والتكوين واعتماد "الميثاق الوطني للتربية والتكوين"(٤) ، الذي يتوخى إصلاح المنظومة التعليمية ،و تحقيق تصالح المواطن مع هويته المتعددة ، والتدريس باللغة العربية ، و الانفتاح على تعلم اللغات الأجنبية ،خاصةً مع تعدد مراكزِ ومختبراتها اللغات في مختلف جهات المملكة،

كما أن وجودَ التعليمِ العمومي إلى جانب التعليم الخصوصي وأيضا البعثات الأجنبية (الفرنسية، الإسبانية، الإنجليزية) يجسد من جهته الانفتاحَ على الآخر وأهميةَ الثقافات الأخرى.

يختلف الباحثون حول مستقبل اللغة في الوطن المغربي، فيقول بعضهم إن اللغة العربية الفصحى سوف تغلب العامية وسوف تُستخدم بشكل عام حتى خارج المعاملات الرسمية، وذلك بزيادة المادة الصوتية الفصيحة التي يتم الاستماع إليها يومياً.

و يرى آخرون أن اللهجات العامية سوف تتطور و تندمج في لهجة عربية واحدة، وبهذا تُشكل معاً

لغة عربية واحدة كالفصحى. وهناك الكثيرون ممن يؤيدون دمج العامية والفصحى معاً بحيث تتكوّن لغة جديدة بين الاثنتين. لكن هذا الاقتراح لا يحظى بالكثير من التأييد نظراً لأن الفصحى هي لغة القرآن والأدب

إذن تميز النموذج اللغويُّ في المغرب بالتعددية ، إذ توجد لغاتٌ متداولة :، كالعربية الفصحى، الأمازيغية -الدارجة ،والفرنسية

ومنذ الاستقلال اختار المغربُ الفصحى لغةً رسمية للبلاد، واتخذَ التعريبَ وسيلةً لتحديث ومعْيَرةِ هذه اللغةِ لتعبِّر عن مفاهيمَ وأفكارٍ جديدةٍ ومظاهر العلوم والتكنولوجيا والثقافة الكونية لتحل محل اللغةِ الفرنسيةِ في جميع المجالات.

ومن أهداف سياسةِ التعريب الحفاظُ على الوحدة الوطنية وترسيخُ الهُويةِ العربية والإسلامية ،وتحقيقُ الاستقلال الثقافي في جل الميادين.

غير أن هذه السياسةَ سرعان ما اصطدمت بهيمنة اللغة الفرنسية التي فرضت نفسها كلغة الحداثة والتقدم، فكان تداولُها في ميادين التربية والتعليم والإدارة ،والأعمال، والإعلام ،على نطاق واسع رغم مرور الزمن ، و كان دليلا على أنها لازالت لغةَ التفوق الاجتماعي

عبّرت هذه الوضعيةُ اللغويةُ عن توترٍ بين لغتين وثقافتين: العربية-الإسلامية من جهة والفرنسية-الغربية من جهة أخرى، كما تعكس صراعاتٍ طبقيةً بين الفئات الميسورة المتشبثة بالفرنكفونية والفئات الشعبية التي لا تتكلم الفرنسية، ما يخلق تصادمات تواصلية داخل المجتمع .

وتعبر هذه الازدواجيةُ أيضا عن صراع من أجل السلطة السياسية والرمزية. فثمةَ تلاقحٍ بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى إلى درجة الانصهار على مستوى الإبداع الفني و التعليم ، ناهيك عن التأثير الهائل للغة الفرنسية على اللغة العربية

وفي ميدان التعليم وفي سنة ١٩٨٥ ، أعلنت الحكومةُ المغربية عن إصلاح جدري يشمل قطاعاتِ التربية و التعليم التقني قصد تزويد المواطن بتعليمٍ يجعل منه إطارا قادرا على المشاركة الفعالة في المجتمع.

و قد اعتمَدَ هذا النمطُ على تعريب الموادِّ العلمية و الاجتماعية ، و أصبحت اللغة الفرنسية تدرَّس بصفتها لغةً أجنبية لا غير .

كما نصَّ الكتابُ الأبيض على أن تعلمَ اللغات الأخرى والاستفادةِ منها أمر لازم و نتائجُه إيجابية ؛ فالانفتاحُ على لغةِ و ثقافة الآخرين، أمرٌ مهم و ضروريٌّ لأنه يُسهِم في توسيع المدارك العلمية و توطيدِ جسور التواصل والحوار مع الثقافات والحضارات العالمية.

إن الأغراض الأساسية من التعددية في المنظومة تتمثل في تكوين الفرد الوطني المسلم الذي يمتثل لتعاليم دينه، ويكون فردا مبدعا لتحويل بيئته حسب احتياجاته وحاجات مجتمعه،

ولهذا فليس من السهل تبني نموذج ثقافي أو نظام لغوي لمجتمع مغاير والعمل على نشره في إطار نظام تربوي شامل،.

ويمكن تلخيص أهداف التعددية اللغوية في :

-تأهيل المتعلم للتمكن من وسائل التعبير الكتابي و الشفهي ، و معرفة الأدب و الثقافة، و تنمية التفاهم الدولي ،

- اكتساب المصطلحات الفنية و العلمية و المهنية، و تنمية القدرة على التحليل و التركيب من خلال الاتصال بالأخر

- تمكين الطفل من فهم المحيط الاجتماعي و الثقافي بسهولة أكثر.

- تطوير فكر متفتح على الثقافات الأخرى باختلاف تقاليدها و عاداتها .

- تنمية حب الاطلاع ؛ و تيسير الاتصال و التواصل مع الغير.

-توطيد العلاقات بين الأجيال والقدرة على فهم واحترام الفروقات الثقافية و الاجتماعية بين اللغات واحترامها.

- تنمية فكرة التسامح و التقارب بين الشعوب

التداخل للغوي:

يرى ابن منظور أن التداخل هو" الالتباس و التشابه وهو دخول الأشياء في بعضها ، أو نفوذ بعض العناصر اللغوية من لغة إلى أخرى مع تأثير الواحدة في الأخرى ،والمقصود بالعناصر اللغوية مكونات اللغة من حروف و مفردات و تراكيب و معان و عبارات"(٥)

ويطلق هذا المصطلح" التداخل" على التركب، فالتداخل يعني أن يتلاقى أصحاب اللغتين فيسمع هذا لغة آخر و العكس، فيأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته ،فتتركب لغة ثالثة كقولهم قَنَطَ يَقْنَطُ، لغة ،وقنِطَ يقْنَطُ لغة أخرى ،ثم تداخلت اللغتان فتركبت لغة ثالثة هي قنَطَ يقْنِطُ:قَنَطَ يَقْنَطُ(٦)

وعندما نتحدث عن التداخل اللغوي هل نقصد التداخل الذي يؤدي الى الاقتراض اللغوي ؟ هل هذا الموضوع سيقودنا إلى تعريف المعرب و الدخيل.

في المغرب يوجد تداخل بين الثقافة الأمازيغية والثقافة العربية الذي لا يعكس واقعا جديدا،وإنما يعكس حقيقةً تاريخية عاشها المغاربة منذ سنين في دولة موحدة بالإسلام وبالنظام الملكي.

وينبغي التذكيرُ هنا أن علاقةَ الثقافتين العربية والأمازيغية عميقةٌ بشهادة التاريخ، وقد اتسمت هذه العلاقةُ دائما بالتآزر و التضامن والوئام والانسجام. و كلُّ المغاربة اليوم سواسيةٍ أمام القانون ،سواء الناطقون بالأمازيغية أو الناطقون بالعربية. و يشكل هذا الانسجامُ الحاصلُ بين الثقافتين مصدرَ افتخار وطني، وعلامة وحدة الوطن والمصير.

بالنسبة للأمازيغ فإن لغتهم جزء لا يتجزأ من الثقافة الأمازيغية خصوصا والثقافة المغربية عموما. وهي المعبِّرُ الحقيقيُّ عن شؤونهم اليومية ، وتقاليدِهم وتراثِهم ، والمرآة الحية التي تعكس وجودَهم(٧) ٠

ويمكن أن يكون الاتصال الثقافي بين المجتمع المغربي و الفرنسي خير دليل على الأثر غير المباشر ...إذ نجد بعض المصطلحات الفرنسية دخلت الى العربية كالبيداغوجيا- الديدكتيك - التيمات...

. صحيح إن اللغة العربية تعاني من عدة إشكالات

تتمثل في مجموعة من التداخلات اللغوية منها

١- توجد أشكالٌ عدّةٌ للّغة العربية الفصحى : الشكل التقليدي (والشكل الحداثي والشكل الذي يتأرجح " بين بين ". ولكلّ شكل من هذه الأشكال مصطلحاتُه ، ومرتكزاته الفلسفية ، والجمالية ، وأنماطُ تفكيره التي تتميز تميّزاً بيِّناً من الآخر .

٢- توجد عدةُ لهجات متداولة في المغرب ، والطفل ينشأ على اللهجة العامية، ثم يتعلم الفصحى على مقاعدِ الدراسة . ونعني بذلك أن الفصحى تصبح اللّغةَ الثانية له بعد العامية التي تُعدَّ - من حيث الممارسةُ العملية - هي اللّغة الأولى . ومن ذلك مثلاً فإن كثيراً من المدرسين في مراحل التعليم الأولى يضطرون إلى اللجوء إلى العامية لشرح النص المكتوب بالفصحى (الكتاب المدرسي) و بالتالي يصبح المتعلم معتمدا على التلقين والحفظ ،وليس التفاعل مع المعلومة ، لأن كثيراً من مفردات الفصحى بعيدةٌ عن إدراكه. وفي الاختبار يصبُّ المتعلمُ ما حفظه على مقاعد الدرس لا ما فهمه، وبعد الاختبار ينسى ما أخذه . ولعل هذا يشكّلُ أحدَ الأسباب الرئيسية لتراجع المستوى التعليمي.

إذا كان وضعُ التعددية طبيعياً في معظم لغات العالم، فلماذا يكون هذا الوضعُ "غير طبيعي" أو عائقاً للتقدم في بلادنا ؟ أعتقد أن ذلك يعود لسببين رئيسين: الأول :ازديادُ الفجوة بين الفصحى واللهجات نتيجةَ العوامل التاريخية السالفة، حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثيرٍ من الباحثين؛ ومع المبالغة بذلك الاختلافِ أصبح الكثيرُ يعتقد أنهما مختلفتان فعلاً. والثاني أنه رغم استقلالنا وتبني اللغةَ العربية رسمياً وشعبياً، إلا أن اعتمادَنا على اللغات الأجنبية، في التعليم وفي القطاعات المختلفة، ما زال واسعاً.

وقد قدم الدكتور"أحمد معتصم" دراسة تحت عنوان "الازدواجية اللغوية المتوحشة" بيّن من خلالها فشل المغرب في الازدواجية ، وأشار إلى أنها رغم غناها فهي لا تتعدى الأشكال الأكاديمية المعروفة، مسلطا الضوء على الطفل المغاربي مع كل صعوباته في التعلم مقترحا وضعه في مركز اهتمام المسؤولين، والقصد من ذلك عدم وضعه في خانة الصراع القائم بين اللغة العربية الفصحى كلغة أمّ والفرنسية كلغة عالمية، مشيرا بذلك إلى قضية التثاقف من بابها الاستعماري والفعل البيداغوجي الممارس من قبل الأستاذ الأجنبي الذي غايته ترسيخ الثقافة الغربية في نفوس التلاميذ المغاربة وعقولهم.

اللغة و الهوية و الثقافة الوطنية

«لا تصلح اللغةُ للتواصل فقط ، بل تصلح للوجود أيضا ، والسؤال هنا هو: كيف يتمكن الفرد من تثبيت هُويته داخل اللغة؟

إذا كان بالفعل في اللغة علامةُ اعتراف اجتماعي بين أفراد الجماعة الواحدة، كما بين ذلك سوسيولسانيون ، فإنه يتعين علينا المضيُّ أبعدَ من ذلك لفهم ما هو جوهري في هذه العلاقة القائمة بين الإنسان ولغته. وتتمثل الأطروحةُ التي ندافع عنها في كون اللغة، شأنُها شأنُ الثقافة، تمثِّل بالنسبة للفرد واقعا مزدوِجا. فهي، من جهة، تمثل القانونَ الذي يفرض نفسَه على

الفرد. لكنها، من جهة أخرى، تمارِس عليه في الآن نفسه إغراءً ينتج عنه الانخراط في هذا القانون .

يقول (ابن خلدون): اعلم أن لغة أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها"(٨) ، فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هجرت كلها في جميع ممالكها؛ لأن الناس تبّع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب.

قيل إن اللغة هوية، وليست "الهوية" لغةً، بمعنى أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه المقومات، وأشدها خصباً وعمقاً وتركيباً. إن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعم من اللغة؛ لأن الهوية لها تجليات كثيرة غير "اللغة" إذ إنها (الهوية) ببساطة متناهية ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين مجموعة من الناس، ذلك الذي يميزهم ويوحدهم، وليست اللغة وحدها التي تقوم بهذه المهمة، وهذا يعيدنا إلى المقومات الأخرى للهوية(٩)٠

لكن هناك من يرى أن اللغةُ هي القانون الأول الذي يفرض نفسَه على كل فرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوده إلى الانتقال «من الطبيعة إلى الثقافة». إنها القانـون بمعنى الكلمة، أي أنها تُرْغِم الفردَ على تمرير عالم الرغبات والتمثلات الطفولية من مصفاة مقولاته إلى عالم الحياة الاجتماعية ونيل اعتراف الآخر فتعترف به الجماعة كونه عضوا كاملا فيها عبْر اللغة و«الثقافـة» وخضوعه لحسن التصرفات ،أي لما تعتبره جماعتُه سلوكاتٍ حسنـة. وبواسطة الضبط الذي يمر عبر اللغة والثقافة، فاللغة إذن تحيا بالاستعمال، ولا تحيا في بطون الكتب، وأصبح معروفاً أن اللغة وإتقانها يؤثران في مدى الحصيلة المعرفية ودرجة الإبداع والإتقان العلمي، وأن اللغة تهيمن على الحياة العلمية والعملية وتُغْني الحضارة الإنسانية.

فاللغة هي رمز الوجود وعنوان الهوية، لأنها المستودع الأمين الذي يستضمر مقومات الانتماء، وذاكرة المستقبل، ولا تزول إلا بزوال الأمة، فهي مرتبطة بالتراث والماضي والحاضر، وهي تحدد ملامح المستقبل بتطورها مع تطور العلاقات الإنسانية والتقنية.

في الختام أقول إن الهُوية المغربيةَ تتميز بخصائصَ مميزةٍ منها : موقعُها (القارة الإفريقية) ، ثقافتُها العربية الإسلامية -الازدواجية بين الأمازيغ و العرب وتطلعها إلى الحداثة بالانفتاح على اللغات الأجنبية كالفرنسية والإسبانية والإنجليزية. وهذا التنوع سيخدم الهُوية المغربية. التنوع ليس عيبا فكل اللغات تأخذ من بعضها و ما التنوع إلا زيادة في الإثراء

الهوامش

١- الاختيارات و التوجهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة البرامج و المناهج التربوية ،الجزء الأول ، لجن مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي و الثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول ١٤٢٣ يونيو٢٠٠٢

٢- المجلس الأعلى للتعليم/الندوة العلمية حول تدريس اللغات و تعلمها في منظومة التربية و التكوين –الرباط ٢٠-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩

٣- الظهير المحدث و المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية /أجدير- خنيفرة –رجب الخير ٢٩ هـ١٤٢٢/ أكتوبر ٢٠٠١

٤- الميثاق الوطني للتربية و التكوين /المواد ١١١-١١٧

٥- ابن منظور، لسان العرب (بتصرف)دار صادر ،بيروت،ج١١ ص٢٤٣ (دخل)

٦- ابن جني ،أبو الفتح عثمان /الخصائص ،تحقيق محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢،١٩٩٠ م،ج١ ص٣٧٧

٧-" الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب (مقاربة اولية) . مجلة الفرقان العدد ٣٨ – ١٤١٧/١٩٩٧هـ . مصطفى الخلفي .

٨- ابن خلدون /المقدمة – الدار التونسية ١٩٨٤ص٢٥٨،

٩- فيصل الحفيان: اللغة والهوية، إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقات

المصادر والمراجع

١- ابن جني ،أبو الفتح عثمان /الخصائص ،تحقيق محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢،١٩٩٠ م،ج١

٢- ابن خلدون /المقدمة – الدار التونسية ١٩٨٤

الظهير المحدث و المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية /أجدير-خنيفرة –رجب الخير ٢٩١٤٢٢/ أكتوبر ٢٠٠١

٣- فيصل الحفيان: اللغة والهوية، إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقات

٤- الميثاق الوطني للتربية و التكوين /المواد ١١١-١١٧

٥- مقال تحت عنوان :" وقفة تأملية لأهم الأحداث التي عرفتها الأمازيغية في القرن العشرين " . بجريدة اكراو امازيغ العدد ٧٢ –١٦ مارس ٢٠٠١ . امحمد عليلوش .

٦- المؤتمر العالمي للأمازيغيين أراء ووثائق . احمد الدغرني .

٧- مقال تحت عنوان : " الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب (مقاربة اولية) . مجلة الفرقان العدد ٣٨ – ١٤١٧/١٩٩٧ه . مصطفى الخلفي .

٨- مقال تحت عنوان : " الأمازيغية بين مطرقة عولمة العروبة وسندان الأمركة " جريدة اكراو امازيغ العدد ٣٤/٥٢ – ٢٨ مارس ٢٠٠٠ . امحمد عليلوش .

٩- مقال تحت عنوان : "الأمازيغية في معترك الديمقراطية " ,جريدة تامونت العدد١١ يونيو ٢٩٤٧/١٩٩٧.

١٠- مقال تحت عنوان "الامازيغية بدأت تغني نشيد الانتصار " جريدة العالم الامازيغي العدد ١٠ / ١٦ نونبر ٢٠٠١ . امحمد عليلوش .

Rublications Rules

1.Publishing the original scientific researches adhering to the scientific research procedures and the global common standards , which are written either in Arabic and English about various fields of Arabic , its literature and educational studies.

2.Printed in three copies in A4 , with a CD copy , having about 10.000 to 15.000 running words in simplified Arabic font using the page numbering of WORD 2007.

3.Submitting an abstract in both Arabic and English including the research title.

4.The front page should include the title , researcher›s/s› name , address , occupation , tel.number , e-mail , and not mention the researcher›s/s› name/s in the body of the research.

5. All sources should be referred to in the endnotes taking in consideration the common scientific procedures in documentation.

6.Writing all the sources in a list independently from the endnotes , and in case of having foreign sources , they should be written in list apart from the Arabic one and arranged alphabetically.

7.Tables , diagrams , pictures should be written in separate pages making a reference to their sources at the bottom in a caption .

8.Attaching a bioprofile if the researcher cooperates with the journal for the first time , mentioning if the research has been submitted to a conference or not.

9.For the research which has not been published before , the researcher should make reference to this.

10. All the published ideas manifest the researcher›s view point himself; and the journal has no responsibility about that.

11.The researches are exposed to confidential revision to state their reliability for publication and not given back to the researchers whether they are approved or not according to the following procedure:

a. A researcher should be notified that the research has been received .

b. The researcher whose paper is approved should be notified by the board of editors about date of publication.

c. Researches which need modifications or changes should be sent back to the researchers in order to do the required notices.

d. Rejected researches are returned to their writers without mentioning reasons.

e. A researcher is given a copy of the issue that his research is published in with three copies of his published research.

12. Priority of publication depends upon :

a. Researches presented in conferences held by the publisher.

b. Date of receiving the research by the editor .

c. Date of receiving the modified researches .

d. Variety of research fields.

c. A researcher can not get back his research after submitting to the board of editors unless there are convincing reasons within two weeks of receiving the research.

Managing Editor
Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syaf

Secretary Editor
Mr.Haydar Al-Salamy

Board of Editors
Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa(Egypt)
Prof.Dr.Munira Muhammad Faour(Syria)
Assist.Prof.Dr.Saqiq Hussein Knyj(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Muhammad Abd Meshkoor(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Haydar Habib Hamza(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Hassan Abdulghany Al-Assady(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman(Iraq)
Assist.Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq (Iraq)
Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali(Iraq)

Proofreaders
Dr.Haydar Abdali Hemydy
Dr.Hussam Adnan Al-Yasiry

Translation
Dr.Muayyad Omran Chiad

Electronic Website
Haydar Abbas Al-Amiry

Design and Production
Saif AL Deen AL-Zamili

Follow up and Coordination
Hussein Sadiq
Hassan Al- Awady
Ali Saad Lateef
Ameer Hashim Habib
Alaa Aldeen Alhassuny
Qasim Al-Musawy
Musaab Hadi Al- Numany

General Supervisor

Sheikh: Abdul–Mehdi El–Kerbala'I

Editor–in–Chief

Mr. Lateef Al–Qasab

Advisory Board

Prof. Dr Hussein Nasar (Cairo–Egypt)

Prof. Dr. Mahmoud Muhammad Al–Hassan (Syria)

Prof. Dr. Abdalali Al–Wadghiry (Morocco)

Prof. Dr. Sahib Ja›fer Abdujinah (Iraq)

Prof. Dr. Sabah Abbas Al–Salim (Iraq)

Prof. Dr. Kareem Hussein Naseh (Iraq))

Prof. Dr. Raheem Jabr Al–Hissnawy (Iraq

Prof. Dr. Farooq Al–Haboobi (Iraq)

Prof. Dr. Ahmed Jwad Al–Atabi (Iraq)

Prof. Dr. Mehdi Salah Al. Shimary (Iraq)

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat ٢٢)

DAWAT دوات

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein,
Department of Media, Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and
Scientific Research Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and
Iraqi Documents: 2014,1963

www.alh.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001